الكامل

في

اللغة والأدب

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثانى

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ = ١٩٩٧م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

باب

[فى المختار من أشعار المولدين]

قال أبو العبَّاس: هذه أشعار اخترناها من أشعار المولّدين حكيمةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ. يُحْتَاجُ إليها للتّمَثُّلِ؛ لأنها أَشْكَلُ بالدهر، ويُسْتعارُ من ألفاظها فى المخاطبات والْخُطَب والكتب.

[لعبد الصمد بن المعذل]

قال ابن المُعَذَّل(١):

تُكَلِّفُنى إذْلالَ نَفْسى لعِزِّها ... وهانَ عليها أَنْ أُهانَ لتُكْرَما
تَقولُ سَلِ المعروفَ يَحْيَى بنَ أَكْثَمٍ ... فقلتُ سَلِيه رَبَّ يَحْيَى بنِ أكْثَما(٢)

[لبشار بن برد]

وقال بَشَّارُ بن بُرْدٍ يذكر عُبَيْدَ الله بن قَزْعة، وهو أبو المُغيرة أخو المَلَوىِّ المتكلم، قال ـ وقال المازنى: لم أر أَعْلَمَ من المَلَوِىِّ بالكلام، وكان من أصحاب إبراهيم النَّظام ـ:

خَليلىَّ منْ كَعْبٍ أَعِينا أخاكُما ... على دهْرِه إنَّ الكريمَ مُعِينُ
ولاَ تَبْخَلاَ بُخْلَ ابن قَزْعَةَ إنه ... مَخَافَةَ أن يُرجى نَداهُ حَزينُ
كَأَنَّ عُبَيْدَ الله لم يَلْقَ ماجِدًا ... ولم يَدْرِ أَنَّ المَكْرُمَاتِ تكونُ
فقل لأبى يَحْيَى مَتَى تُدْرِك العُلا ... وفى كُلِّ مَعْرُوفٍ عليكَ يَمين
إذا جِئْتَهُ فى حاجةٍ سَدَّ بابَهُ ... فلم تَلْقَه إلا وَأَنْتَ كَمينُ

نظير قوله:

* وفى كلِّ معروف عليك يمينُ *

قول جرير:

وَلا خَيْرَ فى مال عليه أَلِيَّةٌ ... ولا فى يمين عُقِّدت بالمآثِمِ(٣)

(١) ر: «عبد الصمد بن المعذل».
(٢) زيادات ر: «بالثاء مثلثة لا غير، وكذلك أكثم بن صيفى، ويقال إن يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفى».
(٣) ر: «عقدت». وديوانه ٥٥٣: «ولا فى يمين غير ذات مخارم».

[لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية]

وقال إسماعيل بن القاسم:

أَطِعِ اللهَ بجُهْدِكْ عامدًا أو دون جُهْدِكْ
أَعْطِ مَوْلاكَ كما تَطْـ ـلُبُ من طاعةِ عَبْدِكْ

[لمحمود الوراق]

وقال محمود:

تَعْصِى الإلَه وأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّه هذا مُحَالٌ فى القِياسِ بَدِيعُ
لو كان حُبُّكَ صادقًا لأَطعتَه إن المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وقال أيضًا:

إنى شكَرْتُ لظالمى ظُلْمى وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ على عِلْمى
ورأيتُه أَسْدَى إلىَّ يَدًا لَمَّا أَبانَ بِجَهْلِه حلمى
رَجَعَتْ إسَاءَتُهُ عليه وإحْسـ ـانى فعادَ مُضاعَفَ الجُرْمِ
وَغَدَوْتُ ذا أجْرٍ ومَحْمَدَةٍ وغَدَا بكَسْبِ الظُّلْمِ والإثمِ
فكأنما الإحسانُ كان لَهُ وأنا المُسِىءُ إليه فى الحُكْمِ
مازال يَظلِمُنى وأَرْحَمُه حتى بَكَيْتُ له من الظُّلْمِ

أخَذَ هذا المعنى من قول رجل من قُرَيْشٍ لرجل قال له: إنى مررتُ بقوم من قريش من آل الزُّبَيْرِ أو غيرهم يَشْتِمونَكَ شَتْمًا رَحِمْتُكَ منه، قال: أَفَسَمِعْتَنى أقول إلا خَيْرًا! قال: لا، قال: إيَّاهُمْ فارْحَمْ.

وقال الصديق(١) ـ رحمه الله ـ لرجل قال له: لأَشْتِمنَّكَ شَتْمًا يَدْخُلُ معك فى قبرك، قال: معك والله يَدْخل، لا معى.

وقال ابن مسعود: إن الرجل ليظلِمنى فأَرْحمُه.

---

(١) ر: «أبو بكر الصديق»، س: «الصديق رضى الله عنه».

وقال رجل للشعبيّ كلامًا أقْذَعَ له فيه، فـقال الشعبيّ: إن كنتَ صادقًا فغفر الله لى، وإن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك.

ويروى أنه أتى مسجدًا فصادف فيه قومـا يغتابونه فأخذ بِعِضادَتَي الباب، ثم قال:

هَنيـئًـا مَرِيئًـا غَـيْـرَ دَاء مُخَـامِـرٍ   لِعَـزَّةَ من أعْـراضِنا ما اسْـتَـحَلَّت

وذكر ابن عائشـة أن رجلا من أهل الشام قال: دخلتُ المديـنة فرأيتُ رجلا راكبًـا على بغلة لم أر أحسَن وجهًا ولا سـمْتًا ولا ثوبا ولا دابة منه، فـمال قلبى إليه، فـسألت عنه، فـقيل: هذا الحسن بن عليّ بن أبى طالـب عليهمـا السلام، فامتلأ قلبى له بُغـضًا، وحَسَدْتُ عليًّا أن يكون له ابن مثلُه، فَـصِرْتُ إليه، فقلتُ له: آنت ابنُ أبى طالب؟ فقال: أنا ابـن ابنه، فقلت: فَبِكَ وبأبيك أَسُبُّهُـما، فلما انقـضى كلامى قـال لى: أحْسـبُكَ غريبًـا، فقلت: أجَلْ، قـال: فَمِلْ بنـا، فإن احْتَـجت إلى منزل أنزلناك، أو إلى مـال آسَيْناكَ، أو إلى حـاجة عـاوَنَّاكَ، قال: فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أَحَدٌ أحبُّ إليَّ منه.

[لمحمود الوراق أيضًا]

وقال محمود الورَّاقُ:

يا نـاظِرًا يَرْنُو بِـعَـيْنَىْ رَاقِـد   وَمُـشَـاهِدًا للأَمْـرِ غَيْـرَ مُـشَاهِد
مَنَّيْتَ نَفْـسَكَ ضَلَّةً وَأَبَحْـتَـهَـا   طُرُقَ الرَّجـاءِ وَهُنَّ غَيْـرُ قوَاصِـد
تَصِلُ الذنوبَ إِلَى الذنُوب وَتَرْتَجِى   دَرِكَ الْجِنَان بِـهـا وَفَـوْزَ الْعَـابِد
وَنَسِـيـتَ أَنَّ اللهَ أَخْـرَجَ آدَمًـا   مِنْهَـا إِلَى الدُّنْيَـا بِذَنْبٍ وَاحِـد

[للحسن بن هانئ الحكمى المعروف بأبى نواس]

وقال الحكَميّ للفضل بن الرَّبيع[1]:

مَـا مِـنْ يَد فى النَّاس واحِـدَةً   كَـيَـد أَبُـو العَـبَّـاس مَـوْلاهَا
نامَ الْكِرامُ عَـلَى مَـضَاجِـعِـهِمْ   وَسَـرَى إلَى نَـفْسي فَـأَحْـيَـاهَا

(١) زيادات ر: هو أبو نواس الحسن بن هانئ، وهو منسوب إلى حكم، قبيلة من مذحج».

قَـدْ كُنْتُ خِـفْـتُكَ ثمَّ أَمَّـنَنِى ... مِنْ أَنْ أَخَـافَـكَ خَـوْفُكَ اللهَ
فـعـفَـوْتَ عَنِّى عَـفْـوَ مُـقْـتَـدِرٍ ... حَلَّـتْ لَهُ نِـقمٌ فَـأَلْـغَـاهَا

[لعبد الله بن محمد بن أبى عيينة]

وقال عبد الله بن أبى عُيَينة لذى اليَمينَيْنِ[1]:

لَمَّـا رَأَيْتُكَ قَـاعِـدًا مُـسْتَـقْـبِـلاً ... أَيْقَنْـتُ أَنَّكَ لِلْهُـمُـومِ قَـرِينُ
فَـارْفض بِهَـا وَتَعَـرَّ مِنْ أَثْوَابِهَـا ... إِنْ كَـانَ عِنْدَكَ لِلْقَـضَـاء يَقِينُ
مَـالاَ يَكُونُ فَـلا يَكُونُ بِحِـيلَةٍ ... أَبَدًا وَمَـا هُوَ كَـائِـنٌ سَـيَكُونُ
يَسْعَى الذَّكِىُّ فَـلا يَنَالُ بِسَعْـيِـهِ ... حَظًّا وَيَحْـظَى عَـاجِـزٌ وَمَـهِينُ
سَيَكُونُ مَـا هُو كَائِنٌ فِـى وَقْتِـهِ ... وَأَخُـو الْجَهَـالَةِ مُتْعَبٌ مَحْـزُون
اللهُ يَعْـلَمُ أَنَّ فُـرْقَـةَ بَيْنِـنَا ... فِـيمَـا أَرَى شَىْءٌ عَلَىَّ يَهُـون

[لصالح بن عبد القدوس]

وقال صالح بن عبد القُدُّوس[2]:

إنْ يَكُنْ مَـا به أُصِبْتُ جَليـلا ... فـذهاب الـعـزاء فـيـه أجلُّ
كلُّ آت لا شَكَّ آت وذُو الْـجَـهـ ... ـلِ مُـعَنىًّ وَالْغَمُّ وَالْحـزْنُ فَضْلُ

[من الأبيات المنفردة]

وأنشد مُنْشِدٌ من الأبيات المنفردة القائمة بأنفسها:

إذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصَ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى ... إلَى بَعْضِ مَـا فِـيهِ عَلَيْـكَ مَقَـالُ[3]

ومنها قول ابن وُهَيْب الحميرى[4]:

وَإنِى لأَرْجُـو اللهَ حَتَّى كَـأَنَّنِى ... أَرَى بِجَـمِيلِ الـظَّنِّ مَا اللهُ صَـانِعْ

(١) هو طاهر بن الحسين، وكان من أكبر أعوان المأمون، وفى زيادات ر: «سمى ذا اليمينين؛ لأنه ضرب إنسانا فجعله قسمين».
(٢) زيادات ر: «صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة - أعنى صالحا». وفى معجم الأدباء ١٢ : ٧ أن الذى قتله هو المهدى العباسى، ضربه بالسيف فشطره شطرين، وعلق بضعة أيام للناس، ثم دفن».
(٣) حواشى الأصل: «هذا البيت قاله هشام بن عبد الملك ولم يقل شعرا غيره».
(٤) فى ر، س: «ابن أبىْ وهيب» وصوابه ما فى الأصل. وانظر معجم الشعراء ٤٢٠.

وقال آخر:

وَيَعْـرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ حَتَّى كأنَّـما يُخَـاطِبُـه مِنْ كلِّ أَمْـرٍ عَـوَاقِـبُـهْ

وقال أَشْجَعُ السُّلَمىّ:

رَأْىٌ سَـرَى وَعُيُـونُ النَّاسِ رَاقِـدَةٌ مـا أَخَّرَ الْحَـزْمَ رَأْىٌ قَدَّمَ الْحَـذَرَا

وقال آخر:

فَلِلَّهِ مِـنىِّ جَـانِب لا أضـيِـعُــهُ وَلِلَّهْـو مِـنِّى وَالبَطَـالَةِ جَـانِبُ

وقال آخر:

فَلَوْ عَابَ نَفْسِي غَيْـرُ نَفْسِي لَسُؤْتُهُ فَكَيْفَ وَنَفْسِى قَـدْ أَتَتْ مَا يَعِيبُـهَا

وقال آخر:

يَرَى فَلَتَـاتِ الرَّأْيِ وَالرَّأْىُ مُـقْبِل كَـأَنَّ لَهُ فى الْيَوْمِ عَـيْنًا عَلَى غَـدِ

[لعبد الصمد بن المعذل أيضًا]

وقال عبد الصَّمد بن الْمُعَذَّل:

أَمُـنٌّ عَلَـى الْمُجْـتَـدى ومـا أُتبع الْـمَـنَّ مَـنّ
كـأَنْ لَـمْ يَزلْ مَـا أَتَـى ومـا قـد مـضى لم يـكن
أَرَى الـنَّـاس أحـدُوثَـةً فكـونِى حَـدِيثًـا حَـسَنْ

وقال أيضًا:

زَعَـمت عَـاذلَـتِى أَنِّى لِمَـا حـفظ الْبُـخْلُ مِـنْ الَمال مُـضِـيعُ
كَلَفْـتْنِى عـذرَةَ الْبَـاخِلِ إِذْ طَرَقَ الـطَّارِقُ وَالنَّاسُ هُجُـوعُ
لَيْسَ لـى عُـذْرٌ وَعِنْدِى بُـلْغَـة إِنَّمَـا الْعُـذْرُ لِمَنْ لاَ يَسْـتَطِيعُ

[للحسن بن هانئ أيضًا]

وقال الحسن بن هانئ الحكمىّ:

إِلَيْكَ غَدَتْ بى حاجَـةٌ لَمْ أَبُح بهاَ أخـافُ عَلَيْـهـاَ شَـامِـتًـا فَـأُدَارى
فَأَرْخِ عَلَيْـهَا سِتْرَ مَـعْروفِكَ الَّذِى سَـتَـرْتَ به قِـدْمًـا عَلىَّ عَـوَارى

وقال أيضًا:

قَدْ قُلْتُ للعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا ... مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفَا
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نِعَمًا ... أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا
فَإِلَيْكَ بَعْدَ اليَوْمِ تَقْدِمَةً ... لاقَتْكَ بِالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِفَا
لا تُحْدِثَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً ... حَسْبِي أَقُومُ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

[لدعبل بن على الخزاعى]

وقال دِعْبِل بن علىّ الخزاعىّ:

أَحْبَبْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَعْدِلْ بِحُبِّهِمُ ... قَالُوا تَعَصَّبْتَ جَهْلًا قَوْلَ ذِي بَهَتِ
دَعْنِي أَصِلْ رَحِمِي إِنْ كُنْتَ قَاطِعَهَا ... لَابُدَّ لِلرَّحِمِ الدُّنْيَا مِنَ الصِّلَةِ
فَاحْفَظْ عَشِيرَتَكَ الأَدْنَيْنَ إِنَّ لَهُمْ ... حَقًّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالْمَرَةِ(1)
قَوْمِي بَنُو مَذْحِجٍ وَالأَزْدُ إِخْوَتُهُمْ ... وَآلُ كِنْدَةَ وَالأَحْيَاءُ مِنْ عُلَةَ(2)
ثُبْتُ الْحُلُومِ فَإِنْ سُلَّتْ حَفَائِظُهُمْ ... سَلُّوا السُّيُوفَ فَأَرْدَوْا كُلَّ ذِي عَنَتِ
لاَ تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لامْرِئٍ طَبِنٍ ... مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَزْحِ جَارِيَةٍ ... مَشْئُومَةٍ لَمْ يُرِدْ إِنْمَاؤُهَا نَمَتِ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ بَيْتًا مَاتَ قَائِلُهُ ... وَمَنْ يُقَالُ لَهُ وَالبَيْتُ لَمْ يَمُتِ

وقال أيضًا:

نَعَوْنِي وَلَمَّا يَنْعَنِي غَيْرُ شَامِتٍ ... وَغَيْرُ عَدُوٍّ قَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ
يَقُولُونَ إِنْ ذَاقَ الرَّدَى مَاتَ شِعْرُهُ ... وَهَيْهَاتَ عُمْرُ الشِّعْرِ طَالَتْ طَوَائِلُهْ
سَأَقْضِي بِبَيْتٍ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ ... وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ حَامِلُهْ
(يَمُوتُ رَدِيُّ الشِّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ ... وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهْ(3))

---

(1) المرة: لغة فى المرأة (رغبة الآمل).

(2) علة: قبيلة.

(3) زيادات ر: «البيت الأخير ليس لدعبل، وإنما هو مضمن».

[لإسماعيل بن القاسم أيضًا]

وقال إسماعيل بن القاسم:

يا مَن يَعيبُ وعَيْبُهُ مُتَشَعِّبٌ ... كَمْ فيكَ من عَيْبٍ وأنتَ تَعيبُ!
لله دَرُّكَ كيفَ أَنْتَ وغايَةٌ ... يَدْعوكَ ربُّك عندها فتُجيبُ

وقال أيضًا:

يا عليُّ بنَ ثابت بانَ منى ... صاحبٌ جَلَّ فَقْدُهُ يومَ بِنْتا
يا عليُّ بنَ ثابتً أَيْنَ أَنَت ... أَنْتَ بين القُبور حَيْثُ دُفِنْتا
قد لعَمْرى حكَيْتَ لى غُصَصَ المَوْ ... تِ وحَرَّكْتَنى لها وسكَنْتا

وقال أيضًا:

صاحبٌ كان لى هَلَكْ ... والسَّبيلُ التى سَلَكْ[1]
يا علىُّ بن ثابت ... غَفَرَ اللهُ لى ولَكْ
كلُّ حَىٍّ مُمَلَّكٍ ... سَوْفَ يَفْنَى وما مَلَكْ

وقال أيضًا:

طَوَتْكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بعد نَشْرٍ ... كذاكَ خُطوبُه نَشْرًا وطَيًّا
فلو نَشَرَتْ قُواكَ لِىَ المَنايا ... شكَوْتُ إليكَ ما صَنَعَتْ إليًّا
بكيتُكَ يا أُخَىَّ بدمعِ عينى ... فلم يُغْنِ البُكاءُ عليك شَيًّا
كَفَى حَزَنًا بدَفْنِكَ ثم إنِّى ... نَفَضْتُ ترابَ قبرِكَ عن يَدَيَّا
وكانتْ فى حَياتِكَ لى عِظاتٌ ... وأنت اليومَ أوعظُ منكَ حيًّا

وكان إسماعيل بن القاسم لا يكاد يُخلى شعرَه مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور، ويتناوله أقْرَبَ مُتَناوَل، ويَسْرِقه أخفَى سَرِقَة.

فقوله: «وأنت اليوم أوعظ منك حيا»، إنما أخذه من قول المُوبَذ لقُبادَ الملك حيث مات، فإنه قال فى ذلك الوقت: كان المَلكُ أمسِ أنْطَقَ منه اليومَ، وهو اليَومَ أوعَظُ منه أمس.

---

(١) زيادات ر: «والسبيل التى سلك: ابتداء وخبر، ومن قال غير هذا فقد أخطأ».

وأخذ قوله:

قد لعَمْرِى حكَيْت لِى غُصَصَ المو ... تِ وَحَــرَّكْــتنى لهــا وسكنتــا

من قول نادبِ الإسْكَنْدَر، فإنه لما مات بكى من بحضرته فقال نادِبه: حَرَّكَنا بسُكونه.

[لإسماعيل بن القاسم أيضًا]

وقال إسماعيل بن القاسم[1]:

يا عَــجَــبــا للناسِ لَــوْ فكَّرُوا ... وحــاسَــبــوا أنفــســهــم أبصَــروا
وعَــبَــروا الدنيــا إلى غَــيْــرِها ... فــإنما الدنيــا لهُمْ مَــعْــبَــرُ[2]
الْخَــيْــرُ مما لَيْسَ يَخْــفَى هو الــ ... ـمَــعْــروفُ والشَّــرُّ هو الْمُــنْكَرُ
وَالمَوْعِــدُ الموتُ ومــا بعــده الــ ... ـحَشْــرُ فَــذَاكَ المَــوْعِـدُ الأَكْــبَــرُ
لاَ فَــخْــرَ إلاَّ فــخــرُ أَهْلِ التُّــقَى ... غَــدًا إذا ضَــمَّــهُــمُ المَــحْــشَــرُ
لَيَــــعْلَمَنَّ الــناسُ أن التُّــــقَى ... والبِــرَّ كــانا خَــيْــرَ مــا يُــذْخَــرُ
عَــجِــبْتُ للإنســان فى فَــخْــره ... وهوَ غَــدًا فى قَــبــره يُــقْــبَــرُ
مــــا بــالُ مَن أوَّلُــه نُطْــفَــــةٌ ... وجِــيــفَــةٌ آخِــرُهُ يَفْــخَــرُ!
أَصْــبحَ لاَ يَمْــلكُ تَقْــديمَ مــا ... يرْجُــو ولا تــأخــيــرَ مــا يَحْــذَرُ
وأَصْــبَح الأَمْــرُ إلــى غَــيــرِه ... فى كلِّ مــا يُقْــضَى ومــا يُقْــدرُ

أما قوله:

يا عــجــبــا للناس لــو فكروا ... وحــاســبــوا أنفــســهــم أبصــروا

فمأخوذ من قولهم: الفِكْرةُ مرآةٌ تُريكَ حَسَنَكَ من قبيحكَ. ومن قول لُقْمَانَ لابنه: يا بُنَيَّ لا ينبغى لعاقلٍ أن يُخْلِىَ نَفْسَــهُ من أربعة أوقات: فوقتٌ منها يناجى فيه ربَّه، ووقت يُحاسِبُ فــيه نفسه، ووقتٌ يكْسِبُ فيه لمعــاشه، ووقتٌ يُخلِّى فيه بين نفسه وبين لذتها؛ ليستعين بذلك على سائر الأوقات.

---

(١) زيادات ر: «وهو أبو العتاهية».

(٢) زيادات ر: «معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج، وبفتح الميم لا غير، رواية عاصم».

وقوله:

وَعَبَرُوا الدنيا إلى غيرها ... فإنما الدنيا لهم مَعْبَرُ

مأخوذ من قول الحسن: اجْعَلْ الدنيا كالقَنْطرة تَجوزُ عليها ولا تَعْمُرُها.

وقوله:

الخير مما ليس يخفى هو الـ ... ـمعروف والشرُّ هو المنكرُ

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبدَ الله كَيفَ بكَ إذا بَقيتَ فى حُثالة من الناس مَرِجَتْ عُهودُهُمْ وأماناتُهم، وصار الناس هكذا»، ـ وشَبَّكَ بين أصابعه ـ، فقلتُ: مُرْنِى يا رسولَ الله، فقال: «خُذْ ما عرَفْتَ، ودَعْ ما أَنْكَرْتَ، وعليك بخُوَيِّصة نفسك، وإيَّاك وعوامّها».

قوله ﷺ: «فى حُثالة من الناس»، أما الْحُثالةُ فهو ما يَبقَى فى الإناء من رَدِىِّ الطعام، وضربه مثَلا. وقوله: «مَرِجَتْ عُهودُهم». يقول: اختلطت وذهبت بهم كلَّ مَذْهَب، يقال: مَرَجَ الماء إذا سال فلم يكن له مانع، قال الله عز وجل: ﴿مرجَ الْبحْريْن يلْتقيان﴾[1].

وقوله:

لَيَعْلَمنَّ النَّاسُ أَنَّ التُّقَى ... وَالْبِرَّ كانا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

مأخوذ من قَوْل أبى هُرَيْرَة عن النبى ﷺ قال: «إذا حُشر الناسُ فى صَعيد واحد نادى مُنادٍ من قبَل العَرْشِ: لَيَعْلَمَنَّ أهلُ المَوْقف، مَنْ أهلُ الكَرَمِ اليومَ؟ لِيَقُمِ المُتَّقون! ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ﴾[2].

وقوله:

مَا بَالُ مَن أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ ... وجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ!

مأخوذ من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه: وما ابْنُ آدَمَ والفَخْر وإنما أوله نُطْفَةٌ، وآخره جيفةٌ، لا يَرْزقُ نفسه، ولا يَدْفعُ حَتْفه.

---

(١) سورة الرحمن ١٩.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

[لابن أبى عيينة]

وقال ابن أبى عُيَينةَ:

مَـــا رَاحَ يَـومٌ عَلَى حَىٍّ ولاَ ابْـتَكَرَا ... إلاَّ رَأَى عـبْـرَةً فـيـــه إن اعْـتَـبَـرَا

وَلاَ أَتَتْ سَاعَةٌ فى الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ[1] ... حَـتَـى تُؤَثِّرَ فى قَـــوْمٍ لَهـــا أَثَرَا

إنَّ اللَّيَـــالِىَ وَالأَيَامَ أَنْفُـــسَــهَـــا ... عَنْ غَـيْرِ أَنْفُسِـهَا لَمْ تَـكْتُمِ الْخَبَـرَا

فأخذ هذا المعنى حَبيبُ بن أوْسٍ الطائىُّ وجمعه فى ألفاظ يسيرة فقال:

عَـمْـرِى لَقَـدْ نَصحَ الزَّمَـانُ وَإنَّهُ ... لَمِنَ الْعَـجَـائِب نَاصِحٌ لا يُشْـفِقُ

فزاد بقوله: «ناصح لا يشفق» على قول ابن أبى عُـيَينةَ شيئًا طريفًا، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام. ولو قال قائل: إن أقرب ما أخَذَ منه أبو العَتاهِيةَ:

لَيَـــعْلَمَنَّ الـنَّاسُ أَنَّ التُّـــقَى ... وَالْبِــرَّ كَـانَا خَـيْـرَ مـا يُـذْخَـرُ

من قول خليل بن أحمد:

[قال أبو الحسن: زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبى ﷺ إلى الوقت الذى وُلِدَ فيه أحمدُ أبو الخليل أحدًا سُمِّىَ بأحمد غيرَه].

وَإذَا افْتَقَـرْتَ إلى الذَّخَائر لَمْ تَجِدْ ... ذُخْـرًا يكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَـالِ[2]

لكان قد قال قولا.

وقال العباس بن الفرج:

أَمَـلِـــى مَـنْ دُونِـهِ أجَـلِــى ... فَـــمـــتَى أُفْـضِى إلى أَمَـلِى

[للخليل بن أحمد]

وقال الخليل بن أحمد، وكان نظر فى النجوم فَأَبْعَدَ ثم لَمْ يَرْضَها فقال:

أَبْـلِغَـــــا عَـنِّـى الْمُنَـجِّمَ أَنِّـى ... كَـافـر بالذى قَـضَــتـه الكواكب

عَـــالِمٌ أَنّ مَـــا يكُونُ وَمَـــا كـــاَ ... نَ بِحَـتْمٍ مِنْ الْـمُـهَـيْـمِنِ وَاجِبْ

(١) زيادات ر: «فانصرفت» أشبه للمطابقة، والمشهور «انصرفت».

(٢) كذا نسبته فى الأصول والمشهور أن البيت للأخطل، وهو فى ديوانه ١٥٨.

[لمحمد بن بشير يعيب المتكلمين]

قال محمد بن بَشِيرٍ يعيب المتكلمين، أنشدنيه الرِّياشىُّ:

يَا سَـــائلى عَنْ مَـــقَـالَة الشِّـــيَعِ ... وَعَنْ صُنُوف الأَهْوَاء وَالْـبِــــدَعِ

دَعْ مَنْ يَقُــودُ الْـكَلاَمَ نَاحِــيَـــةً ... فَـــمَـــا يَقُـــودُ الْكَلاَمَ ذُو وَرَعِ

كـلُّ أُنَاسٍ بَـدِيُّهُـمْ حَـــسَـــنٌ ... ثمَّ يَصِـــيـــرُونَ بَـعْـدُ للـشُّنَعِ

أَكْـثَـرُ مَـــا فِـيـــه أَنْ يَقَـــالَ لَهُ ... لَمْ يَـكُ فى قَـــوْلـه بِمُـنْقَـطِعِ

وأنشد الرِّياشىُّ لغيره:

قَـدْ نَقَّرَ الـنَّاسُ حتَىَّ أَحْـدَثُوا بِدَعًـا ... فى الدِّين بالَّرْأى لَمْ تُبْعَثْ بهَا الرُّسُلُ

حـتَىَّ اسْـتَـخَفَّ بِحَقِّ الله أَكْـثَـرُهُمْ ... وَفى الَّذِى حُـمِّلُوا مِنْ حَـقِه شُـغُلُ

وقال محمد بن بَشِيرٍ:

وَيْـلٌ لِـــمَـنْ لَـمْ يَـرحَـــم اللهُ ... وَمَنْ تَـكُونُ الـنَّارُ مَـــثْــــوَاهُ

يا حَـسْـرَتَا فى كلِّ يَوم مَـضَى ... يُذَكِّـــرُنى الْمـوتَ وَأَنْسَـــــاهُ

من طال فى الـدنيـا بـه عُـمْـرُهُ ... وعَـــاشَ فَـــالموتُ قُـــصَـارَاهُ

كَـأَنَّهُ قَـــد قــيلَ فى مَـجْلِسٍ ... قَـــد كنتُ آتيـــه وأغْـشَـــاهُ

صـــار الْـبَـشِـيــرِىُّ إلى ربه ... يَـرْحَـــــــمُنَـا اللهُ وَإِيَّـاهُ

وقال أيضًا:

أَىُّ صَـــفْـــو إلا إلـى تَكْـدير ... ونَعـــيم إلا إلـى تَغْــيِـــيـــرِ

وسُـــرور ولَذَّة وحُـــبُـــورِ ... ليس رَهْـنًا لنا بيــومٍ عَـسِـيـرِ

عَـجَـبًا لى ومن رضـاى بـدنيـا ... أنا فـيــهـا على شَـفَـا تَغْـرير!

عـــالِـمٌ لا أَشُكُّ أَنِّـى إلى الـلَّـ ... ـه إذا متُّ أو عَـذَاب الـسَّعِـيـر

ثم أَلـهُـــو ولَسْتُ أَدْرى إلـى أَيِّـ ... ـهـمـا بعـدهُ يَصِيـرُ مَـصِـيرى

أَىُّ يَـوْمٍ عـلـىَّ أَفْـظَـعُ مـن يـو ... م به تُـبْـرزُ النُّعـاةُ سَـريرى

كُلَّـمَــا مُـرَّ بى على أهـل ناد ... كُنْتُ حِـينًا بهم كـثِـيـرَ الْمُرور

قِـيلَ: مَنْ ذَا عَلَى سَرِيرِ الْمَنَايَا ... قِـيلَ هذَا مُـحَـمَّـدُ بْنُ بَشِـيـر

وقال الحَكَمِيُّ أبو نُواس:

أخي مَـــا بَالُ قَـلْبِكَ لَيْسَ يَـنْقَى ... كَـــأَنَّكَ لا تَظُـنّ المَوْتَ حَـقًّـا
أَلاَ يَـا بْـنَ الَّـذينَ فَـنُـوا وبَـادُوا ... أَمَـــا وَاللهِ مَـا ذَهَـبُوا لِتَـبْـقَى
وَمَـــا أَحَـــدٌ بِزَادِكَ مِنْـكَ أَحْظَى ... ومَـــا أَحَـــدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَشْـقَى
وَلا لكَ غَـــيْـــرَ تَقْـــوَى اللهِ زَادٌ ... إذَا جَـعَـلَتْ إِلَى اللَّهَـــوَاتِ تَرْقَى

ومما يستحسن من شعره قوله:

لا أَذُودُ الطَّيْـــرَ عَنْ شَـــجَـرٍ ... قَـــدْ بَلَـوْتُ المُرَّ مِـن ثَمَـــرِهْ

فمثل هذا لو تقدم لكان فى صدور الأمثال، وكذلك قوله أيضًا:

فَـــامْضِ لاَ تَـمْنُـنْ عَلَـيَّ يَدًا ... مَنُّـكَ المَعْـــرُوفَ مِنْ كَـــدَرِهْ

وكان يقول: ذِكْرُ المعروف من المُنْعِم إفسادٌ له، وكتمانُه من المُنْعَمْ عليه كُفْرٌ له، وفى هذا الشعر أبيات مختارة، فمنها:

وَإذا مَـجَّ الْـقَنَـا عَـلَـقًـــــا ... وَتَـرَاءَى المَوْتُ فـى صُـــــوَرِهْ
رَاحَ فى ثِـنْـيْ مُـــفَـــاضَـتِـــه ... أَسَـــدٌ يَدْمَى شَـبَـا ظُفُـــرِهْ
تَتَـــأَيَّى الـطَّيْـــرُ غَـــدْوَتَهُ ... ثِقَـــةً بِالـشِّـــبْعِ مِنْ جَـــزَرِهْ
فَـــــاسْـلُ عَنْ نَـوْءِ تُـؤَمِّلُـهُ ... حَـسْـبُكَ الْعَـبَّـاسُ مِنْ مَطَرِهْ
لاَ تَـغَطَّـى عَـنْهُ مَـكْـرُمَـــةٌ ... بِـرُبًا وَادٍ وَلاَ خَـــمَـــــرِهْ
ذُلِّلَـتْ تِـلكَ الْـفِـــجَـاجُ لَــهُ ... فَـــهْـوَ مُـــجْـتَـازٌ عَلَى بَصَـرِهْ

وقد عابوا عليه قوله:

كَـــــيْفَ لاَ يُـدْنِيـكَ مِنْ أَمَـلٍ ... مَنْ رَسُـــولُ اللهِ مِـنْ نَفَـــرِهْ

وهو لَعَمْرى كلام مُسْتَهْجَنٌ موضوع فى غير مـوضعه؛ لأن حق رسول الله ﷺ أن يُضاف إليه، ولا يضافَ إلى غيره، ولو اتسع متسع فأجراه فى باب الحيلة لخرج على الاحتيال، ولكنه عَسِرٌ موضوع فى غير موضعه، وباب الاحتيال فيه أن تقول: قد يقول القائل مِنْ بنى هاشـم لغيره من أفناء قريش: منا رسول الله ﷺ،

وحَقُّ هذا أنه من القبيل الذى أنا منه. فقد أضافه إلى نفسه، وكذلك يقول القُرَشىُّ لسائر العرب، كما قال حسانُ بن ثابت:

وَمَازَالَ فى الإسْلاَمِ مِنْ آلِ هاشم   دعائمُ عِزٍّ لا تُرامُ ومَفخَر
بَهَاليلُ منهم جعفرٌ وابن أمّه   علىٌّ ومنهمْ أحمدُ المُتَخَيَّرُ

فقال: «منهم» كما قال هذا «من نفره»، أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم.

وأما قول حَسَّان: «منهم جعفر وابن أمه علىٌّ ومنهم أحمد المتخيّر» فإن العرب إذا كان العطف بالواو قَدَّمَتْ وأخرتْ، قال الله تبارك وتعالى:

﴿هُوَ الَّذى خَلَقَكُم فَمِنْكم كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[1] وقال: **﴿يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ﴾**[2]، وقال: **﴿واسْجُدِى وَارْكَعِى مع الرَّاكعين﴾**[3]، ولو كان بثمّ أو بالفاء لَم يصلح إلا تقديم المقدم، ثم الذى يليه واحداً فواحداً.

وأما قوله فى هذا الشعر:

وكريمُ الخال من يَمَنٍ   وكريمُ العَم من مُضَرِهْ

فأضاف «مُضَرَ» إليه، فهو أجود كلامٍ لا يمتنعُ منه ممتنع، قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم الجمل للأشْتَر - وهو مالك بن الحارث أَحَدُ النَّخَع ابن عمرو بن عُلَّةَ بن جَلْد - وكان على المَيْمَنَة -: احْملْ، فَحَملَ فى أصحابه فَكَشَفَ منْ بِإزائه، ثم قالَ لهاشم بن عُتْبَةَ بن مالك أحد بنى زُهْرَةَ بن كلاب - وكان على المَيسَرَة - احْمِلْ، فَحَمَلَ فى المضَرِّيَّة فَكَشَفَ مَنْ بإزائه، فقال علىٌّ رضى الله عنه لأصحابه: كيف رأيتم مُضرى ويَمَنِي! فأضاف القبيلتين إلىَ نفسه، قال جرير:

إن الذين ابْتَنَوا مَجْداً ومَكْرُمَةً   تِلْكُمْ قُرَيشىَ والأنصارُ أنصارى

(١) سورة التغابن ٢.
(٢) سورة الرحمن ٣٣.
(٣) سورة آل عمران ٤٣.

[لإسحاق بن خلف البهرانى يمدح على بن عيسى القمى]

ومما يستحسن من أشعار المحْدَثين قول إسحاق بن خَلَفِ البَهْرَانِىّ، ونَسَبَهُ فى بنى حنيفة لسباء وقع عليه، يقوله لعلى بن عيسى بن موسى بن طلحة الأشعرىّ المعروف بالقَمِّىّ[1]:

وللْكُرد منك إذا زُرْتَهُمْ ... بكَيْدكَ يَوْمٌ كيوم الْجَمَلْ
ومازال عيسى بن موسى له ... مَوَاهبُ غَيْرُ النطاف المُكُل[2]
لسلِّ السيوف وشَقّ الصُّفوف ... لنَقْض التِّرات وضَرْبِ القُلَلْ
ولُبْسِ العَجَاجة والخافقاتُ ... تُريكَ المنا برءوس الأَسَلْ
وقد كَشَرَتْ عن شَبَا نَابها ... عروسُ المنيَّة بين الشُّعَل
وَجَاءَتْ تَهَادَى وأبناؤها ... كأنَّ عليهم شُروقَ الطَّفَلْ
خَروسٌ نَطوقٌ إذا اسْتُنْطقتْ ... جَهولٌ تَطيشُ على مَنْ جَهل
إذا خُطبتْ أخذتْ مَهْرَها ... رُءوسًا تَحادَرُ قبل النَّفَلْ
أَلَذُّ إليْهِ من المسْمعات ... وحَثِّ الكؤُوسَة فى يوم طَل
وشُرْبِ المَدام ومَنْ يَشْتَهيه ... مُعاط له بمزاج القُبل
بعثنا النَّواعج تحت الرِّحال ... تَسَافَهُ أشداقُها فى الجُدُل
إذَا مَا حُدين بمدحِ الأَميرِ ... سَبقْنَ لِحَاظَ المُحِثّ[3] الْعَجِلْ

قوله: «تريك المنا». يريد المنايا، وهذه كلمة تَخفُّ على ألسنتهم فيحذفونها، وزعم الأصمعى أنه سمع العرب تقول: دَرَسَ المَنا، يريدون المنازل، وجاء فى التخفيف أعجبُ من هذا. حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعىّ وذكره سيبويه فى كتابه ولم يذكر قائله، ولكن الأصمعىّ قال: كَان أَخَوان متجاوران لا يكلِّم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتىَ وقت الرعى، فيقول أحدهما لصاحبه: ألا تا؟ فيقول الآخر: بلى فا، يريد: ألا تنهض؟ فيقول الآخر، بلى فانهض. وحكى سيبويه فى هذا الباب:

(١) زيادات ر: «منسوب إلى قمة وهى بلدة أو قرية من خراسان».
(٢) المكل: جمع مكول، وهى البئر.
(٣) زيادات ر: «من كسر الميم من حث، ومن ضم الميم جعله من أحث؛ يقال: حث وأحث على فعل وأفعل، لغتان».

بالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وإنْ شَراًّ فَا ... وَلاَ أُرِيدُ الشَّرَّ إلاَّ أنْ تَا

يريد: وإن شرا فشر، ولا أريد الشر إلا أن تريد[1].

وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء، فإنه يقال: إن اللسان إذا كثرت حركته، رقّتْ عَذَبَتُهُ.

وحدثنى أبو عثمان الجاحظ قال: قال لى محمد بن الجَهْم: لما كانت أيامُ الزُّطِّ أدمَنْتُ الفِكْرَ، وأمسكت عن القول، فأصابتنى حُبْسَة فى لسانى.

وقال رجل من الأعراب يذكر آخرَ منهم:

كَأنَّ فِيهِ لَفَفًا إذَا نَطَق ... مِنْ طُولِ تَحْبِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرَقْ

وقال رجل لخالد بن صَفوان: إنك لتُكْثِرُ، فقال أُكْثِر لضربين: أحدهما فيما لا تُغْنِى فيه القلَّة، والآخر لتمرين اللسان، فإن حبسه يورث العُقْلَة.

وكان خالد يقول: لا تكون بليغًا حتى تُكَلِّمَ أَمَتَكَ السوداء فى الليلة الظلماء، فى الحاجة المهمَّة، بما تتكلم به فى نادى قومك، فإنما اللسان عُضْوٌ إذا مَرَّنْتَهُ مَرَنَ، وإذا أهملته خَارَ، كاليد التى تُخَشِّنُهَا بالممارسة، والبدن الذى تُقَوِّيه برفع الحَجَرِ وما أشبهه، والرِّجْل إذا عُوِّدَتِ المشى مشت.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لاتزالون أصِحَّاء ما نزَعْتُمْ ونَزَوْتُمْ. فنزعتم فى القسىّ، ونزوتم على ظهور الخيل.

وقال بعض الحكماء: لا ينبغى للعاقل أن يُخْلِىَ نفسه من ثلاث فى غير إفراط: الأكل، والمشى، والجماع، فأما الأكل فإن الأَمْعاء تضيق لتركه، وكان ابن الزبير رحمه الله يُواصل - فيما ذكروا - بين خمس عشرة من يوم وليلة، ثم يُفْطِرُ على سَمْنٍ وَصَبِرٍ ليَفْتُقَ أمعاءه. قال أبو العباس: قال الأوّل: والمشى إن لم تتعهده أوْشَكْتَ أنْ تطلبه فلا تجده، والجماعُ كالبئر إن نُزِحَتْ جَمَّت، وإن تُرِكْت تَحير ماؤها، وحقُّ هذا كله القصد.

وقوله:

* كَأنَّ عَلَيْهِم شُرُوقَ الطَّفَل *

---

(١) زيادات ر: قال ش: قول أبى العباس: «إلا أن تريد» إنما هو إلا أن تشاء، ولو كان كما قال أبو العباس: كانت التاء مضمومة».

يريد: تألُّق الحديد، كأنَّه شمس طالعة عليهم، وإن لم تكن شمس، وأحسنُ من هذا قول سَلامة بن جنْدَل:

كَأَنَّ النَعامَ بَاضَ فوْقَ رءُوسِهم ... وأَعْيُنُهُمْ تَحْتَ الحَديدِ جَوَاحِمُ[1]

فهذا التشبيه المصيب.

وأما قوله:

أَحَبُّ إلَيْهِ مِنْ المسْمِعَات

فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن إدريس أبو دُلف العِجْلىّ:

يَوْمَاىَ يَوْمٌ فى أَوَانسَ كَالدُّمَى ... لهْوى، ويَوْمٌ فى قِتَال الدَّيْلَمِ

هذَا حَليفُ غَلائِلٍ مكْسُوَّةٍ ... مِسْكًا وَصَافِيَة كَنَضْحِ الْعَنْدَمِ

وَلِذَاكَ خَالِصَةُ الدُّرُوعِ وضُمَّرٌ ... يَكْسُوننا رَهَجَ الْغُبَارِ الأَقْتَمِ

وَلِيَوْمِهِنَّ الفَضْلُ لَوْلا لَذَّةٌ ... سَبَقْت بِطَعْن الدَّيْلَمِىِّ الْمُعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح، وهو:

طَوَاهُ الْهَوَى فَطَوَى مَنْ عَذَلْ ... وَحَالَفَ ذَا الصَّبْوَةِ المخْتَبَلْ

وأما قوله:

* تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فى الجُدُلِ *

فتسافه من السفه، وإنما يصفها بالمَرَح، وأنها تميل كذا مرة، وكذا مرة، كما قال رُؤْبَة:

* يَمْشِى العَرَضْنَى فى الَحِديد الُمتْقَنِ *

وكما قال الآخر:

إذَا رَأَى السَّوْطَ مَشَى الهَيْدَبَى ... ويَتَّقِى الأَرْضَ بِمُعْجٍ رِقَاق[2]

وكما قال الحُطيْئَة:

وإنْ آنَسَتْ حِسًّا مِنَ السَّوْطِ عَارَضَتْ ... بِىَ الْجَوْرَ حَتَّى تسْتَقيمَ ضُحَى الْغَدِ

(١) زيادات ر: «جواحم، أى متقدة».

(٢) زيادات ر: «الهيدبى، بالدال مهملة ومعجمة». وقوله: «بمعج رقاق، يريد قليلة اللحم».

والجُدُلُ: جمع جَديلٍ وهو الزمامُ المجدول، كما تقول: قتيل ومقتول، وأدنى العدد أجْدلَة، كقولك: قضيب وقُضُب وأقضبة، وكذلك كَثيب ورَغيفٌ وجَريبٌ، وفُعْلانٌ كفُعُلٍ فى الكثير، يقال قُضْبان ورُغْفَان وجُرْبان، ومثل قوله:

* تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فى الجُدُلِ *

قول حبيب بن أوْسٍ الطائى:

سَفِيهُ الرُّمْحِ جَاهِلُهُ إذَا مَا ... بَدا فَضْلُ السفيه عَلَى الحَلِيمِ

[لإسحاق أيضاً يمدح الحسن بن سهل]

ومما يُسْتحسن من شعر إسحاق هذا قوله للحسن بن سَهْلٍ:

بَابُ الأَمِيرِ عَرَاءٌ مَا به أَحَدٌ ... إلاَّ امْرُؤٌ وَاضِعٌ كَفًّا عَلَى ذَقَنِ
قَالَتْ وقَدْ أَمَّلْت مَا كُنْتُ آمُلهُ ... هذَا الأَمِيرُ ابْنُ سَهْلٍ حَاتِمُ الْيَمَنِ
كَفَيْتُكَ النَّاسَ لاَ تَلْقَى أَخَا طَلَب ... بفَيْءِ دَارِكَ يَسْتَعْدى عَلَى الزَّمَنِ
إنَّ الرَّجَاءَ الَّذى قَدْ كُنْتُ آمُلُهُ ... وَضَعْتُهُ ورَجَاءَ النَّاسِ فى كَفَنِ
فى اللهِ مِنْهُ وَجَدْوَى كَفِّهِ خَلَفٌ ... لَيْسَ السَّدَى والنَّدَى فى رَاحَةِ الْحَسَنِ

وإسحاق هذا هو الذى يقول فى صفة السيف:

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ ... أَمْضَى مِنَ الأَجَلِ المُتَاحْ
وكأنما ذر الهبا ... ءَ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَاحْ

وإسحاق هذا هو الذى يقول فى مدح العربية:

النَّحْوُ يَبْسُطُ منَ لسان الأَلْكَنِ ... وَالمرْء تُكْرِمُهُ إذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإذَا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُنِ

قال أبو العباس: وأحسبه أخذ قوله:

* وَالمَرْءُ تُكْرِمُهُ إذَا لَمَ يَلْحَنِ *

من حديث حَدَّثَنَاه أبو عثمان الخُزاعىُّ عن الأصمعى قال: كان يقال: ثلاثة يُحْكَمُ لهم بالنُّبْلِ حَتَّى يُدْرَى مَنْ هم، وهم: رجلٌ رأيتَه راكبًا، أو سمعته يُعْرِب،

أو شَممْتَ منه طيبًا. وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى مَنْ هُمْ، وهم: رجل شَممْتَ منه رائحةَ نَبيذ فى مَحْفلٍ، أو سمعته فى مِصْرٍ عَرَبىٍ يتكلم بالفارسيةَ، أو رجلٌ رأيته على ظَهر طريق ينازعُ فى القَدَر.

[لشاعر فى عبد الله بن طاهر]

قال أبو العباس: أنشدنى أحد الأمراء لشاعر من أهل الرَّىِّ يُكنى أبا يزيدَ شيئًا يقوله لعبد الله بن طاهر أَحْسَنَ فيه وأصاب الفَصَّ، وقَصَدَ بالمدح إلى مَعْدِنه، واختاره لأهله:

اشْرَبْ هَنيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا ... فى شَاذَ مِهْرَ وَدَعْ غُمْدَانَ لِلْيَمنِ
فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَاجِ المُلْكِ تَلْبَسُهُ ... مِنْ هَوْذَةَ بن عَلِىٍّ وَابْنِ ذِى يَزَنِ

فَأَحْسَن الترتيب جداًّ، وإن كانت الملوك كلها تلبس التاج فى ذلك الدهر. وإنما ذكر ابنَ ذى يَزَن لقول أُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْت الثَّقفىِّ حيث يقول:

اشْرَبْ هَنيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا ... فى رَأْسِ غُمْدانَ دَارًا منك مِحْلالاَ

وقال الأَعْشَى فى هَوْذَةَ بن على، وإن لم يكن هَوْذَةَ مَلِكا:

منْ يرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِب ... إذَا تَعممَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
لَهُ أَكَاليلُ باليَاقُوت فَصَّلَهَا ... صوَّاغُهَا لا تَرَى عيبًا ولا طَبَعًا

قال أبو العباس: وحدثنى التَّوَّزىّ قال: سمعت أبا عبيدة يقول عن أبى عمرو، قال: لَمْ يُتَوَّجْ مَعدِّىٌّ قط، وإنما كانت التيجان لليمن، فسألته عن هَوْذَةَ ابن على الحنفى، فقال: إنما كانت خرزات تُنْظم له.

قال أبو العباس: وقد كتب رسول الله ﷺ إلى هَوْذَةَ بن علىّ يدعوه كما كتب إلى الملوك، وكان يُجيزُ لَطيمةَ كسْرَى فى البرّ بِجَنَبَاتِ اليمامة. واللَّطيمة: الإبل تَحْملُ الطيبَ والبَزَّ. ووفدَ هَوْذَةُ بن علىٍّ على كِسْرَى بهذا السبب فسأله عن بَنيه، فذكر منهم عَدَدا فقال: أيهم أحبُّ إليك؟ فقال: الصغير حتى يَكْبُرَ، والغائبُ حتى يَقدُمَ، والمريضُ حتى يَصحّ. فقال له كِسْرَى: ما غذاؤُكَ فى بلدك؟ فقال: الخُبْزُ، فقال كسْرَى لجلسائه: هذا عَقْلُ الخُبْزِ، يُفضِّله على عقول أهل البوادى الذين يَغْتذونَ اللبن والتمر.

وقد رُوِى عن النبى ﷺ أنه قال: لَقَدْ هَمَمْتُ ألا أقْبَلَ هَدِيَّةً ـ ويروى: أن لا أتَّهِبَ هِبَةً ـ إلا من قُرَشِيٍّ أو أنصارىٍّ أو ثَقَفِىٍّ. وروى بعضهم: أو دَوْسىٍّ؛ وذلك أن أعرابيا أهدى إليه هدية فمنَّ بها، فذكر رسول الله ﷺ أهلَ الأمصار تفضيلا على أهل البوادى.

[لعبد الله بن محمد بن أبى عيينة]

وقال عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنَة يعاتب رجلا من الأشراف:

أَتَيْتُكَ زَائرًا لِقَضَاءِ حَقٍّ ... فَحَالَ السِّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ
وَعِنْدكَ مَعْشَرٌ فِيهِمْ أَخٌ لِى ... كَأَنَّ إخَاءَه الآلُ السَّرَابُ
ولَسْتُ بِسَاقِط فِى قِدْرِ قَوْمٍ ... وإِنْ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ
وَرَائِى مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاءٍ ... بِجَانِبِه إِذَا عَزَّ الذَّهَابُ

وقال أيضًا:

كنَّا مُلُوكًا إِذْ كَانَ أَوَّلُنَا ... لِلْجُودِ وَالْبَأْسِ وَالعلا خُلِقُوا
كَانُوا جِبَالا عِزًّا يُلاَذُ بِهَا ... وَرَائِحَاتٍ بالْوَبْلِ تَنْبَعِقُ[1]
كَانُوا بِهِمْ تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَى الْـ ... أَرْضِ غِيَاثًا وَيُشْرِقُ الأُفُقُ
لاَ يَرْتُقُ الرَّاتِقُونَ إِنْ فَتَقُوا ... فَتْقًا وَلاَ يَفْتُقُونَ مَا رَتَقُوا
لَيْسُوا كَمِعْزَى مَطِيرَة بَقِيَتْ ... فَمَا بِهَا مِنْ سَحَابَةٍ لَثَقُ[2]
وَالضَّعْفُ وَالْجُبْنُ عِنْدَ نَائِبَة ... تَنُوبُهُمْ وَالْحِذَارُ وَالْفَرَقُ
هذا زَمَانٌ بِالنَّاسِ مُنْقَلِبٌ ... ظَهْرًا لِبَطْنٍ جَدِيدُهُ خَلَقُ
الأَسْدُ فِيهِ عَلَى بَرَاثِنِهَا ... مُسْتَأخِرَاتٌ تَكَادُ تَمَّزِقُ

وكان سبب قوله هذا الشعرَ أن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس كان له صديقًا، وكان عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنَة من رؤساء مَنْ أخذ الْبَصْرَةَ للمأمون فى أيام الْمخلوع، وكان معاضدًا لطاهر بن الحسين فى حروبه، وكان إسماعيل بن جعفر جليلَ القدر، مطاعا فى مَوَاليه وأهله،

(١) الرائحات: السحب، وتنبعق: تتخرق فينزل منها الماء.
(٢) اللثق: البلل.

وكانت الحال بينهما ألطفَ حال، فوصله ابن أبى عيينة بذى اليمينين فَوَلاه البصرة، وولَّى ابن أبى عُيْيَنَة اليمامةَ والبَحْرَيْنِ وَغَوصَ البحرِ فلما رجعا إلى البصرة تَنكَّر إسماعيلُ لابن أبى عُيْيَنَة، فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة، ثم عُزِلَ ابن أبى عُيَيْنَة، فلم يزل يهجو إسماعيل، وسأل ذا اليمينين عزله، فدافعه وضن بالرجل، فكان يهجو مِنْ أهله مَنْ يُوَاصِلُ إسماعيلَ، وكان أكْبَر أهله قدرًا فى ذلك الوقت يزيدُ بن المُنْجَاب، وكان أعور قائم العين لم يُطَّلَعْ على علَّتَه إلا بشعر ابن أبى عُيْيَنَة، وكان منهم. وكان سيِّدَ أهل البصرة أجمعين محمدُ بنَ عَبَّاد بن حبيب بن المهلَّب، ومنهم سعيد بن المهَلَّب بن المغيرة بن حرب ابن محمد بن المهلب بن أبى صُفْرَة، وكان قصيرًا، وكان ابن عَبَّاد أَحْوَلَ، فذلك حيث يقول ابن أبى عُيْيَنَة فى هذا الشعر الذى أمْلَيناه:

تَسْتَقْدمُ النَّعْجتَان والبَرقُ[1] ... فى زمن سَروُ أهله المَلَقُ
عُورٌ وَحُولٌ وثَالثٌ لَهُمُ ... كَأَنَّهُ بَيْنَ أَسْطرَ لَحَقُ[2]

ولهم يقول ولاثنين ظن أنهما معهم، وقد مروا به يريدون إسماعيل بن جعفر:

أَلاَ قُلْ لِرَهْط خَمْسَة أَوْ ثَلاَثَة ... يُعَدُّونَ منْ أَبْنَاء آل المهَلَّب
عَلَى بَاب إسْمَاعيل رُوحُوا وبَكِّرُوا ... دَجاجَ الْقُرَى مَبْثُوثَةَ حَوْلَ ثعْلَب
وَأَثْنُوا علَيه بالجَميل فَإنَّهُ ... يُسرُّ لكم حُبًّا هُوَ الْحُبُّ واقْلب
يلينُ لَكم عنْدَ اللِّقَاء مُوَارِبًا ... وَيَخْلُفُكُمْ منْهُ بنَاب وَمخلَب
وَلولا الَذى تُولُونَهُ لتَكَشَّفَتْ ... سَريرتُهُ عَن بُغْضَة وتَعَصُّب
أَبْعَدَ بَلاَئى عنْدَهُ إذ وَجَدتُهُ ... طَريحًا كَنَصْلِ الْقدحِ لَمَّا يُركَّب
به صَدأٌ قَدْ عَابَهُ فَجَلوْتُهُ ... بكَفِّيَ حَتَّى ضَوْءُهُ ضَوْءُ كَوكَب
وَرَكَّبْتُهُ فى خُوط نَبع ورشْتُهُ ... بقَادمَتَيْ نَسْر ومَتْن مُعَقَّب[3]
فَما إنْ أتَانى منْهُ إلاَّ مُبَوَّأً ... إلَيَّ بنَصْلِ كَالْحَريقِ مُذَرَّبِ

(١) البرق: الخروف والجمع أبراق.
(٢) اللحق: اسم لما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه.
(٣) الخوط: الغض الناعم. راشه: ألزق فيه الريش. والمتن: الوتر.

فــفلَّلْــتُ منهُ حَـــدَّهُ وتَرَكْـتُـــهُ　　كَـهُدْبَةِ ثوْبِ الْخَـزِّ لَمَّا يُهـدَّبِ[1]
رَضِـيتُـمْ بِأَخْلاَقِ الدَّنِيِّ وَعِـفْـتُمُ　　خَـلاَئِقَ مَاضِـيكُمْ مِنَ الْعَمِّ وَالأَبِ

وفى هذا يقول لطاهر بن الحسين:

مَـــالِي رَأَيْتُـكَ تُدْنِى كُلَّ مُنْتَكِثٍ　　إِذَا تَغـيَّبَ مُلْتَـاثٍ إِذَا حَـضَـرَا[2]
إِذَا تنَسَّـمَ رِيحَ الْغَـــدْرِ قَـــابَلَهَـــا　　حَـتَّى إِذَا نَفَـخَتْ فِى أَنْفِـه غَـدَرَا
وَمَنْ يَجِيءُ عَلَى التَّـقْرِيبِ منك لهُ　　وَأَنتَ تَعْـرِفُ فيه الْـمَيْلَ وَالصَّـعَرَا
أَحَلَّـكَ اللهُ مِنْ قَـــحْطَانَ مَنْـزِلَةً　　فى الرَّأْسِ حَيْثُ أَحَلَّ السَّمْعَ وَالْبَصرَا
فَلاَ تُضِعْ حَقَّ قَـحْطَانَ فتُـغْضِبَـهَا　　وَلاَ رَبِيـعَـةَ كَـــلاَّ لاَ وَلاَ مُـضَـرَا
أَعْطِ الرجالَ عَلَى مِـقْدَارِ أَنْفُـسِهِم　　وَأَوْلِ كُـلاًّ بِمَـا أَوْلَى ومَـا صَـبَـرَا
وَلاَ تقـــولَنّ إِنِّى لَسْتُ مِنْ أَحَـــدٍ　　لاَ تَمْحَقِ النَّيِّرَيْنِ الشَّـمْسَ وَالْقَمَرَا

ويقول له فى أخرى:

هُوَ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ للهِ وَالرِّضَـا　　إِذَا نَزَلَتْ بِـى خُطَّةٌ لاَ أَشَـــاؤُهَا
إِذَا نحْـنُ أُبْنَـا سَـــالِمِين بِأَنْـفسٍ　　كِرَامٍ رَجَتْ أَمْـرًا فَخَـابَ رَجَاؤُهَا
فَـأَنْفُـسُنَا خَـيْـرُ الْـغَنِيـمَـةِ إِنَّهَـا　　تَؤُوبُ وَفِـيـهَا مَـاؤُهَا وَحَـيَـاؤُهَا
هى الأَنْفُسُ الكُبْرُ الَّتِى إِنْ تَقَدَّمَتْ　　أَوِ اسْتَأْخَرَتْ فَالْقَتلُ بالسَّيْفِ دَاؤُهَا
سَـيَـعْلَمُ إِسْمَـاعِـيلُ أَنَّ عَـدَاوَتِى　　لَهُ رِيقُ أَفْـعَـى لاَ يُصَـابُ دَوَاؤُهَا

ولما حُمِلَ إسماعيل مُقَيَّدًا ومعـه ابناه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه، وكان الذى تولى ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لإسماعيل أيامَ الخُضْرَةِ[3] فقال ابن أبى عُيَيْنَة فى ذلك:

مَـــرَّ إِسْـــمَـــاعِـــيلُ وَابنَا　　هُ مَـــعًـــا فـى الأَسَـــرَاءِ
جَـالِسًـــا فى مَـحْـمِـلِ ضَنْـ　　ـكٍ عَـلَى غَـــيْـــرِ وِطَـاءِ
يَتَـــغَـنَّى الْقَـــيْـــدُ فى رِجْـ　　ـلَيْـــــهِ أَلْـوَانَ الـغِـنَـاءِ

(١) يهدب: يقطع.
(٢) المنتكث: الهزيل، والملتاث: البطىء.
(٣) قال المرصفى: «أيام الخضرة هى الأيام التى أمر المأمون فى جنده وقواده وبنى هاشم أن تطرح شعار السواد، وأن تلبس الخضرة فى أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم يوم أن جعل على بن موسى بن جعفر ولى عهد المسلمين من بعده وسماه الرضا». رغبة الآمل ٤ : ١٤١.

بَاكِــيًــا لاَرَقَــأَتْ عَــيْـ ـــنَاهُ مِــنْ طُــولِ الــبُــكَــاءِ
يَا عُــقَــابَ الدَّجْنِ فــى الأَمْـ ـنِ وَفِــى الخَــوفِ ابنُ مَــاءِ[1]

وقد كان تطيّر عليه بمثل ما نزل به، فمن ذلك قوله:

لاَ تَعْــدَمِ الْعَــزْلَ يَا أَبَا الحَــسَنِ وَلاَ هُزالاً فــى دَوْلَةِ الــسِّــمَنِ
وَلاَ انتــقَــالا منْ دَار عَــافيَــة إلىَ ديَـار الْبَــلاَءِ وَالــفــتَنِ
وَلا خُــرُوجًــا إِلَى القِــفَــار مِنَ الْـ أَرْضِ وَتَرْكَ الأَحْــبَــاب وَالْوطَنِ
كَمْ رَوْحَــة فــيكَ لِى مُــهَــجِّــرَة وَدُلْجَــة فى بَقــيَّــة الْــوَسَنِ
فى الْحرِّ وَالْقُــرِّ كَى تُولَّى عَلَى الْـ ـبَـصْرَة عَــيْنَ الأَمْــصَار وَالْمُدُن
إِنِّى أُحَــاجِــيكَ يَــا أَبَا حَــسنٍ مَــا صُــورَةٌ صُــوِّرَتْ فَــلَمْ تَكُن؟
وَمَــا بَــهِىٌّ فى الْعَــيْنِ مَنْظَرُهُ لَــوْ وَزَنُــوهُ بِالــزِّفِّ لَــم يَــزِن؟[2]
ظَــاهِــرُهُ رَائِــعٌ وَبَــاطِــنُــهُ مَــلآنُ مِنْ سَــــوْءَةٍ وَمِنْ دَرَنِ[3]

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زَعْبَل، مولى بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وكان منقطعًا إلى إسماعيل وولده، وكان لاَ يَبْلُغُ ابن أبى عُيَيْنَة فى الشعر ولا يدانيه، ومن أَمْثَل شعره وما اعترَض له به قوله:

إنى أُحــاَجيك مَــا حَنيفٌ عَلى الْـ ـفِطْرَة بَــاعَ الرَّبَــاحَ بِالْغَــبَنِ
وَمَــا شُــيَيْخٌ منْ تحْت سِــدْرَته مُــعَلَّقٌ نَعْلَهُ عَــلى غُــصُن؟
وَمَــا سُــيُــوفٌ جُــمْــرٌ مُصَــقَّلَةٌ قَدْ عُرِّيَتْ منْ مَــقَابِضِ السَّفن؟[4]
وَمَــا سِــهَــامٌ صُــفْــرٌ مُــجَــوَّفَــةٌ تُحْــشَى خُيُــوطَ الْكَتَّــانِ والقُطُن؟
وَمَا ابنُ مَاء إنْ يُــخْرِجُوهُ إلى الأَرْ ضِ تَسِــلْ نَفْــسُــهُ مِنَ الأُذُن؟
وَمَــا عــقَــابٌ زَوْرَاء تُلْــجَمُ منْ خَلَفٍ فَتَهوى قَصْدًا عَلى سَنَن؟[5]
لَهَــا جَنَاحَــان يَحْــفِزان بهَــا نيطَــا إِلَيْــهَــا بِجِــذْوَتَىْ وَسَن
يَا ذَا الْيَــمينَين اضْــرِب عِلاَوَتَه[6] يُدْفَعْ وَمَــانِى فى النَّار فى قَــرَن[7]

---

(١) طائر بألف الماء. (٢) الزف: ريش النعام.
(٣) الدرن هنا: الدنس. (٤) السفن بالتحريك: جلد خشن غليظ يكون على قوائم السيوف.
(٥) زيادات ر: «قيل السفينة، وقيل الراية، وهو أصح؛ لأن جده حبس راية طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام».
(٦) العلاوة: الرأس.
(٧) زيادات ر: قوله: «ومانى فى النار فى قرن» مانى: اسم علم، وكان رأسًا من رءوس الزنادقة».

فأجابه إبراهيم السَّواقُ مولى آلِ المُهَلَّبِ - وكان مُـقدَّمًا فى الشعر - بأبيات لا أحفظ أكثرها، منها:

قَـدْ قِيـلَ مَا قِـيلَ فى أَبى حَـسَنِ ... فَـانْتَـحِـروا فى تَطـاُولِ الزَّمَنِ

وهذا السَّواق هو الذى يقول لـبُسْرِ بن داود بن يزيد بن حاتم بن قَبِـيصة بن المُهَلَّب:

سَـمَـاؤُكَ تُـمطِرُ الـذَّهَبَـا ... وَحَـرْبُـكَ تَلتَظى لَهَـبَـا

وأَىٌّ كَـتِـيبَـةٍ لاَقْـتـ ... ـكَ لَمْ تَـسْتَـحْـسِـن الهـرَبَا

ومن شعره السائر:

هَبِـينى يَا مُـعَـذِّبَتى أَسَـأتُ ... وَبِالْهِـجْـرَانِ قَـبْلَكُـمُ بَدَأْتُ

فَـأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْـكِ فَدَتْكِ نَفْسى ... عَلَىَّ إِذَا أَسَـأتِ كَمَـا أَسَـأتُ!

ولابن أبى عُيَيْنَة فى هذا المعنى أشعار كثيرة فى معاتبات ذى اليمينين وهجاء إسماعيل وغيره، سنذكرها بعدُ فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومن شعره المستحسَن قوله فى عـيسى بن سليمان بن علـى بن عبد الله بن العباس، وكانَ تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمةُ بنت عمر بن حفص هزَارَ مَرْد(١)، وهو من ولد قَبيصةَ بن أبى صفْرَةَ، ولم يَلِدْهُ المُهَلَّبُ، وكان يقال لأبى صُفْرَةَ ظالم بن سَرَّاق:

أَفَاطم قَـدْ زُوِّجْت عيسَـى فأَيْقنى ... بِذُلٍّ لَدَيْـه عَـاجلٍ غَـيْـرِ آجلِ

فإنَّـك قَدْ زُوِّجْت عَنْ غَـير خِـبْرَة ... فَتًى منْ بَنـى الْعَبَّاسِ لَيْسَ بعَاقلِ

فَـإنْ قُـلْت منْ رَهْط النَّبىِّ فَـإنَّهُ ... وَإنْ كَانَ حُرَّ الأَصْلِ عَبْدُ الشَّمَائلِ

فَـقَـدْ ظَفَـرَتْ كَـفَّـاهُ منْك بطَائلٍ ... وَمَـا ظَفـرَتْ كَـفَّـاك مـنْهُ بطَائلِ

وَقَـدْ قَالَ فـيه جَـعْـفَرٌ وَمُـحَمَّـدٌ ... أَقَـاويلَ حَـتَّى قَـالَـهَـا كُلُّ قَـائلِ

وَمَـا قُلْتُ مَـا قَـالاَ لأَنَّك أُخْـتُنَا ... وفى السِّـرِّ منَّا وَالذُّرَا وَالْـكَوَاهلِ

لَعَـمْـرى لَقَـدْ أَثْبَـتَّـه فى نصَـابه ... بأَنْ صرتِ منْهُ فى مَـحَلِّ الْحَلاَئلِ

إِذَا مـا بَنُو الْعَـبَّاسِ يَوْمًـا تَبَـادَرُوا ... عُرَا المَجْـدِ وَابْتَاعُوا كِرَامَ الْفَـضَائلِ

---

(١) زيادات ر: وقعت الرواية كما فى الأصل، وصوابه: «هزاذ مـرد» بالزاى والذال معجمة، ولا خلاف فى الزاى».

رَأيت أبَا الْعَبَّاسِ يَسْمُو بنَفْسِهِ ... إلى بَيْعِ بَيَّاحَاتِه وَالمَبَاقِلِ[1]
يُرَخِّمُ بَيْضَ العَامِ تحْتَ دَجَاجِهِ ... لِيُخْرِجَ بَيْضًا مِنْ فَرَارِيجِ قَابِلِ

قال أبو الْعَبَّاسِ: وَوَلَدُ عِيسَى من فاطمة هذه لَهمْ شجاعةٌ وَنَجْدَةٌ وشدة أبدان، وفاطمة التى ذكرتها هى التى كان يَنْسبُ بها أبو عُيَيْنَة أخو عبد الله ويكنى عنها «بدُنْيا»، ومن ذلك قوله لها:

دَعَوْتُك بالْقَرابَة وَالْجِوَارِ ... دُعَاءَ مُصَرِّحٍ بَادى السِّرَارِ
لأَنِّى عَنْك مُشْتَغِلٌ بنفْسِى ... وَمُحْتَرِقٌ عَلَيْك بغَيْرِ نَارِ
وأَنْت تَوَقَّرِينَ ولَيْس عِندى ... عَلى نَارِ الصَّبَابَةِ منْ وَقَارِ
فأَنْت لأَنَّ مَا بك دُونَ مَا بى ... تُدَارِينَ الْعُيُونَ ولاَ أُدَارى
ولَوْ وَالله تَشْتَاقِينَ شَوْقِى ... جَمَحْتِ إلىَّ خَالِعَةَ الْعِذَارِ

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى الأَمِيرَ رِسَالة ... مَحْصُورةً عِنْدى عَنِ الإنشَادِ
كُلُّ الْمَصَائب قَدْ تَمُرُّ عَلى الْفَتى ... فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَة الْحُسَّادِ
وَأَظُنُّ لى منهَا لَديْكَ خَبِيئَةً ... سَتَكُونُ عِنْدَ الزَّادِ آخِرَ زَادِ
مَالى أَرَى أَمْرِى لَدَيْكَ كَأَنَّهُ ... مِنْ ثِقْله طَوْدٌ مِنَ الأَطْوَادِ!
وَأَرَاكَ تُرْجِيه وَتُمْضِى غَيْرَهُ ... فى سَاعَةِ الإصْدَارِ وَالإيرَادِ
اللهُ يَعْلَمُ مَا أَتَيْتُكَ زَائرًا ... منْ ضِيقِ ذَاتِ يَدٍ وَضِيقِ بلادِ
لكنْ أَتَيْتُكَ زَائرًا لَكَ رَاجِيًا ... بكَ رُتْبَةَ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ
قَدْ كَانَ لِى بالْمِصْرِ يَوْمٌ جَامعٌ ... لَكَ مُصْلِحٌ فيه لكُلِّ فَسَادِ
وَدَعَوْتُ مَنْصُورًا فَأَعْلَنَ بَيْعَةً ... فى جَمْعِ أهْلِ المِصْرِ وَالأَجْنَادِ
بَارَتْ مُسَارَعَتِى إلَيْك بطَاعَتى ... كُلَّ البَوَارِ وَآذَنَتْ بكَسَادِ
فى الأَرْضِ مُنْفَسَحٌ وَرِزْقٌ وَاسِعٌ ... لِى عَنْكَ فى غَوْرِى وفى إنْجَادِى

وقال أيضًا يعاتبه:

أَيَاذَا الْيَمِينَيْنِ إنَّ العِتَا ... بَ يُغْرِى صُدُورًا وَيَشْفِى صُدُورا
وكنت أَرَى أنَّ تَرْكَ الْعِتَا ... بِ خَيْرٌ وَأَجْدَرُ ألا يَضِيرا

(١) البياحة: شبكة تحبس البياح، وهو نوع من السمك، والمباقل: مواضع بيع البقل.

إلى أنْ ظَنَنْتُ بأنْ قَدْ ظَنَنْتَ ... بأنّى لنَفْسىَ أرْضَى الْحَقيرَا

فأضْمَرَتِ النَّفْسُ فى وَهْمِهَا ... منَ الْهَمِّ هَمًّا يكُدُّ الضَّميرَا

ولاَبُدَّ للْمَاءِ فى مِرْجَلٍ ... عَلَى النَّار مُوقدَةً أنْ يَفُورَا

ومَنْ أُشْربَ الْيَأْسَ كانَ الْغنىَّ ... ومَنْ أُشْربَ الْحرصَ كانَ الْفقيرَا

عَلاَمَ وَفيمَ أرَى طَاعَتى ... لَدَيْكَ ونَصْرِى لَكَ الدَّهْرَ بُورَا

ألَمْ أكُ بالمصْرِ أدعُو الْبَعيدَ ... إلَيْكَ وأدْعُو الْقَريبَ الْعَشيرَا

ألَمْ أكُ أوَّلَ آتٍ أتَاكَ ... بطَاعَةِ مَنْ كَانَ خَلْفى بَشيرَا

وألْزَمُ غَرْزَكَ فى مَأقطِ الْـ ... ـحُرُوبِ عَلَيْهَا مُقيمًا صَبُورَا(١)

فَفيمَ تُقَدِّمُ جُفَّالَةً ... إلَيْكَ أمَامى وأُدْعَى أخيرَا(٢)

كأنَّكَ لَمْ تَرَ أنَّ الْفَتَى الْـ ... ـحَمىَّ إذَا زارَ يوْمًا أميرَا

فَقَدَّمَ مَنْ دُونَهُ قَبْلَهُ ... ألَسْتَ تَرَاهُ بسُخْطٍ جَديرًا!

ألَسْتَ تَرَى أنَّ سَفَّ التُّرَابِ ... به كَانَ أكْرَمَ مَنْ أنْ يَزُورَا

ولَسْتُ ضَعيفَ الْهَوَى والمَدَى ... أكُونُ الصَّبَا وأكُونُ الدَّبُورَا

ولَكنْ شهَابٌ فَإنْ تَرْمِ بى ... مُهِمًّا تجدْ كَوْكَبى مُسْتَنيرَا

فَهَلْ لَكَ فى الإذْنِ لى رَاضيًا ... فَإنى أرَى الإذْنَ غُنْمًا كَبيرَا

وكَانَ لَكَ اللهُ فيمَا ابْتُعثْتَ ... لَهُ مِنْ جهَادٍ ونَصْرٍ نَصيرَا

ولاَ جَعَلَ اللهُ فى دَوْلَةٍ ... سَبَقْتَ إلَيْهَا وريحٍ فُتُورَا

فَإنَّ ورَائىَ لى مَذْهَبًا ... بَعيدًا منَ الأرْضِ قَاعًا وقُورَا(٣)

به الضَّبُّ تحْسَبُهُ بالْفَلاَةِ ... إذَا خَفَقَ الآلُ فيهَا بَعيرَا

ومَالاً ومصْرًا على أهْلهِ ... يَدُ اللهِ منْ جَائرٍ أنْ يجُورَا

وإنى لَمنْ خَيْرِ سُكَّانهِ ... وأكْثَرِهِمْ بنَفيرِى نَفيرَا

وقال عبد الله لعلى بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، وكان دعاه إلى نُصْرَته حين ظهرت المُبَيِّضَة(٤) فلم يُجبهُ، فتوعّده علىٌّ، فقال عبد الله:

(١) الغرز: مساك رجل الراكب. والمأقط: المضيق فى الحرب. (٢) الجفالة: كثير الجفول.

(٣) القاع: الأرض المستوية لا نبات فيها. والقور: جمع قارة، وهى قمة الجبل.

(٤) قال المرصفى: «المبيضة قوم من أعداء الدولة العباسية، جعلوا شعارهم بيض الثياب يخالفون به شعار بنى العباس من لبس السواد».

أَعليٌّ إنَّكَ جَاهلٌ مَغْرُورُ . لاَ ظُلْمةٌ لَكَ، لاَ ولاَ لَكَ نُورُ
أَكَتَبْتَ توعدُنى إذ استَبْطأْتَنى إنِّى بَحرْبكَ مَا حَيِيتُ جَدِيرُ
فَدَعِ الْوَعيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرى أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الْبَعُوضِ يَضِيرُ
وإذَا ارْتحَلْتُ فَإنَّ نَصْرِى للأُلَى أَبوَاهُم المَهْدىُّ وَالْمَنصُورُ
نَبَتَتْ عَلَيْه لُحُومُنَا ودمَاؤُنَا وَعلَيْهِ قُدِّرَ سَعْيُنَا المَشْكُورُ

وقال عبد الله فى قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المُهَلَّبِ مَنْ قتل بأرض السِّنْد بدم أخيه المُغيرة بن يَزيد:

أَفْنَى تَميمًا سَعْدَهَا وربَابَهَا بالسِّنْد قَتْلُ مُغيَرةَ بن يزيد
صَعَقَتْ عَلَيْهم صَعْقَةٌ عَتَكِيَّةٌ[1] جَعَلَتْ لَهُم يَوْمًا كَيَوْمِ ثَمود
ذَاقَتْ تَميمٌ عَرْكَتَيْنِ عَذَابَنَا بالسِّنْد منْ عُمَر ومَنْ داود
قدنا الجياد من العراق إليهم مِثْلَ الْقَطَا مُسْتَنَّةً لوُرود[2]
يحملن من ولد المهلب عصبة خُلِقَتْ قُلُوبُهُمُ قُلُوبَ أُسودِ

وفى المغيرة يقول فى قصيدة مطوّلة:

إذَا كَرَّ فيهمْ كَرَّةً أَفْرَجُوا لَهُ فِرارَ بُغَاث الطَّيْرِ صَادَفْنَ أَجْدَلاَ
وَمَا نيلَ إلا منْ بَعِيد بحَاصب منْ النَّبْلِ والنُّشَّاب حَتَّى تَجَدَّلاَ
وَإنِّى لَمُثْنٍ بالَّذى كَانَ أَهْلَهُ أَبُو حَاتم إنْ نَابَ دَهْرٌ فَأَعْضَلاَ
فَتًى كَانَ يَسْتَحيى منَ الذَّمِّ أَنْ يرى لَهُ مَخْرَجًا يوْمًا عَلَيْه وَمَدْخَلاَ
وَكَانَ يَظُنُّ المَوْتَ عَارا عَلَى الْفَتى يَد الدَّهْرِ إلا أَنْ يُصَابَ فَيُقْتَلاَ
مَنيَّةُ أَبْنَاء المُهَلَّب إنَّهُمْ يَرونَ بهَا حَتْمًا كتَابًا مُعَجلاَ
وَقَدْ أَطْلَقَ اللهُ اللِّسَانَ بقَتْلِ مَنْ قَتَلْنَا به منْهُمْ وَمَنَّ وَأَفْضَلاَ
أَنَاخَ بهمْ داوُد يَصْرفُ نَابَهُ وَيُلْقى عَلَيْهمْ كلْكَلاً ثُمَّ كلْكَلاَ
يُقتِّلهُمُ جُوعًا إذَا مَا تَحَصَّنُوا وَتَقْريهمُ هُوجُ المَجَانيق جَنْدَلاَ

وهذا شعر عجيب من شعره.

(١) عتكية: منسوبة إلى جده الأكبر عتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن ماء السماء. رغبة الآمل ٤ : ١٥١.

(٢) مستنة: مسرعة فى طيرانها.

وفى هذه القصة يقول:

أَبَت إلاَ بُكَاءً وانتحابًا وذكرًا للمُغيرَة واكتئابًا
أَلَمْ تعلَمْ بأنَّ القَتْل وِرْدٌ لنَا كالمَاء حين صَفَا وطابًا
وَقُلْتُ لَهَا: قرى وثقى بقولى كأنّك قد قرأْت به كتابًا
فقد جاء الكتابُ به فقولى ألاَ لا تعدم الرَّأى الصَّوابَا
جلبْنَا الخيلَ منَ بغدادَ شُعْثًا عَوابس تَحملُ الأُسْدَ الغضابَا
بكُلِّ فَتًى أغرَّ مُهلَّبِيٍّ تخالُ بضوء صُورته شهابَا
ومنْ قحطانَ كُلَّ أخى حفاظ إذا يُدعى لنائبة أجابَا
فَمَا بلَغتْ قُرى كرْمانَ حتَّى تخدَّد لحمُها عنها فذابَا
وكانَ لهُنَّ فى كرْمانَ يَوْمٌ أمرَّ علَى الشُّراة بهَا الشَّرابَا(١)
وإنَّا تاركُونَ غدًا حديثًا بأرض السِّنْد سَعْدًا والرِّبابا
تُفَاخرُ بابْنِ أحوزهَا تَميمٌ لَقَدْ حَانَ المُفاخرُ لى وخَابَا

وفى مثل هذا البيت الأخير يقول أبو عُيَيْنَة:

أعاذلُ صَهْ لَسْتَ منْ شيمَتى وإنْ كنتَ لى نَاصحًا مُشفقا
أراكَ تُفرِّقُنى دائبًا ومَا ينبغى لىَ أنْ أفرَقَا(٢)
أنا ابنُ الَّذى شَادَ لى منْصبًا وكَانَ السِّماكَ إذا حلَّقَا
قَريعُ العراق وبطْريقُهُمْ وعزُّهُمُ المُرتجى المُتَّقى
فَمنْ يَستَطيعُ إذَا ما ذَهبْتُ أَنْطقُ فى المَجْد أَنْ يَنْطقَا
أنا ابنُ المُهلَّب ما فوقَ ذَا لعَالٍ إلَى شَرف مُرتَقى
فدعْنى أُغْلى ثيابَ الصِّبَا بجدَّتهَا قبلَ أنْ تَخلُقَا

***

قال أبو الحسن: وهذا شعر حَسَنٌ، أوله:

أَلَمْ تنْه نفسَك أنْ تعشقَا ومَا أنتَ والعشْقُ لوْلاَ الشَّقَا
أمنْ بعد شُربكَ كأسَ النُّهى وشمِّكَ رَيْحانَ أهلِ النَّقا
عَشقْتَ فأصبحتَ فى العاشقيـ ـنَ أشهرَ منْ فرس أبلَقَا

---

(١) الشراة: جماعة من الخوارج.
(٢) تفرقنى: تخوفنى.

ثم قال:

* أعاذِلُ صَهْ لَسْت مِنْ شِيمَتى *

ثم قال بعد قوله:

* فَدَعْنِىَ أغْلِى ثِيَابَ الصِّبَا *

أَدُنْيَـاى مِنْ عَـمْـرِ بَحْـرِ الْهَـوَى   خُـذِى بِيَـدِى قَـبْلَ أَنْ أَغْـرَقَـا
أنا لَكِ عَـبْـدٌ فَكُونِـى كَـمَنْ   إِذَا سَـرَّهُ عَـبْـدُهُ أعْـتَـقَـا

قال أبو الحسن: قوله «أنَا لك عـبدٌ» فـوصل بالألف، فهذا إنمـا يجوز فى الضرورة، والألف تَثْبُتُ فى الوقفَ لبيـان الحركة، فلم يُـحْتَجْ إلى الألف، ومن أثبتها فى الوصل قاسه على الوقف للضرورة، كقوله:

فَـإنْ يَكُ غَـثًّـا أَوْ سَـمِينًا فَـإِنَّنِى   سَـأَجْعَلُ عَيْـنَيْهِ لِـنَفْسِـهِ مَـقْنَعَـا

لأنه إذا وُقِفَ وُقِفَ على الـهـاء وَحْدَهـا، فأَجْـرَى الـوصل على الوقف، وأنشدوا قول الأعشى:

فَكَيْـفَ أَنَا وَانْتِـحَـالُ الْقَـوَا   فِ بَعْـدَ الْمَشِيبِ كَـفَى ذَاكَ عَـارًا

والرواية الجيدة: «فَكَيْفَ يَكُونُ انْتِحَالُ القَوَافِ بَعْدَ الْمَشِيبِ»

سَـقَى اللهُ دُنْـيَـا عَلَى نَـأْيِهـا   مِنَ الْقَـطْرِ مُنْبَـعِـقًـا رَيِّقَـا
أَلَمْ أَخْـدَعِ الـنَّاسَ عَنْ حُـبِّـهـا   وَقَـدْ يَخْـدَعُ الْكَـيِّسُ الأَحْـمَـقَا
بلَـى وَسَـبَـقْـتُـهُـمُ إِنَّـنِى   أُحِبُّ إِلَى الْمَـجْـدِ أَنْ أسـبِـقَا
وَيَـوْمَ الْجِـنَـازَةِ إِذْ أَرْسَـلَـتْ   على رقَـبَـةٍ أن جِـئِ الْخَنْدَقَـا
إِلَى السَّـالِ فَـاخْـتَـرْ لَنا مَـجْلِسًا   قَـرِيبًـا وَإِيَّـاكَ أَنْ تَخْـرُقَـا

ـ هذا مما يَغْلَطُ فيه عامةُ أهلِ البصرة، يقولون: «السال» بالتخفيف، وإنما هو السالُّ يا هذا، وجـمعه سُـلاَّن، وهو الغالُّ وجمـعه غُلاَّنٌ، وهـو الشَّقُّ الخفىّ فى الوادى ـ

فَكُـنَّا كَـغُـصْـنَـيْنِ منْ بَـانَةٍ   رَطِيـبَـيْنِ حـدْثَـانَ مَـا أَوْرَقَـا
فـقَـالَتْ لِتِـربٍ لَهَـا اسْـتَنْشِـدِيـ   ـهِ مِنْ شِـعْـرِهِ الْحَسَنِ الْمُنْـتَـقَى

فَقُلْتُ أُمِرْتُ بِكتمانه ... وَحُذِرتُ إنْ شاع أَنْ يُسْرَقا
فَقَالَتْ بِعَيشِكِ! قُولِى لَهُ ... تَمَتَّعْ لَعَلَّكَ أَنْ تنفقا

قوله: «لعلك أن تنفقا» اضطرار. وحقه «لعلك تَنْفُقُ»؛ لأن «لَعَلَّ» من أخوات إنَّ فأُجرِيَتْ مُجْرَاها، ومن أتى بأن فلمضارَعتها عسى، كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَة:

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ ... عَلَيْكَ مِنَ اللَّائى يَدَعْنَكَ أَجْدَعا

وهو كثير.

***

قال أبو العباس: وزعم أبو مُعاذ النُّمَيْرِىّ أنه كَان يَعْتاد عبدَ الله بن محمد بن أبى عُيَيْنَة، ويكثر المقامَ عنده، وكَانَ راويةً لشعره، وأمُّ ابن أبى عُيَيْنَة بن المهلب يقال لها: خَيْرَة، وهى من بنى سلَمة الخَيْرِ بن قُشَيْرِ بن كَعْب بن رَبِيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة، فَأَبْطَأْتُ عليه أياما فكتب إلىّ:

تَمَادى فى الجَفَاء أَبُو مُعاذ ... ورَاوَغنى ولاذَ بلا مَلاَذ
ولَوْلاَ حَقُّ أَخْوَالِى قُشَيْرٍ ... أَتَتْهُ قَصَائدٌ غَيْرُ اللِّذَاذ
كَمَا رَاحَ الْهِلاَلِىُّ بْنُ حَرب ... بِهِ سِمَةٌ عَلَى عُنُقٍ وَحَاذِ[1]

- يعنى محمد بن حرب بن قَبِيصة بن مُخَارِق الهلالىّ، وكان من أَقْعَدِ الناس.

ولقبيصة بن المخارق صحبة لرسول الله ﷺ، وكان قد سار إليه فأكرمه وبَسَطَ له رِدَاءَه وقال: «مرحبًا بخالى»! فقال: يا رَسول الله، رَقَّ جِلْدِى، ودَقَّ عَظْمى، وقَلَّ مالى، وهُنْتُ على أهلى! فقال له رسول الله ﷺ: «لقد أَبْكَيْتَ بما ذكرتَ ملائكةَ السماء».

ومحمدُ بن حَرْبٍ هذا وَلِىَ شُرْطَةَ البصرة سبع مرات، وكَانَ على شُرْطَة جعفر بن سليمان على المدينة، وكَانَ كثير الأدب غَزِيرَهُ، فَأَغْضَبَ ابنَ أبى عُيَيْنَة

(١) الحاذ: الظهر.

فى حُكْمٍ جرَى عليه بحضرة إسحاق بـن عيسى - وكان على شرطته إذ ذاك - ففى ذلك يقول عبد الله بن أبى عُيَيْنَة:

بأخْـوَالى وأَعْـمَـامى أَقَـامَتْ	قُـرَيْشٌ مُلْكهـا وبِهَـا تُهَـابُ
مَـتَـى مَـا أَدْعُ أَخْـوَالى لـحَـرْبٍ	وأَعْـمَـامـى لنَائبَـة أَجـابُوا
أَنَـا ابْـنُ أَبـي عُيَيْنَة فَـرْعُ قَـوْمى	وكَـعْبٌ وَالدِى وأَبى كِـلابُ
خَـلاَ ابْـنِ عُكَابَةَ الظَّرِبَان سَـهلٍ	لَهُ فَـسْـوٌ تُصَـادُ به الضِّـبَابُ
وآخَـر مِنَ هِلاَل قَـدْ تَـدَاعَى	فَـصَـارَ كَـأنَّهُ الشَّىْءُ الخَـرَابُ

باب

[نبذ من أقوال الحكماء]

قال أبو العباس: كَان ابن شُبْرمةَ إذا نزلت به نازلةٌ قال: سَحابة ثم تَنْقَشِعُ.

وكان يقال: أربع من كنوز الجنة: كِتْمانُ المصيبة، وكِتمانُ الصدقة، وكِتْمانُ الفاقةِ، وكِتْمانُ الوجعِ.

قال عمر بن الخطاب رحمه الله: لو كان الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ بَعِيرَيْن ما باليتُ أيَّهما رَكِبْتُ.

[للعتبي يذكر ابنا له مات]

وقال العُتْبِيُّ محمد بن عبيد الله، يذكر ابنًا له مات:

أَضْحَتْ بِخَدِّى للدُّمُوعِ رُسُومُ ... أَسَفًا عَلَيْكَ وَفِى الْفُؤَادِ كُلومُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فى المَصَائِبِ كُلِّهَا ... إلا عَلَيْكَ فَإِنَّه مَذْمُومُ

قال أبو العباس: وأحسب أن حبيبًا الطائى سمع هذا فاسْتَرَقَهُ فى بيتين: أحدهما قوله فى إدريس بن بَدْر الشامى:

دُمُوعٌ أَجَابَتْ دَاعِىَ الْحُزْنِ هُمَّعٌ ... تَوَصَّلُ مِنَّا عَنْ قُلُوب تَقطَّعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لابِسُ الصَّبْرِ حازمًا ... فَأَصْبَحَ يُدْعَى حازِما حِينَ يجزَع

والآخر قوله:

قَالُوا الرَّحِيلَ! فَمَا شَكَكْتُ بِأَنَّهَا ... نَفْسى عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلا
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَدُّدا ... فِى الْحُبِّ أَحْرَى أَنْ يكُونَ جَمِيلا

وقال سابقٌ البَرْبَرِىُّ:

وَإِنْ جَاءَ مَا لاَ تَسْتَطِيعَانِ دَفْعَهُ ... فَلاَ تجزَعَا مِمَّا قَضَى اللهُ وَاصبِرَا

وقال آخر أيضًا:

اصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ المَجْلُوب وَارْضَ بِهِ ... وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لاَ تَشْتَهِى الْقَدَرُ
فَمَا صَفَا لامْرِئٍ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ ... إِلا سَيَتْبعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدَرُ

[خالد بن صفوان مع بلال بن أبى بردة]

وكان خالد بـن صَفْوان يدخل على بلال بن أبى بُرْدَةَ يحدثه فـيَلْحَن، فلما كثر ذلك على بلال قال له: أتحدثنى أحاديثَ الخلفاء، وتَلْحَنُ لحْنَ السَّقَّاءات! قال التَّوَّزى: فكان خـالدُ بن صفوان بعـد ذلك يأتى المسجد ويتـعلم الإعْرابَ، وكُفَّ بَصَرُهُ فكان إذا مَرَّ به موْكِبُ بلالٍ يقول: ما هذا؟ فيقال له: الأمير، فيقول خالد:

* سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَليل تَقشَّعُ *

فقيل ذلك لبلال، فأجلسَ معه مَنْ يأتيـه بخبره، ثم مَرَّ به بلال، فقال خالد كمـا كان يقول، فقـيل ذلك لبلال، فأَقبَـلَ على خالد فقال: لا تَقـشَّع والله حتى تصيبَك منها بشـؤبوب بَرَدٍ! فضربه مائتى سوط. وقال بعـضهم: بل أَمرَ به فدِيس بطنُهُ.

قوله: «بشؤبوب»، مـهموز، وهو الدُّفْعَة من المطر بشدة، وجـمعه شآبيبُ. قال النابغة يخاطب القبيلة:

ولاَ تُلاَقِى كـمـا لاَقَتْ بَنُو أَسَـدٍ　　　فَـقَـدْ أَصَـابَتْـهُمُ مِنْهَـا بشُـؤْبُوبِ

يريد مـا نال بنى أسد من غـارة النعمـان عليهم، وضـرب الشؤبوب مـثلا للغـارة، والغارةُ تُضْرَبُ لذلـك مثلا، كـما يقـال شَنَّ عليهم الغـارةَ، أى صبّـها عليهم، قال ابن هَرْمَة:

كَمْ بَازِلٍ قَـدْ وَجَـأْتُ لَبَّـتَـهَـا　　　بِمُـسْتَـهِلِّ الـشُـؤْبُوبِ أَوْ جَـمَلِ

يريد ما وَجَأَها به من حديدة، يقول: لمـا وَجَأْتُها دفَعَتْ بشؤبوب من الدم، فكأنه قال: «بسِنانٍ مُسْتَهِلِّ الشُؤْبُوبِ»، أو ما أشبه بذلك.

[خالد بن صفوان وسليمان بن على]

وكان خالد بن صَفْوان أحدَ مَنْ إذا عَرَضَ له القولُ قال، فيقال: إن سليمان ابـن علىّ سـأله عن ابـنَيْـه جـعـفر ومـحـمدٍ، فـقـال: كـيف إحْمـادُك جـوارَهمـا يـا أبـا صفوان؟ فقال:

أَبُو مَـالكٍ جَـارٌ لَـهَـا وَابْنُ بُرْثُنٍ　　　فَـيَـالَكَ جَـارَى ذِلَّةٍ وَصَـغَـارِ!

* * *

ش: قوله: أبو مالك، صوابه «أبو نافع» وهو مَوْلَى لعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

* * *

فأَعْرَضَ عنه سُليمانُ، وكان سُليمانُ من أَحْلَمِ الناسِ وأكرمِهِم، وهو فى الوقت الذى أَعْرَضَ فيه عنه والِى البَصْرَةِ وعَمُّ الخليفة المنصور، والشعر الذى تَمَثَّلَ به خالد ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيَرى، قال:

سَقَى اللهُ دَارًا لى وَأَرضًا تَرَكْتُهَا ... إِلَى جَنْبِ دَارَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارِ
أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثُن ... فَيَالَكَ جَارَىْ ذِلَّةٍ وَصَغَارِ!

* * *

وكَان الحسن يقول: لسانُ العاقل من وراء قلبه، فإن عَرَضَ له القولُ نظر، فإن كَان له أن يقول قال، وإن كان عليه القولُ أَمْسَكَ، ولسانُ الأَحْمَق أمامَ قلبه، فإذا عرض له القول قال، كان عليه، أَوْ لَهُ.

وخالدٌ لم يكن يقول الشِّعْرَ، ويُرْوَى أنه وَعَدَ الفَرَزْدَقَ شيئًا فأخره عنه، وكان خالد أحد البُخَلاءِ، فمر به الفَرَزْدَقُ فَهَدَّدَهُ، فأمسك عنه حتى جاز الفَرَزْدَقُ، ثم أقبل على أصحابه فقال: إن هذا قد جَعَلَ إحْدَى يَدَيْه سَطْحًا، وملأ الأخرى سَلْحًا، وقال: إن عَمَرْتُمْ سَطْحِى، وإلا نَضَحْتُكُمْ بِسلْحِى!

[من أخبار إياس بن معاوية]

وقال إياسُ بن معاوية المُزَنِىُّ أبو واثلةَ - وكان أحد العقلاء الدُّهاة الفضلاء - لخالد: لا ينبغى أن نجتمع فى مجلس، فقال له خالد: وكيف يا أبا واثلة؟ فقال: لأنك لا تحب أن تسكت، وأنا لا أحب أن أسمع!

وخاصم إلى إياس رجلٌ رجلا فى دَيْنٍ وهو قاضى البصرة، فَطَلَبَ منه البيِّنةَ، فلم يأته بمَقْنَع، فقيل للطالب: استَجِرْ وَكيعَ بن أبى سُود حتى يَشْهَدَ لك، فإن إياسًا لا يَجْتَرِئُ على رَدِّ شهادته، ففعل، فقال وكيعٌ: والله لأَشْهَدَنَّ لك، فإن رَدَّ شهادتى لأُعَمِّمَنَّهُ السيفَ! فلما طَلَعَ وكيعٌ فَهِمَ إياسٌ عنه فأَقْعَدَهُ إلى جانبه، ثم سأله عن حاجته، فقال: جئتُ شاهدًا، فقال له: يا أبا المُطَرِّفِ، أتشهد

كما تفعل المَوَالى والعَجَمُ؟ أنت تَجلُّ عن هذا ! فقال: : إذَن واللهِ لا أشهد، فقيل لوكيع بَعْدُ: إنما خدَعَك، فقال: أَوْلَى لابن اللَّخْناءِ !

وشهد رجلٌ من جلساء الحسن بشهادة عند إياس فرده، فشكا الرجل ذلك إلى الحسن، فأتاه الحسن فقال: يا أبا واثلة، لم رَدَدْتَ شهادةَ فلان؟ فقال: يا أبا سعيد، إن الله تعالى يقول: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهداءِ﴾[1] وليس فلان ممن أَرْضَى.

[من أخبار أبى دلامة]

واختلف نَصرانىٌّ إلى أبى دُلامةَ مولًى بنى أسد يَتَطَبَّب لابن له، فوعده إن برَأ عَلَى يديه أن يُعْطيه أَلْفَ درهَم، فبرأ ابنه، فقال للمتطبّب: إن الدراهمَ ليست عندى، ولكن والله لأُوَصِّلَنَّها إليك، ادَّعِ على جارى فلان هذه الدراهم فإنه مُوسر، وأنا وابنى نشهد لك، فليس دون أخذها شىءٌ، فصار النصرانىُّ بالجار إلى ابنِ شُبْرُمَةَ، فسأله البينةَ، فطلع عليه أبو دُلامةَ وابْنُهُ، ففهم القاضى، فلما جلس بين يديه قال أبو دُلامةَ:

إن النَّاسُ غَطَّونى تَغطَّيْتُ عَنهُمُ ... وَإنْ بَحَثُونى كَانَ فيهمْ مَباحث
[وَإِنْ حَفَرُوا بِئْرِى حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ ... لِيَعْلَمَ قَومٌ كَيفَ تِلْكَ النَّبائِثُ]

فقال ابنِ شُبْرُمَةَ: من ذا الذى يَبْحَثُكَ يا أبا دُلامةَ؟ ثم قال للمدعى: قد عرفتُ شاهدَيْكَ ! فَخلِّ عن خصمك، ورُحِ العَشيَّةَ إلىَّ، فراح إليه فَغَرِمها من ماله.

[من أخبار عبيد الله بن الحسن العنبرى]

وشهد أبو عُبَيْدَةَ عند عُبَيْدِ الله بن الحسن العَنْبَرِىِّ على شهادة ورجل عدل، فقال عبيدُ الله للمُدَّعِى: أما أبو عبيدة فقد عرفته، فزدنى شاهدًا.

وكان عبيدُ الله أحد الأدباء الفقهاء الصُّلحاء، وزعم ابن عائشة قال: عَتَبْتُ عليه مرة فى شىء، قال: فلقينى يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم، وأنا أخرج فقلت مُعَرِّضًا به:

(١) سورة البقرة ٢٨٢.

طَمِــعْتَ بِلَيْـلَى أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَــا تُقَطِّعُ أعْـنَاقَ الرِّجَــال المَطَامِعُ(١)

فأنشدنى مُعَرِّضًا تاركا لما قصدتُ له:

وَبَايَعْتُ لَيْلَـى فِى خَـلاءٍ وَلَمْ يكنْ شُـهُودٌ عَلَـى لَيْلَى عُدُولٌ مَـقَـانِعُ

وكان ابن عائشة يَتَحَدَّثُ عنه حديثًا عجيبًا، ثم عُرِفَ مَخْرَجُ ذلك الحديث.

ذكر ابن عائشــة، وحدثنى عنه جماعة لا أحـصيهم كَثْرَة: أن عــبيد الله بن الحسن شهد عــنده رجل من بنى نَهْشَل على أمر أَحْسِبُهُ دَيْنًا فـقال له: أَتَرْوِى قولَ الأسود بن يَعْفُر:

* نَامَ الْخَلِيُّ فَمَا أحِسُّ رُقَادِى *

فقال له الرجل: لا! فَرَدَّ شهادَتُه وقال: لو كان فى هذا خير لَرَوَى شرف أهله.

[من أخبار سوار بن عبد الله]

فحـدثنى شيخ من الأَزْد حديثًـا ظننت أن عبيــد الله إياه قَصَدَ، قــال: تقدم رجل إلى سَوَّارِ بن عــبد الله - وسَوَّار ابنُ عَــمِّ عبيــد الله بن الحسن - يَدَّعى دارًا، وامرأةٌ تدافِعُهُ وتقــول لسَوَّار: إنها والله خِطَّةٌ ما وقع فيهــا كتاب قَطُّ. فأتى المدعى بشاهدين يـعرفهــما سَوَّار، فـشهدا له بـالدار، وجعلت المرأة تنكر إنكارا يَعـضُدُه التصديق، ثم قالت: سَلْ عن الشــهود، فإن الناس يتغيرون، فَرَدَّ المســألة، فَحُمِدَ الشاهدان. فلم يزل يُرَيِّثُ أمورهم، ويسألُ الجيرانَ، فكلٌّ يصدِّقُ المرأةَ، والشاهدان قد ثبتــا، فشكا ذلك إلى عبيد الله. فـقال له عبيد الله: أنا أحْـضرُ مجلس الحُكْم معك فآتيك بالجَلِيَّة إن شاء الله تعالى، فقال للشاهدين: ليس للقاضى أن يسألكما كيف شــهدتما، ولكن أنا أســألكما. قــال: فقالا: أراد هذا أن يَحُجَّ فـأدارنا على حُدُودِ الدار من خــارج، وقال: هذه دارى، فإن حــدث بى حادث فَلْتُبَعْ ولْتُـقْسَمْ على سبيل كـذا، قال: أفعندكما غــيرُ هذه الشهادة؟ قالا: لا، فقــال: الله أكبر! وكذا لو أدرتُكما على دار سَوَّار، وقلت لكما مثل هذه المقالة، أكنتــما تشهدان بها لى؟ فَفَهِمَا أنهما قد اغترَّا، فكان سَوَّار إذا سأله عن عدالة الشــاهد يُتْبِعُ المسألةَ أن يقول: أفجائز العدالةِ هو؟ فظننت أن عبيــد الله رأى فى الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه.

---

(١) زيادات ر «ألمت».

وحدثنى أحد أصحابنا أن رجلا من الأعْراب تقدم إلى سَوَّار فى أمر فلم يصادف عنده ما يُحِبُّ، فاجتهد فلم يَظْفرْ بحاجته، قال: فقال الأعرابى، وكانت فى يده عَصًا:

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا ... وكُنْتُ للأَحْلاَمِ عَبَّارا
بِأَنَّنى أخْبِطُ فى لَيْلَتى ... كلْبًا فَكَانَ الْكَلْبُ سَوَّارَا

ثم انحنى على سَوَّارٍ بالعصا فضربه حتى مُنِعَ منه، قال: فما عاقبه سَوَّارٌ بشىء.

قال: وحُدِّثْتُ أن أعرابيا من بنى العَنْبَرِ سار إلى سَوَّار فقال: إن أبى مات وتركنى وأخًا لى - وخط خطين فى الأرض - ثم قال: وَهَجِينًا - وخط خَطًّا ناحية - فكيف نَقسم المال؟ فقال: أهاهنا وراثٌ غيركم؟ قال: لا، قال: المال بينكم أثلاثا. فقال: لا أحسبُك فَهِمْتَ عنى! إنه تركنى وأخى وهَجِينًا لنا، فقال سَوَّار: المال بينكم أثلاثا، قال: فقال الأعرابى: أيأخذ الهجينُ كما آخذ، وكما يأخذ أخى! قال: أفعل! فغضب الأعرابى، قال: ثم أقبل علىَّ سَوَّار فقال: تَعَلَّمْ والله إنك قليلُ الخالات بالدَّهْناء، فقال سَوَّار: إذًا لا يَضيرنى ذلك عند الله شيئًا[1].

[أنفة عقيل بن علفة]

وكان عَقيلُ بن عُلَّفَة من الغَيْرة والأَنَفَة على ما ليس عليه أحدٌ علمناه، فخطب إليه عبدُ الملك بن مَرْوَان ابنته على أحَدِ بَنِيهِ، وكانت لعَقيل إليه حاجاتٌ فقال: أمَّا إذْ كنتَ فاعلا فجنِّبْنى هُجَناءَك.

وخَطَبَ إليه ابنتَه إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوَليدِ بن المغيرة - وهو خال هشام بن عبد الملك ووالِى المدينة، وكان أبيضَ شديد البياض - فردَّه عَقيلٌ وقال:

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا ... أَبَتْ أَعْرَاقُهُ إلا احْمِرارا

وكانت حَفْصةُ بنت عمرانَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله قد ميتَ عنها، فخطبها جماعةٌ من قريش، أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن

---

(١) زيادات ر: «قيل إنه ليس بالدهناء أمة، وإنما كان فيها الحرائر».

على بن أَبى طالب، وأحدهم إبراهيم بن هشام، فكان أَخوها محمد بن عمران، إذا دخل إلى إبراهيم بن هشام أَوسع له وأنشده:

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتى أَخُوهَا ... فَقُلْتُ أَتى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ
أُحِبُّكَ أَنْ نَزَلْتَ جِبَالَ حِسْمَى ... وَأَنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةَ مِنَ قَرِيبِ

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعْمَر الْعُذْرِى، فأما جَميلُ بن معمر الجُمَحىُّ فلا نَسَبَ بينهُ وبين معمر، أى ليس بينه وبينه أبٌ آخر، وكانت له صُحْبَةٌ، وكان خاصًّا بعمر بنْ الخطاب رضى الله عنه.

[عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب]

ويروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: أتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله، فسمعته يُنْشِدُ بالرُّكبانيَّة(١):

وَكَيْفَ ثَوَائِى بِالمدينة بَعْدَمَا ... قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بنُ مَعْمَرِ

فلما استأذنتُ عليه قال لى: أَسَمِعْتَ ما قلتُ؟ فقلتُ: نَعَمْ! فقال: إنَّا إذا خَلَوْنَا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم.

* * *

قال ش: وَهِمَ أبو العباس رحمه الله فى هذا، وإنما القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمن بن عوف يُنْشِدُ.

* * *

[لأبى خراش، وكان قد قتل أخاه جميل بن معمر]

وكان جَميلُ بن معمر الجُمَحِى قتل أَخا لأبى خِراش الهُذَلِّى يوم فتح مكة وأَتاه من ورائه وهو موثَقٌ فضربه، ففى ذلك يقول أبو خراش:

فَأُقْسِمُ لَوْ لاَقَيْتَهُ غَيْرَ مُوثَقٍ ... لآبَكَ بِالْعَرْجِ الضِّبَاعُ النَّوَاهِلُ
لَكَانَ جَمِيلٌ أَسْوَأَ النَّاسِ صِرْعَةً ... وَلكِنَّ أَقْرَانَ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ
فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... وَلكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلاَسِلُ
وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ ... سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا فَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ

(١) الركبانية: غناء للعرب فيه مد وتمطيط. (رغبة الآمل).

قوله: «أسوأ الناس صرعة»، أى الهيئة التى يُصْرَعُ عليها كما تقول: جلست جِلْسَة وركبت رِكْبَة، وهو حَسَنُ الْجِلْسَة والرِّكْبَة، أى الهيئة التى يَجْلس عليها وَيَركَبُ عليها، وكذلك القِعْدَة والنِّيمَة. وقوله: «لآبكَ»، أى لعادكَ، وأصل هذا من الإياب والرُّجوع، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾[1]. وقال عَبِيدُ بن الأَبْرَصِ[2]:

* وَكُلُّ ذى غَيْبَة يَئُوبُ *

وقوله: «بالعَرْجِ»، فهو ناحية من مكة، به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عَفَّانَ، فسمى العَرْجِىَّ، ويقال: بل كان له مال بذلك الموضع، فكان يقيم فيه.

* * *

قال ش: هذا وَهْمٌ من أبى العباس رحمه الله، وأما صوابه فعبد الله بن عمر ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه.

* * *

والنَّواهلُ فيه قولان: أحدهما العطاشُ ـ وليس بشىء ـ والآخر الذى قد شَرِبَ شَرْبَةً فلم يَرْوَ، فاحتاج إلى أَنْ يَعُلَّ، كما قال امْرُؤُ الْقَيس:

إذ هُنَّ أَقْسَاطٌ كَرِجْلِ الدَّبَى   أَوْ كَقَطَا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ[3]

وقوله: «أحاطَتْ بالرقاب السلاسلُ»، يقول: جاء الإسلامُ فمنع من الطلب بالأوتار إلا على وجهها، وكان يقال: إن أول من أَظْهَرَ الجَوْرَ من القضاة فى الحُكم بلالُ بن أَبى بُرْدَةَ، وكان أمير البصرة وقاضيها، وفى ذلك يقول رُؤْبَة[4]:

وَأَنْتَ يا بن القاضِيَيْنِ قاضِ

وكان بلال يقول: إن الرجلين لَيتقدَّمان إلىَّ فأَجِدُ أحدَهما على قلبى أَخَفَّ فأقضى له.

---

(١) سورة الغاشية ٢٥.

(٢) بقيته كما فى زيادات ر:

* وغائبُ الموتِ لاَ يَئُوبُ *

(٣) أقساط: قطع. الدبى: جماعة الجراد.

(٤) بعده كما فى زيادات ر:

* مُعتزم على الطريق ماض *

[بلال بن أبى بردة وعمر بن عبد العزيز]

ويروى أن بلالا وَفَد على عمر بن عبد العزيز بِخُناصِرَةَ، فَسَدِكَ [ش: معناه لَصِق] بسارِيةٍ من المسجد، فجعل يصلى إليها ويديم الصلاة، فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المُغيرة بن البُنْدار: إنْ يكُنْ سِرُّ هذا كعَلانِيَتِه فهو رجلُ أهلِ العراق غيرَ مُدافَع، فقال العَلاء: أنا آتيك بخبره، فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء، فقال: اشْفَعْ صَلاَتَكَ فإن لى إليك حاجةً، ففعل، فقال العلاءُ: قد عرفتَ حالى من أمير المؤمنين، فإن أنا أَشَرْتُ بكَ على ولايةِ العراق فما تجْعَلُ لى؟ قال: لك عُمَالتى[1] سنة، وكان مَبْلَغُها عشْرِينَ أَلْفَ أَلْف درهم، قال: فاكتب لى بذلك، قال: فارْقَدَّ[2] بلالٌ إلى منزله، فأُتى بِدَواة وصَحِيفة فكَتَبَ له بذلك.

فأتى العلاء عمر بالكتاب، فلما رآه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب ـ وكان والىَ الكوفة ـ أما بعد: فإن بلالا غَرَّنا بالله فكدنا نَغْتَرُّ، فَسَبَكْناهُ فوجدناه خَبَثًا كُلَّهُ، والسلام.

ويروى أنه كتب إلى عبد الحميد: إذا وَرَدَ عليك كتابى هذا فلا تستَعِنْ على عملك بأحد من آل أبى موسى.

[شعر ذى الرمة فى بلال]

قال أبو العباس: وكان بلالٌ داهيَةً لقِنًا أديبًا، ويقال: إن ذا الرُّمَّة لمّا أنشده:

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا ... فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعى بِلالاَ
تُنَاخِي عِنْدَ خَيْرِ فَتًى يَمَانٍ ... إِذَا النَّكْبَاءِ نَاوَحَتِ الشَّمَالاَ

فلما سمع قوله:

* فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعى بِلالاَ *

قال: يا غلامُ، مُرْ لها بقَتٍّ ونَوَى، أراد أن ذا الرُّمَّة لا يُحْسِنُ المدح.

(١) زيادت ر: «العمالة؛ بضم العين: أجرة العامل».

(٢) زيادات ر: «معناه: أسرع».

قوله: «سمعت الناسُ ينتجعون» حكاية، والمعنى إذا حُقِّقَ إنما هو سمعت هذه اللفظةَ، أى قائلا يقول: «الناسُ ينتجعون غَيْثًا»، ومثل هذا قوله:

وَجَدْنَا فِى كِتَابِ بَنِى تَمِيمٍ أَحَقُّ الخَيْلِ بالرَّكْضِ المُعَارُ

فمعناه: وجدنا هذه اللفظةَ مكتوبَة، فقوله: «أَحَقُّ الخَيْلِ» ابتداء، «والمُعَارُ» خبره، وكذلك «الناسُ» ابتداء، و«ينتجعون» خبره. ومثل هذا فى الكلام: قرأتُ «الحمدُ لله ربِّ العالمينَ»، إنما حكَيْتَ ما قرأتَ، وكذلك قرأتُ على خاتِمه «اللهُ أكْبَرُ» يا فتى، فهذا لا يجوز سواه.

وقوله: «إذَا النَّكْبَاء نَاوَحَتِ الشَّمالاَ» فإن الرياح أربع، ونكْباوَاتُها أربعٌ، وهى الريح التى تأتى من بين ريحين فتكون بين الشَّمال والصَّبَا، أو الشَّمال والدَّبُور، أو الجَنُوبِ والدَّبُور، أو الجَنُوب والصَّبَا، فإذا كانت النَّكْبَاء تُناوِحُ الشمال فهى آيَة الشتاء. ومعنى «تُنَاوِحُ» تُقابلُ، يقال: تَنَاوَحَ الشَّجَرُ، إذا قابل بعضُهُ بَعْضًا، وزعم الأصمعى أن النائحة بهذا سُمِّيَتْ؛ لأنها تقابل صاحبتها.

وقال يَحْيى بن نَوْفَل الحِمْيَرِىُّ - ويقال إنه لم يَمْدَحْ أحدًا قط:

فلَوْ كُنْتُ مُمْتَدِحًا للنَّوال فَتًى لاَمْتَدَحْتُ عَلَيْه بلالاَ
ولكنَّنى لَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ بمَدْحِ الرِّجَال الْكرَامِ السُّؤَالاَ
سَيكْفِى الْكَرِيمَ إخَاءُ الْكَرِيم وَيَقْنَعُ بِالْوُدِّ مِنْهُ نَوَالاَ

ومن أحسن ما امْتَدحَ به ذو الرُّمَّة بِلاَلاَ قوله:

تَقُول عَجُوزٌ مَدْرَجِى مُتَرَوِّحًا عَلَى بَيْتِهَا منْ عنْد أَهْلِى وَغَادِيَا
أَذُو زَوْجَة بالمصْرِ أمْ ذُو خُصُومَة أَرَاكَ لَهَا بالْبَصْرَةِ الْعَامَ ثَاوِيَا
فَقُلْتُ لَهَا: لاَ إنْ أَهْلِى لَجِيرَةٌ لأكْثِبَةِ الدَّهْنَا جَمِيعًا وَمَالِيَا[1]
وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصرَتِنى فى خُصُومَة أُرَاجِعُ فيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا
وَلَكنَّنى أَقْبَلْتُ منْ جَانبَىْ قَسًا أَزُورُ فَتًى نَجْدًا كَرِيمًا يَمَانِيَا
منْ آلِ أَبى مُوسى تَرَى القَوْمَ حَوْلَهُ كَأَنَّهُمُ الْكرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا
مُرِمِّينَ مِنْ لَيْث عَلَيْه مَهَابَةٌ تَفَادَى أُسُودُ الْغَابِ مِنْهُ تَفَادِيَا

(١) زيادات ر: قوله «لا» لحن، وهذا اللحن راجع على المرأة؛ لأن «لا» لا تقع إلا فى جواب «أو»، وإنما سألته بأم، وهى لم يستقر عندها علم.

وَمَا الْخُـرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الخَنَى   عَلَيْـهِمْ وَلَكِنْ هَيْـبَةٌ هِـىَ مَا هِيـا

قوله «مَـدرجى» يقول: مُرورى، فـأما قولهم فى المَثَلِ: خَـيْرُ مَنْ دَبَّ ومن دَرَجَ، فمعناه: مَنْ حَيِى ومَنْ ماتَ، يريدون: مَنْ دَبَّ على وجه الأرض ومَنْ دَرَجَ منها فذهب.

وقوله:

* أراكَ لها بالبصرة العامَ ثاويا *

فـإنه يقال فى هذا المعنى: ثَـوَى الرجلُ فهـو ثاوٍ، يا فتى، إذا أقـام، وهى أكثر، ويقال: أَثْوَى فهو مُثْوٍ يا فتى، وهى أَقَلُّ من تلكٌ، قال الأَعْشَى:

أَثْوَى وَقَـــصَّـــرَ لَـيلَةً لِيُـــزَوَّدا   فَمَـضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَـوْعِدَا

وقوله: «قَـسًا»، فـهو مـوضع من بلاد بنى تميم. وقولـه: «لأكثبـة الدهنا» فأكْثِبَـةٌ جمع كَثِيب، وهو أَقَلُّ العدد، والكثير كُـثْبٌ وكُثْبانٌ: والدَّهنا من بلاد بنى تميم، ولم أسمَعْ إلا القصر من أهل العلم والعرب، وسمعت بَعْدُ من يَرْوِى مَدَّها ولا أعرفه، قال ذو الرمة:

حَنَّتْ إِلَى نَعَمِ الدَّهْنَـا فَقُلْتُ لهـا   أُمِّى هِلاَلاً عَلَى التَّـوْفِيقِ وَالرَّشَـدِ

يعنى هِلال بن أَحْوَزَ المازنى، وقال جرير:

* بَازٍ يُصَعْصِعُ بِالدَّهْنا قَطًا جُونا *

وقوله:

* كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا *

فالكِرْوَان جماعة كَـرَوان، وهو طائر معروف، وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكمـاله، ولكنه على حذف الـزيادة، فالتـقدير: كَـرًا وكرْوانٌ، كـما تقـول: أَخٌ وإِخْوَانٌ، وورَل ووِرْلانٌ، وبَرَقٌ وبرَقانٌ، والـبَرَقُ أعجميّ ولكنه قـد أُعْرِبَ وجُمِعَ كَما تُجْـمَعُ العربيةُ، واستعـمل الكَرَوانُ جمعًا على حذف الزيادة، واسْتُعْمِلَ فى الواحد كذلك، تقول العرب فى مَثَلٍ من أمثالها:

أَطرِقْ كَـــرَا أَطْـرِقْ كَـــرَا   إِنَّ النَّـعَــــامَ فى الْـقُـــرَى

يريدون الكَرَوانَ.

وقوله:

* من آل أبي موسى ترى القوم حوله *

فقال: «تَرَى»، ولم يقل: تَرَيْنَ، وكانت المخاطَبَةُ أَوَّلا لامرأة، ألا تراه يقول:

وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتنى فى خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا

ثم حَوَّل المخاطَبَة إلى رجل، والعرب تفعل ذلك، قال الله عزَّ وجل: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾(1)، فكأنَّ التقدير ـ والله أعلم ـ: كان الناسُ، ثم حُوِّلَتَ المخاطبةُ إلى النبيِّ ﷺ. وقال عَنْتَرَةُ بن شَدَّاد:

شَطَّتْ مزَار الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَىَّ طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَم

وقال جرير:

مَا للمَنَازِل لاَ تجِيبُ حَزِينا أصَمَمْنَ أمْ قَدُمَ المَدَى فَبَلِينا
وَتَرَى الْعَوَاذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلاَمَتِي وَإِذَا أَرَدْنَ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا

قال أولا لرجل، ثم قال: «سوى هواك». وقال آخر:

فِدًى لَكَ وَالِدى وَسَرَاةُ قَوْمِى وَمَالِى إِنَّهُ مِنْهُ أَتَانِى

على تحويل المخاطبة.

وقوله: «مُرِمِّين»، يريد سُكونًا مُطْرِقين، يقال: أَرَمَّ إِذَا أَطْرَقَ ساكتًا.

وقوله: «تَفادَى أُسودُ الغاب» معناه تفتدى منه بعضُها ببعضٍ. وفى الخبر أن سليمان بن عبد المَلك أمر بدفع عيالِ الحَجَّاج ولُحْمَته إلى يَزيد بنِ المُهَلَّبِ فَتفادَى منهم، تأويله: فَدَى نَفسَهُ من ذلك المَقام بغيره. وقوله:

وَمَا الْخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الخَنَى عَلَيْهِمْ وَلكِنْ هَيْبَةٌ هِىَ مَا هِيَا

إذا رفعت «هيبة» فالمعنى: ولكن أمره هيبة، كما قال الله عز وجل: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إلا ساعةً من نَهَارٍ بَلاغٌ﴾(2)، أى ذلك بلاغ، ومثله قوله عز وجل:

---

(1) سورة يونس ٢٢.

(2) سورة الأحقاف ٣٥.

﴿طَاعَةٌ وَقَولٌ مَعْروف﴾[1] يكون رفعُـهُ على ضربين أحـدهما أمْرنا طاعـةٌ وقولٌ مـعروف، والوجـه الآخر طاعـةٌ وقولٌ مـعروف أمْـثَلُ. ومن نصب «هيبـة» أراد المصدر، أي ولكن يُهابُ هَيبةً.

وأحسن ما قيل في هذا المعنى:

يُغْضي حـيَاء ويُغْضَى مِنْ مَهَـابَتِهِ فــمــا يُـكَلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْـتَـسِمُ

وقال الْفَرَزْدَقُ، يعني يَزِيدَ بن المهلب:

وإذَا الرِّجَــال رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَــهمْ خُـضُعَ الرِّقَـابِ نَوَاكِسَ الأبْصَـارِ

وفي هذا البيت شيء يستطرفه النحويون، وهو أنهـم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتًا على فَوَاعِل، لئلا يلتبس بالمؤنث، لا يقولون: ضارِب وضَوَارب، وقاتِل وقواتِل؛ لأنهم يقولون في جمع ضاربة: ضوارب، وقاتلة: قواتل، ولم يأت ذلك إلا في حرفين: أحـدهما في جمع فـارسٍ: فَوَارِس؛ لأن هذا مما لا يستـعملُ في النساء فَأَمِنُوا الالـتباسَ، ويقولون في المثل: هو هالكٌ في الهـوالك، فَأَجْرَوْه على أصله لكثرة الاستعمال لأنه مَثَل، فلمـا احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال: «نواكس الأبصار»، ولا يكون مثل هذا أبدًا إلا في ضرورة.

(١) سورة محمد ٢١.

باب

[لجرير وقد نزل بقوم من بنى العنبر فلم يقروه]

قال جرير: ونزل بقوم من بنى العَنْبَرِ بن تميم فلم يَقْرُوهُ حتى اشْتَرَى منهم القِرَى، فانصرف وهو يقول:

يَا مَالكَ بنَ طَرِيف إنَّ بَيْعَتكُمْ ... رِفْدَ القِرَى مُفْسدٌ للدِّينِ وَالحَسَبِ
قَالُوا نَبِيعُكَهُ بَيْعًا فَقُلْتُ لَهُمْ ... بِيعُوا المَوَالِىَ وَاسْتَحْيُوا مِنَ العَرَبِ
لَوْلاَ كِرَامُ طَرِيف مَا غَفَرْتُ لكُمْ ... بَيْعِى قِرَاىَ وَلاَ أنْسَأْتُكُمْ غَضَبِى
هَلْ أَنْتُمُ غَيْرُ أَوْشَابٍ زَعَانِفَةٍ ... رِيشُ الذُّنَابَى وَلَيْس الرَّأْسُ كالذَّنَبِ

قوله: «يَا مَالكَ بنَ طَرِيف» فمن نصب، فإنما هو على أنه جعل «ابنًا» تابعا لما قبل، كالشىء الواحد، وهو أكثر فى الكلام إذا كان اسمًا عَلَمًا منسوبا إلى اسم علم، جعل «ابن» مع ما قبله بمنزلة الشىء الواحد، ومثل ذلك:

* يَا حكَمَ بن المُنْذِرِ بن الجارود *[1]

ومن وقف على الاسم الأول، ثم جعل الثانى نعتاً لم يكن [فى الأول][2] إلا الرفع، لأنه مفردٌ نُعتَ بمضاف، فصار كقولك: يا زيدُ ذا الجمَّة.

وقوله: «وَلاَ أنْسَأْتُكُمْ غَضَبِى»، يقول: لم أُؤخِّرْهُ عنكم، يقال: نَسَأَ اللهُ فى أَجَلكَ، وأَنْسَأَ اللهُ أجلكَ، والنَّسىءُ من هذا، ومعناه تأخير شهر عن شهرٍ، وكانت النَّسَأَةُ من بنى مُدْلِجِ بنِ كنانَة، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فى الْكُفْرِ**﴾[3]؛ لأنهم كانوا يؤخرون الشهور، فيُحَرِّمون غير الحرام، ويحلُّونَ غير الحَلاَل، لمَا يُقدِّرونه من حُروبهم وتَصرفِّهمْ، فاستَوَت الشهورُ لَمَّا جاءَ الإسلام، وأَبان ذلكَ رسول الله ﷺ فى قوله: «إِنَّ الزَّمَانَ قَد اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمِ خَلَقَ اللهُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ».

وقوله:

* هل أنتُمُ غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ *

(١) الرجز لأعشى بن الحرماز، وبعده:

* سرادق المجد عليك ممدود *

(٢) تكملة من س.

(٣) سورة التوبة ٣٧.

فالأُشابةُ جماعة تَدْخلُ فى قوم وليست منهم، وإنما هو مأخوذ من الأمر الأَشب، أى المختلط، ويزعم بعض الرواة أن أصله فارسى أُعْربَ، يقال بالفارَسِية: وقَعَ القومُ فى آشوب [أى][1] فى اختلاط، ثم تَصَرَّفَ فقيل: تَأَشَّبَ النبتُ، فصُنِعَ منه فِعْلٌ[2].

وأما الزَّعانفُ فأصلها أجنحة السَّمَك، سمى بذلك الأَدْعيَاء؛ لأنهم التصقوا بالصَّميم كما التصقت تلك الأجنحة بعظام السمك، قال أَوْسُ بن حَجَر:

وَمَازَال يَفْرِى الشدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا ... قَوائمُه فى جَانِبَيْه زَعَانِفُ[3]

وتزعم الرُّواةُ أن مَا أَنفَتْ منه جِلَّةُ المَوَالى هذا البيتُ، يعنى قول جرير:

* بِيعُوا المَوَالِىَ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْعَرَبِ *

لأنه حَطَّهم ووَضَعَهم، ورأى أن الإساءَة إليهم غير محسوبة عَيْبًا. ومثل ذلك قول المُنْتَجِع لرجل من الأشراف: مَا عَلَّمْتَ وَلَدَكَ؟ قال: الفرائضَ، قال: ذلك عِلْمُ المَوَالى لا أبا لك! عَلِّمهُمُ الرَّجزَ، فإنه يُهَرِّتُ أَشْدَاقَهُمْ[4]. ومن ذلك قول الشَّعْبىِّ - ومر بقوم من الموالى يتذاكرون النحو، فقال: لئن أَصْلَحْتموه إنَّكُمْ لأَوَّل من أفسده! ومن ذلك قول عَنْتَرَة:

فَمَا وَجَدُونَا بِالْفَرُوقِ أُشَابَةً ... وَلاَ كُشُفًا وَلاَ دُعِينَا مَوَالِيَا[5]،

ومن ذلك قول الآخر:

يُسَمُّونَنَا الأَعْرَابَ وَالعَرَبُ اسمُنا ... وَأَسْمَاؤُهُمْ فِينا رِقَابُ المَزَاوِد

يريد أسماؤُهم عندنا الْحَمْرَاءُ، وقول العرب: ما يخفى ذلك على الأَسْوَد والأحمر، يريد الْعَرَبىَّ والْعَجَمىَّ. وقال المخْتَارُ لإبراهيم بن الأَشْتَر يوم خَازِر[6] وهو اليوم الذى قُتِلَ فيه عبيد الله بن زياد: إنَّ عَامَّة جُنْدكَ هؤلاء الْحَمْرَاءُ، وإن الحرب إن ضَرَّسَتْهُمْ هربوا، فَاحْمِلِ العربَ على مُتُونِ الخيلَ، وأَرجِلِ الحمراءَ أمامهم.

---

(١) من ر.

(٢) زيادات ر: «هذا وهم من أبى العباس، ليس الأشابة ولا الأشب من الأوشاب؛ لأن فاء الفعل من الأشابة همزة، ومن أوشاب واو، ولكنه مثله فى المعنى يحتمل أن يكون أصله وشابة، وأبدلت الواو المضمومة همزة».

(٣) يفرى الشد: يأتى بالعجب فى عدوه. (٤) يهرت أشداقهم: يوسعها.

(٥) الفروق: اسم موضع. والكشف: الذين لا يصدقون فى القتال.

(٦) زيادات ر: «وقعت الرواية كما فى الأصل، ووجد بخط يد أبى على البغدادى رحمه الله: «جازر، بالجيم».

ومن ذلك قول الأشْعَث بن قَيْسٍ لعلى بن أبى طالب رحمه الله، وأتاه يَتَخَطَّى رقابَ النَّاس، وعليٌّ على المنْبَر فقال: يا أمير المؤمنين، غَلَبَتْنا هذه الحمراء على قُرْبكَ، قال: فَرَكَضَ عليٌّ المنْبَرَ برجله، فقال صَعْصَعَة بن صُوحَانَ الْعبَدىُّ: مالنا ولهذا؟ يعني الأشعث، لَيقولَنَّ أمير المؤمنين اليومَ في العرب قَوْلا لاَيَزَال يُذْكَرُ، فقال عليٌّ: مَنْ يَعْذرُني من هذه الضَّياطرة، يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُمْ على فراشه تَمرُّغَ الحمار، ويُهَجِّرُ قَومٌ للذكر، فيأمرنى أن أَطْرُدهم، ما كنتُ لأطردهم فأكونَ من الجاهلين، والذى فَلَقَ الحبة، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَيَضْرِبُنَّكُمْ على الدِّين عَوْدًا كما ضربتموهم عليه بَدْءًا.

قوله: «الضَّياطرة» واحدهم ضَيْطَرٌ وَضَيْطارٌ، وهو الأحمر العَضِلِ الفاحشُ، قال خداشُ بن زُهَيْر:

وَتُرْكَبُ خَيْلٌ لاَ هَوَادَةَ بَيْنَهَا ... وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرةِ الْحُمْرِ

وإنما قال جَرِيرٌ لبنى الْعَنْبَرِ:

* هل أنتمُ غير أوشاب زعانفة *

لأن النَّسَّابين يزعمون أن العنبر بن عمرو بن تميم، إنما هو ابن عمرو بن بهْرَاء، وأُمُّهُمْ أم خارجةَ الْبَجَلِيَّةُ التى يقال لها فى المَثَلِ: «أَسْرَعُ من نكاح أُمِّ خارجَة»، فكانت قد وَلَدَتْ في العرب في نَيِّف وعشرين حَيًّا من آباء متفرقين، وكان يقول لها الرجلُ: خطْبٌ؟ فتقول: نكْحٌ! كذَّلك قال يونس بن حَبيب، فَنَظَرَ بَنُوها إلى عمرو بن تميم قد وَرَدَ بلادهمَ، فأَحَسُّوا بأنه أراد أمَّهم، فبادروا إليه ليمنعوه تَزَوُّجَهَا، وَسَبَقَهُمْ لأنه كان راكبا، فقال لها: إنَّ فيك لبَقِيَّة؟ فقالتْ: إن شئتَ... فجاءوا وقد بَنَى عليها، ثم نقلها بعدُ إلَى بلده، فتزعم الرواة أنها جاءت بالْعَنْبَرِ معها صغيرًا، وأَوْلَدَهَا عمرو بن تميم أُسَيِّدًا وَالْهُجَيْمَ وَالْقُلَيْب، فخرجوا ذات يوم يَسْتَقُونَ فَقَلَّ عليهم الماء، فأنزلوا ماتحًا من تميم، فَجَعَلَ الماتحُ يملأ الدلو إذا كانت للهُجَيْم وأُسَيِّد وَالْقُلَيْبِ، فإذَا وَرَدَتْ دَلْوُ الْعَنْبَرِ تركها تضطرب، فقال العنبر:

قَدْ رَابَنِي مِنْ دَلْوِيَ اضْطِرَابُهَا ... وَالنَّأْيُ عَنْ بَهْرَاءَ وَاغْتِرَابُهَا

* إلاَّ تجئْ مَلأَى يَجِئْ قُرَابُها[1] *

فهذا قول النَّسَّابين.

---

(١) أى ما يقارب ملأها.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال يومًا لعائشة رحمها الله، وقد كانت نَذَرَتْ أَنْ تُعْتِقَ قَوْمًا منْ وَلَد إِسْمَاعيل، فَسُبِيَ قومٌ من بنى الْعَنْبَرِ، فقال لها رسول الله ﷺ: «إِنْ سَرَّكِ أَنْ تُعْتقى الصَّميمَ من ولد إِسْمَاعيل فَأَعْتِقى من هؤلاء». فقال النَّسَّابون: فَبَهْرَاءُ من قُضَاعَة، وقد قيلَ قُضَاعَةُ من بنى مَعَدٍّ، فقد رجعوا إلى إسماعيل.

ومن زعم أن قضاعة من بنى مالك بن حِمْيَر - وهو الحق - قال: فالنسب الصحيح فى قَحْطان الرُّجوعُ إلى إسماعيل وهو الحق. وقول المُبَرِّزينَ من العلماء: إنما الْعَرَبُ المتقدمة من أولاد عابَرَ، وَرَهْطُهُ عاد وَطَسْم وَجَديس وَجُرْهَم والعَماليق، فأما قحطان عند أهل العلم، فهو ابن الْهَمَيْسَعِ بن تَيْمَنَ بن نَبْتِ بن قَيْذَار بن إسماعيل صلوات الله عليه، فقد رجعوا إلى إسماعيل، وقد قال رسول الله ﷺ لقوم من خُزاعة - وقيل من الأنْصَار: «ارمُوا يا بنى إسماعِيلَ، فإن أباكم كان راميًا».

[ليحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم]

قال يحيى بنُ نَوْفَل: «يَهْجُو الْعُرْيَان بن الْهَيْثَمِ بن الأَسْوَدِ النَّخَعِيَّ - وكانَ العُرْيَانُ تزوج زَبادِ» من ولد هانئ بن قَبِيصة الشَّيْبَانى، وكانت عند الْوَليد بن عبد الملك فطلقها، فتزوجها العريان، وكان ابنُ نَوْفَل له هَجَّاءً، فقال:

أَعُرْيَانُ مَا يَدْرِى امْرُؤٌ سِيلَ عَنْكُمُ	أَمِنْ مَذْحِج تُدْعَوْنَ أَمْ منْ إِيَاد !
فَإِنْ قُلْتُمُ منْ مَذْحِجٍ إِنَّ مَذْحِجًا	لَبِيضُ الْوُجُوه غَيْرُ جِدِّ جِعَاد
وأَنْتُمْ صِغَارُ الهَامِ حُدْلٌ كَأَنَّمَا	وَجُوهُكُمُ مَطْلِيَّةٌ بِمِدَادَ
فَإِنْ قُلْتُمُ الْحَىُّ الْيَمَانُون أَصْلُنَا	وَنَاصِرُنَا فى كُلِّ يَوْم جِلاَدَ
فَأَطْوِلْ بِأَيْر منْ مَعَدٍّ وَنَزْوة	نَزَتْ بِإِيَاد خَلْفَ دَار مُرَادَ
لَعَمْرُ بَنى شَيْبَانَ إِذْ يُنْكحُونَهُ	زَبَاد لَقَدْ مَا قَصَّرُوا بِزَبَادَ
أَبَعْدَ الْوَلِيدِ أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجٍ	كَمُنْزِيَة عَيْرًا خِلاَفَ جَوَادَ
وَأَنْكَحَهَا لاَ فِى كِفَاء وَلاَغِنى	زِيَادٌ أَضَلَّ اللهُ سَعْىَ زِيَاد

قوله:

* أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ مِنْ إِيَادِ *

فبنو مَذْحِج بنو مالك بن زيد بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ. وإياد بنُ نِزَارِ بن مَعْد بن عَدْنان، ويقال: إن النَّخَعَ وثقيفًا أخوان من إياد، فأما ثَقيفٌ فهو قَسِىٌّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هَوَازن بن منصور ابن عِكْرِمةَ بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن النَّضَر، فهذا قول قوم، فأما آخرون فيزعمون أنَّ ثقيفًا من بقايا ثمود، ونسبهم غامض على شرفهم فى أخلاقهم، وكثرة مَناكحهمْ قُرَيْشًا.

وقد قال الحجاج على المنبر: تزعمون أنَّا من بَقايا ثَمُود، والله عز وجل يقول: ﴿وَثَمودَ فَمَا أَبْقَى﴾[1]. وقال الحجاج يوما لأبى العَسُوس الطائى: أىٌّ أَقْدَم؟ أَنُزُول ثقيف الطائفَ أم نزول طَيِّئ الجبلين؟ فقال أبو العَسُوس: إن كانت ثقيفٌ من بكر بن هَوازنَ فنزول طيئ الجبلين قبلها. وإن كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم، فقال الحجاج: يا أبا العَسُوس، اتَّقِنى فإنى سريع الْخَطْفَةِ للأحمق المتهوِّك[2]! فقال أبو العَسُوس[3]:

يُؤَدِّبُنى الْحَجَّاجُ تَأْديبَ أَهْله ... فَلَوْ كنْتُ منْ أَوْلاَد يُوسُفَ مَاعَدَا
وَإِنى لأخْشَى ضَرْبَةً ثَقَفيَّةً ... يَقُدُّ بهَا مَمَّنْ عَصَاهُ المُقَلَّدَا
عَلَى أَنَّنِى مِمَّا أُحَاذِرُ آمنٌ ... إِذَا قيلَ يَوْمًا قَدْ عَتَا المَرْءُ واعْتَدَى

[المغيرة بن شعبة وهند بنت النعمان بن المنذر]

وقد كان المغيرةُ بن شُعْبَةَ، وهو والى الكوفة، سار إلى دَيْر هِنْد بنت النُعْمَان ابن المُنْذر، وهى فيه عَمْيَاءُ مُتَرَهِّبَةٌ، فاستأذن عليها، فقيل لها: أَمِيرُ هذه المَدَرَة بالباب، فقالت: قولوا له: أَمِنْ وَلَد جَبَلَة بن الأيْهَمِ أنت؟ قال: لا، قالت: أَفَمِنْ وَلَد المُنْذر بن ماء السماء؟ قال: لا، قالت: فَمَنْ أنتَ؟ قال: المغيرةُ بن شُعْبَة الثَّقَفِىُّ، قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطبًا، قالت: لو كنتَ جئتنى لجمال أو لمَال لأَطْلَبْتُكَ، ولكنك أردتَ أن تَتَشَرَّفَ بى فى مَحَافِل العرب، فتقول: نكحتُ ابنةَ النُعْمَانِ بن المنذر، وإلاَّ فَأَىُّ خير فى اجتماع أَعْوَرَ وَعَمْيَاءَ! فَبَعَثَ إليها: كيف

---

(١) سورة النجم ٤٣.

(٢) المتهوِّك: المتهور.

(٣) زيادات ر: «رواية عاصم رحمه الله العَسُوّس [بالواو المشددة] والعَسْوَس [بسكون السين وفتح الواو]، وفى رواية ش كما فى داخل الكتاب».

كان أمركم؟ فـقالت: سأختَـصرُ لك الجواب... أمسينا مَـسَاءً، وليس فى الأرض عَرَبِىٌّ إلا هو يَرْغَبُ إليـنا ويَرْهَبُنَا، ثم أصبحنا وليـس فى الأرض عربى إلا ونحن نرغب إليه ونـرهبه، قال: فـما كان أبوك يـقول فى ثقيف؟ قـالت: اختـصم إليه رجلان منهم، أحـدهما يَنْمِـيهَا إلى إياد، والآخـر إلى بَكْرِ بن هَوَازن فَقـضَى بها للإيادىِّ، وقال:

إنَّ ثَقـــيـــفـــا لَمْ تكن هـوازِنا ... ولَمْ تُنَـاسِبْ عَـامِـرًا وَمَـــازِنَا

يريد عامر بن صَعْصَعَةَ ومَازِنَ بن منصـور، فقال المغيرةُ: أما نحن فمن بكر ابن هَوَازن، فَلْيَقُل أبوكِ ما شاء!

[فى رثاء الأشتر]

وقالت أختُ الأشْتَرِ، وهو مالك بن الحـارث النَّخَعِىُّ تُبَكِّيه، وهذا الشـعر رواه أبو اليقظان، وكان متعصبا:

أَبَعْـدَ الأَشْـتَـرِ النَّخَـعِـىِّ نَرْجُـو ... مُـكَـاثَـرَة ونَقْـطَـعُ بَـطْـنَ وَاد !
ونَصْـحبُ مَذْحِـجًا بإخَـاء صدْق ... وإنْ نُـنْـسَـبْ فَـنَـحْـنُ ذرَا إيَـاد
ثقـــيـــفٌ عَــمُّنَا وأَبُـو أَبِيـنا ... وإِخْــوَتُنَا نِـزَارُ أُولوا السَّــدَاد

قوله: «وأَنْتُمْ صغَارُ الهَامِ حُدْلٌ»، فالأَحْدَلُ المائلُ العُنُقِ، يقال: قوْسٌ حَدْلاءُ إذا اعْوَجَّتْ سِيَتُهَا، قال الراجز:

لَهَا(1) مَـتَـاعٌ ولَهَـاةٌ فَـارِضُ ... حَـدْلاَءُ كـالزقِّ نحـاهُ المَاخِضُ

وأما قوله: «زبادِ» يا فتى، فله باب نذكره على وجهـه باستقصائه بعد فرَاغنا من تفسير هذا الشعر.

وقوله: «لَقَـدْ مَا قَصرَّوا». فـما زائدة. مثل قـوله تعالى: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا**﴾(2) ولو قال: لَقدْمًا قَصرُّوا لم يكن جيدا، ودخل الْوَلِيد فى الَذم.

---

(1) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «لها» والصواب «له» لأنه يعنى الفـحل من الإبل؛ لأن الشقشقة لا تكون للأنثى، قاله ش».
(2) سورة نوح ٢٥.

وقوله: «كَمُنْزِيَة عَيْرًا خلاَفَ جَوَاد» يقول: بعد جـواد، قال الله عز وجل: ﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خلاَفَ رَسُولِ الله﴾(١).

وقوله: «لاَ فِى كفاء» يقال: هو كُفُـؤُكَ وكَفْؤُكَ وكَفِيئُكَ وكِـفَاؤُكَ، إذا كان عَدِيلَكَ فى شرف أو ما أشبهه، كما قال الْفَرَزْدَقُ:

* وَتَنْكِحُ فى أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ *

أول هذا البيت:

* بنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ *

وآل مسـمع: بيت بكر بن وائل، والحبِـطات هم بنو الحارث بن عـمرو بن تميم، وإنما قال هذا الْفَرَزْدَقُ حين بلغه أن رجـلا من الحبطات خَطَبَ امرأة من بنى دارمِ ابن مالك، فأجابه رجل من الحبطات:

أَمَـا كَـانَ عَـبَّـادٌ كَـفِـيـئًـا لِدارِمٍ ... بَلَى ولأَبْيَـاتٍ بِهَـا الْحُـجُـرَاتُ

عَبَّاد، يعنى بـنى هاشم، وقد تقدم هذا البيت للفـرزدق فى مواضع، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٢) وقال عـمر بن الخطاب رحـمه الله: لأَمْنَعَنَّ النساء إلا من الأكْـفاء، وتَحَدَّثَ أَصـحابُنا عن الأصمعى عن إسـحاق بن عيسى، قال: قُلْتُ لأمير المؤمنين الرَّشيد أو المهدىِّ: يا أمير المؤمنين، مَنْ أكفاؤُنا؟ قال: أعداؤنا، يَعنى بنى أُمَيَّةَ، وزِيادٌ الذى ذَكَرَ كَان أخاها.

هذا تفسير ما كان من المؤنث على «فعَال» مكسورَ الآخر.

وهو على أربعة أضرب، والأصل واحد.

قال أبو العباس: اعلـم أنه لا يُبْنَى شىءٌ من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفـة معدولٌ عن جهته، وهو فى المؤنث بمنزلة فُعَل، نحـو عُمَر وقُثَمَ فى المذكر، وفُعَلَ معدول فى حال المعرفـة عن فاعِلٍ، وكان فاعِل ينصرف، فلما عُدل عنه فُعَلُ لم ينصرف، وفَعال معدولة عن فاعلةَ، وفاعلَةُ لا ينصرف فى المعرفة فعُدِل إلى البناء؛ لأنه ليس بعد ما لا ينصرف إلا المبنىُّ، وبنى على الكسر لأن فى فاعلَةَ

(١) سورة التوبة ٨١.

(٢) سورة الإخلاص٤.

علامـةَ التأنيث، وكان أصلُ هذا أن يـكون إذا أردت به الأمر ساكنا كـالمجزوم من الفعْـلِ الذى هو فى معناه، فكَسَـرْتَهُ لالتقـاء الساكنين، مع مـا ذكرنا من عـلامة التأنيث والكسـر مما يؤنث به فلم يَخْلُ من العلامـة، تقول للمـرأة: أنت فَعَلْتِ، فالكسر علامة التأنيث، وكذلك إنـكِ ذاهبة، وضربتُكِ يا امرأةُ، فمما لا يكون إلا معرفة مكسـورًا ما كان اسما للفعل نحو نَزَالِ يا فـتى، ومعناه انْزِل، وكذلك تَرَاكِ زيدًا أى اتركه، فهما معدولان عن المتاركـة والمنازلة، وهما مؤنثان معرفتان، يدلك على التأنيث القياسُ الذى ذكرناه، قال الشاعر تصديقا لذلك:

وَلِنَعْـمَ حَـشْـوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا ... دُعِـيَـتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِى الـذُّعْـرِ

فقال: «دعيتْ» لما ذكرته لك من التأنيث، وقال الآخر، وهو زَيْدُ الْخَيْلِ:

وَقَـدْ عَلِمَتْ سَلاَمَـةُ أَنَّ سَيْـفِى ... كَـرِيهٌ كُلَّمَـا دُعِـيَتْ نَزَالِ

وقال الشاعر:

تَرَاكِـهَـا مِنْ إِبِلٍ تَرَاكِـهَـا ... أَمَـا تَرَى الموْتَ لدَى أَوْرَاكِـهَـا

أى اتْرُكْها. وقال آخر(١):

* حَذَارِ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَذَارِ *

وقال آخر(٢):

* نَظَارِ كَىْ أَرْكَبَهُ نَظَارِ *

فهذا باب من الأربعة.

ومنها أن يكون صفة غـالبة تَحُلُّ مَحَلَّ الاسم، نحو قولـهم للضَّبُعِ: جَعَارِ يا فتى، وللمنيـةِ حَلاقِ يافتى؛ لأنها حـالقة، والدليل على التأنيث بعـد ما ذكرناه قوله:

لَحِقَتْ حَـلاَقِ بِهِمْ عَلَى أَكْسَـائِهِمْ ... ضَـرْبَ الرِّقَـابِ وَلاَ يهِمُّ المغْنَمُ(٣)

وتقـول فى النداء يا فَساقِ ويـا خَبـاث ويالَكاع، تريـد يا فاسقةُ ويا خـبيثةُ ويا لُكعاءُ؛ لأنه فى النداء فى موضع معرفةٍ كما تقولُ للرجل: يا فُسَقُ ويا خُبَثُ، ويا لُكَعُ(٤)، فهذا باب ثان.

---

(١) زيادات ر: «هو رؤبة». (٢) زيادات ر: «هو أبو النجم».

(٣) الأكساء: المتأخرون.

(٤) زيادات ر: «حكى ابن السراج عن أبى عبيدة: فرس لكع للمذكر، ولكعة للمؤنث».

ومن ذلك مَا عُدِلَ عن المصدر نحو قوله[1] يَذُمُّ الْخَمْرَ:

جَمَادِ لهَا جَمَادِ ولاَ تَقُولِى   طَوَالَ الدَّهْرِ مَا ذُكِرَتْ حَمَادِ

وقال النابغة الذبْيَانِيُّ:

إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا   فَحَمَلْتُ بَرَّةَ واحْتَمَلْتَ فَجارِ[2]

يريد قُولِى لها جُمودًا، ولا تقولى لها حَمْدًا هذا المعنى، ولكنه عُدِلَ مؤنثًا. وهذا باب ثالث.

والباب الرابع أَنَ تُسَمِّىَ امرأةً، أو شيئًا مؤنثًا باسم تَصُوغُهُ على هذا المثال، نحو رَقَاشِ وحَذَامِ وقَطَامِ ومَا أشبهه، فهذا مؤنث معدول عن راقشةَ وحاذمةَ وقاطمةَ، إذا سميت به. وأهلُ الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرت؛ لأنه معدول فى الأصل وسُمِّىَ به، فَنُقِلَ إلى مؤنث كالباب الذى كان قبله، فلم يغيروه، فعلى ذلك قالوا:

* اسْقِ رَقَاشِ إنها سَقَّاية *

وقال آخر:

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا   فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

وينشدون:

* وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى شَرَاءٌ فَيَذْبُلُ *

كذا وقع، والصحيح «فقد أَقْفَرَتْ سَلْمَى شَرَاء»، لأن قبله:

* تَأَبَّدَ مِنْ أَطْلاَلِ حَمْرَةَ مَأْسَلُ *

والشعر لِنَّمِرِ بن تَوْلِبٍ.

وأما بنو تميم فإذا أزالوه عن النعت فَسَمَّوْا به صرفوه فى النكرة، ولم يصرفوه فى المعرفة، وسيبويه يختار هذا القول، ولا يَرُدُّ القولَ الآخر، فيقول: هذه رَقَاشُ قد جاءتْ، وهذه غلابُ قد جاءتْ، وهذه غلابٌ أخرى، ولا اختلاف

---

(١) زيادات ر: «هو المتلمس بذم الخمر».

(٢) زيادات ر: «برة: اسم علم لجميع البر، وفجار لجميع الفجور، لابن جنى، تخصيصه برة بفعلت، وفجار بافتعلت، مثل قوله تعالى: ﴿**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾، فكسب للخير واكتسب للشر.

بين العرب فى صرفه إذا كان نكرة، وفى إعرابه فى المعرفة، وصرفه فى النكرة إذا كان اسما لمذكر، نحو رجل تسميه نَزَالِ أو رَقاشِ أوْ حَلاقِ، فهو بمنزلة رجل سميته بعَناق أو أتان؛ لأن التأنيث قد ذهب عنه، فاحتج سيبويه فى تصحيح هذا القول بأنكَ لو سميت شيئا بالفعل الذى هو مأخوذ منه لأعربته، نحو انْزِلْ واضْرِبْ، لو سميتَ بهما رجلا لجرى مجرى إصْبَعٍ وأَحْمَدَ وإِثْمِدٍ، ونحو ذلك، فهذا يحيط بجميع هذا الباب.

[لامرأة من بنى عامر بن صعصعة زوجت فى طيئ]

قال أبو العباس، وقالت امرأة أحسبها من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ زُوجَتْ فى طَيِّئٍ:

لا تَحْمَدَنَّ الدَّهْرَ أَخْتٌ أَخًا لَهَا ... وَلاَ تَرْثِيَنَّ الدَّهْرَ بِنْتٌ لِوَالِدِ
هُمُ جَعَلوهَا حَيْثُ لَيْسَتْ بِحُرَّةٍ ... وَهُمْ طَرَحُوهَا فِى الأَقَاصِى الأَبَاعِدِ

ويروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: إنما النكاح رِقٌّ فَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ من يُرِقُّ كريمته. وعلى هذا جاءت اللغة، فقالوا: كنا فى إمْلاك[1] فلان، وفى ملك فلان، وفى ملك فلان، وفى ملكة فلان، وفى ملكَان فلان، ويقول الرجل: مَلَكْتُ المرأة وأَمْلَكَنيها وَلِيُّها، ومن ذلك أَنَّ يمين الطلاق إذا وقع فيها حِنْثٌ إنما يكون محلُّها محلَّ الإقرار بترك ما كان يملكه كالعتَاق.

وقال رسول الله ﷺ: «أوصيكُمْ بالنساء فإنهنَّ عندكم عوان» أى أسيراتٌ، ويقال: عَنِيَ فلانٌ فى بَنِى فلان إذا أقام فيهم أسيرا، ويقال: فلاَن يَفُكُّ العُناةَ، وأصل التعنية التذليل، وأصل الإسارِ الوثاقُ، ويقال للقتَب مأسور إذا شُدَّ بالقدِّ، هذا أصل هذا، فأما المَثَلُ فى قولهم: إنما فلان غُلٌّ قَمِلٌ، فإنهم كانوا يتخذون الأغلال من القدِّ، فكانت تَقْمَلُ.

[لرجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء]

وقال رجل يذكر امرأة زُوِّجَتْ من غير كُفْءٍ:

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ نال تَغْلَبٌ ... شَبِيهَةَ ظَبْىٍ مُقْلَتَاهَا وجِيدُهَا
أَضَرَّ بِهَا فَقْدُ الْوَلِىِّ فَأَصْبَحَتْ ... بِكَفِّ لَئِيمِ الْوَالِدَيْنِ يَقُودُهَا

(١) الإملاك: مصدر أملك، وهو التزويج.

[لرجل يعير إبراهيم بن النعمان بن بشير ورد إبراهيم عليه]

ولما زَوَّجَ إبراهيم بن النعمان بن بَشِيرٍ الأنصاريُّ يحيى بنَ أبى حَفْصَةَ مولى عثمانَ بن عَفَّانَ ابنته على عشرين ألف درهم قال قائل يُعَيِّرُهُ:

لَعَمْرِى لَقدْ جَلَّلْتَ نَفْسَكَ خَزْيَةً ... وَخَالَفْتَ فِعْلَ الأكْثَرِينَ الأكَارِمِ
وَلَوْ كَانَ جَدَّاكَ اللَّذَانِ تَتَابَعَا ... بِبَدْرٍ لَمَا رَامَا صَنِيعَ الألأئِمِ

فقال إبراهيم بن النُّعْمانِ يَرُدُّ عليه:

مَا تَرَكَتْ عَشْرُونَ أَلْفًا لِقَائِلٍ ... مَقَالاً فَلا تَحْفِلْ مَلاَمَةَ لائِمِ
وَإِنْ أَكُ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلًى فَقدْ مَضَتْ ... بِهِ سُنَّةٌ قَبْلِى وَحُبُّ الدَّرَاهِمِ

[القلاخ بن حزن يخاطب يحيى بن أبى حفصة ورد يحيى عليه]

وتزوَّج يحيى بن أبى حفصة وهو جَدُّ مَروانَ الشاعرِ، ويزعم النَّسَّابون أن أباه كان يهوديا أسلم على يدى عثمان بن عفان، وكان يحيى من أجود الناس، وكان ذا يَسار، فتزوج خَوْلة بنت مُقاتِل بن طَلَبَةَ[1] بن قيس بن عاصم سيد الوَبَر ابن سِنان بن خالد بن مِنقَر، ومَهَرَها خِرَقًا. ففى ذلك يقول القُلاخ بن حَزْنٍ:

لَمْ أَرَ أَثْوَابًا أَجَرَّ لِخِزْيَةٍ ... وَألأمَ كُسْوًا وَألأمَ كَاسِيَا
مِنَ الخِرَقِ اللَّاتِى صُبِبْنَ عَلَيْكم ... بِحَجْرٍ فَكُنَّ المُبقِيَاتِ البَوَالِيَا

فقال يحيى بن أبى حَفصة يُجيبه:

تَجَاوَزْتُ حَزْنًا رَغْبَةً عَنْ بَنَاته ... وأَدْرَكْتُ قَيْسًا ثانِيًا مِنْ عِنَانِيَا

يقال ذلك للسابق إذا تَقَدَّم تَقَدُّمًا بَيِّنًا فبلغ الغاية، فمن شأنه أن يَثْنِىَ عِنَانَهُ فينظرَ إلى الخَيل، وقال الشاعر:

فَمَنْ يَفْخَرْ بِمِثْلِ أَبِى وَجَدِّى ... يَجِىءْ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهْوَ ثَانِى

يريد ثانى عنانه، وقال القُلاخ فى هذه القصة:

نُبِئْتُ خَوْلَةَ قَالَتْ حِينَ أَنْكَحَهَا ... لَطَالَمَا كُنْتُ منْكَ العَارَ أَنْتَظِرُ
أَنكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مَالِهِمَا ... فى فِيكَ مِمَّا رَجَوْتَ التُّرْبُ وَالْحَجَرُ

---

(١) زيادات ر: «الرواية المشهورة بإسكان اللام، وتسامح ابن سراج فى فتح اللام».

لله درُّ جِيَادٍ أَنْتَ سَائِسُهَا ... بَرْذَنْتَهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالغُرَرُ[1]

* * *

وقال جرير يُعيِّرُهُمْ:

رَأَيْتُ مُقَاتِلَ الطَّلَبَاتِ حَلَّى ... فُرُوج بَنَاته كَمَرَ المَوَالى
لَقَدْ أَنْكَحْتُمُ عَبْدًا لِعَبْدِ[2] ... مِنَ الصُّهْبِ المُشَوَّهَةِ السِّبَالِ
فَلاَ تَفْخَرْ بِقَيْسٍ إِنَّ قَيْسًا ... خَرِئْتُمْ فَوْقَ أَعْظُمِهِ البَوَالِى

* * *

وَقال آخر فى مثل هذه القصة:

أَلاَ يَا عِبَادَ اللهِ قَلْبِى مُتَيَّمٌ ... بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلاَ
يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ ... دَبِيبَ القَرَنْبى بَاتَ يَقْرُو[3] نَقًا سَهْلاَ

القَرَنْبى: دُوَيْبَةٌ على هيئة الخُنْفُس مُنَقَّطَةُ الظَّهْر، وربما كان فى ظهرها نقطةٌ حمراء، وفى قوائمها طول على الخنفس، وهى ضعيفة المشى.

[للفرزدق فى عطية أبى جرير]

قال الفرزدق يعنى عطية أبا جَرير:

قَرَنْبى يَحُكُّ قَفَا مُقْرِفٍ ... لَئِيمٍ مَآثِرُهُ قُعْدُدِ[4]

وفى هذا الشعر يقول:

أَلَمْ تَرَ أَنَّا بَنِى دَارِمٍ ... زُرَارَةُ مِنَّا أَبُو مَعْبَدِ
وَمِنَّا الَّذِى مَنَعَ الوَائِدَاتِ ... وَأَحْيَا الوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدِ
أَلَسْنَا بِأَصْحَابِ يَوْمِ النِّسَارِ[5] ... وَأَصْحَابِ أَلْوِيَةِ المِرْبَدِ

(١) برذنتها: جملتها من البراذين.
(٢) يريد أنه عريق فى العبودية.
(٣) يقرو: يتبع.
(٤) زيادات ر: «ألف قرنبى ألف إلحاق وليست للتأنيث. والقعدد: اللئيم، وجمعه قعادد».
(٥) زيادات ر: «النسار: جعل تألفه النسور كثيرا فلذلك سمى بهذا الاسم».

أَلَسْنَا الَّذينَ تَمِيمٌ بِهِمْ . تُسَامِي وَتَفْخَرُ فى المَشْهَدِ[1]
وَنَاجِيَةُ الخَيْرِ وَالأَقْرَعَان وَقَبْرٌ بِكَاظِمَةَ المَوْرِدِ[2]
إذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ عَائِذٌ أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بالأَسْعُدَ[3]
أَيَطْلُبُ مَجْدَ بَنِى دَارِمٍ عَطِيَّةُ كَالجُعَلَ الأَسْوَدَ[4]
وَمَجْدُ بَنِى دَارِمٍ دُونَهُ مَكَانُ السِّمَاكَيْنِ وَالفَرْقَدَ[5]

قوله:

* أَلَمْ تَرَ أَنَّا بَنِى دَارِمٍ *

منصوب على الاختصاص، وقد مضى تفسيره.

وزَرارةُ الذى ذَكَر، هو زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ، وكان زرارةُ يُكْنى أبا مَعْبَدٍ، وكان له بَنونَ: مَعْبَدٌ، وَلَقيطٌ، وَحاجِبٌ، وعَلْقمَةُ، والمأموم.

ويزعم قوم أن المأموم هو علقمةُ، ومنهم شَيْبان بن زرارة وابنه يزيد بن شَيبان النسَّابةُ، وكان حاجبٌ أذكَرَ القومِ[6].

ورَوَوْا أن عبد المَلِكِ ذَكَرَ يوما بنى دارم فقال أحدُ جُلَسائه: يا أمير المؤمنين ! هؤلاء قوم محظوظون: فقال عبد الملك: أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيطُ بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عقبًا، ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَدِ بن زُرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا، ومضى محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِدِ بن حاجب بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِبًا ! والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدًا.

---

(١) رغبة الآمل: بعده

وقد مد حولى من المالكين أواذى ذو حدب مزبد
إلى هادرات صعاب الرءوس قساور للقسور الأصيد

(٢) كاظمة: موضع على سيف البحرين.

(٣) الأسعد: جمع سعد، وبعده:

فذاك أبى وأبوه الذى لمقعده حرم المسجد

(٤) الجعل: دويبة سوداء تكون على المواضع الندية.

(٥) زيادات ر: «الرفع فى مكان أقوى، وهو الوجه الجيد فى العربية».

(٦) أذكر القوم: أشهرهم.

وكان لقيط بن زرارة قُتِلَ يوم جَبَلَة، وأُسِرَ حاجب فَفُودِىَ، فزعم أبو عبيدة أنه لم يكن عُكاظيٌّ أَغْلَى فداءً من حاجب، وكان أسره زَهْدَمٌ[1] العَبْسِىُّ، فَلَحِقَهُ ذو الرُّقَيْبَة القُشَيْرِىُّ، وبنو عَبْسٍ يومئذ نازلةٌ فى بنى عامر بن صَعْصَعَة، فأخذه ذُو الرُّقَيْبَة بعِزَّة، وأنه فى مَحَلِّ قومه فقال حَاجِب: لمَّا تنازعنى الرجلان خفْتُ أن أُقْتَلَ بينهما، فقلت: حكِّمانى فى نفسى، ففعلا، فحكمتُ بسلاحى وركابى لزهدم، وبنفسى لذى الرُّقَيْبَة، وكان حَاجِب يُكْنَى أبا عِكْرِشَةَ، وكان أَحلَمَ قومه، وفى ذى الرُّقَيْبَة يقول الشاعر[2]:

وَلَقَدْ رَأَيْتَ الْقَائلينَ وَفِعْلَهُمْ ... فَلذى الرُّقَيْبَة مَالك فَضْلُ
كَفَّاهُ مُتْلِفَةٌ وَمُخْلِفَةٌ ... وَعَطَاؤُهُ مُتَدَفِّقٌ جَزْلُ

فَفدِىَ حَاجِبٌ، وقُتِلَ فى ذلك اليوم لقيطٌ، وأُسِر عمرو بن عمرو بن عُدَسَ، فلذلك يقول جرير يُعَيِّرُ الفرزدق؛ لأن الفرزدق من بنى مُجَاشع بن دارمٍ، وقد مضى ذكر هذا فى الكتاب، ولجرير فى قَيْسٍ خُؤولَة.

[الفرزدق يهجو جريرا وجواب جرير عليه]

فلما هجا الفرزدقُ قَيْسًا فى أمر قُتَيْبَةَ بن مُسْلم الباهلى، قال:

أَتَانى وأَهْلى بالمَدينة وَقْعَةٌ ... لآل تَميم أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائم
كأَنَّ رُءُوس النَّاس إذْ سَمِعُوا بهَا ... مُشَدَّخَةٌ هَامَاتُهَا بالأَمائم[3]
فما بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَة ... وَبَيْنَ تَميم غَيْرُ حَزِّ الْحَلاَقم
أَتَغْضَبُ إن أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا ... جهَارًا وَلَمْ تَغْضَبْ لقَتْلِ ابْنِ خَازم
وَمَا منْهُمَا إلاَّ نَقَلْنَا دمَاغَهُ ... إلى الشَّام فَوقَ الشَّاحجَات الرَّوَاسم
تَذَبْذَبُ فى المخْلاَة تَحْتَ بُطُونهَا ... مُحَذَّفَةُ الأَذْنَاب جُلْحُ المَقَادم[4]
وَمَا أَنْتَ منْ قَيْسٍ فَتَنْبَح دُونَهَا ... وَلاَ منْ تَميم فى الرُّءوس الأَعَاظم
تخَوِّفُنَا أَيامَ قَيْسٍ ولَمْ تَدَعْ ... لعَيْلاَنَ أَنْفًا مُسْتَقيمَ الخَيَاشم
لقد شَهدَتْ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَا ... قُتَيْبَةَ إلاَّ عَضَّهَا بالأَبَاهم[5]

---

(١) زيادات ر: «أخو كردم». (٢) زيادات ر: «هو المسيب بن علس»، واسمه «زهير، ويكنى أبا الفضة».
(٣) الأمائم كما فى زيادات ر: «حجارة تشدخ بها الرءوس، الواحدة أميمة».
(٤) المخلاة فى الأصل: ما يوضع فيها الخلى، وهو الحشيش الرطب، أراد بهن الخرج.
(٥) الأباهم: جمع الإبهام.

وقال جرير يجيبه:

أَبَاهِلَ مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مُسْلِمٍ ... وَلاَ أَنْ تَرُوعُوا قَوْمَكُمْ بِالمَظَالِمِ

ثم قال يخوِّف الفرزدق:

تحضَّضْ يا بْنَ الْقَيْنِ قَيْسًا لِيَجْعَلُوا ... لِقَوْمِكَ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ الأَرَاقِمِ[1]

كَأَنكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحَاجِبًا ... وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يالَ دَارِمِ

وَلَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشَّعْبَ ذَا الصَّفَا ... وشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ

فَيَوْمَ الصَّفَا كُنْتُمْ عَبِيدًا لِعَامِرٍ ... وبالْحِنْوِ أَصْبَحْتُمْ عَبِيدَ اللَّهَازِمِ

إِذَا عُدَّتِ الأَيَّامُ أَخْزَيْنَ دَارِمًا ... وَتُخْزِيكَ يَا بْنَ الْقَيْنِ أَيَّامُ دَارِمِ

* * *

أما قول الفرزدق:

كَأَنَّ رءوسَ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا ... مُشَدَّخَةٌ هَامَاتُهَا بِالأَمَائِمِ

فإن الشِّجاجَ مختلفةُ الأحكام، فإذا كانت الشَّجَّةُ شُقَيْقًا يَدْمَى فهى الدامِيةُ، وإذا أخذت من اللحم شيئًا فهى الباضِعةُ، وإذا أمعَنَتْ فى اللحم فهى المتَلاحمةُ، فإذا هَشَمَت العظم فهى الهاشمة، وإذا كان بينها وبين العظم جُلَيْدَةٌ رقيقة فهى السِمْحاقُ، من أجل تلك الجليدة يقال ما على ثَرب الشاة من الشَّحْمِ إلا سماحيقُ، أى طرائقُ، فإذا خرجت منها عظامٌ صغار فهى المُنَقِّلَةُ - وإنما أخذ ذلك من النَّقَلِ وهى الحجارةُ الصغارُ - فإذا أَوْضَحَتْ عن العظم فهى المُوضحةُ، فإذا خرقت العظم وبلغت أُمَّ الدِّماغ وهى جُلَيْدَةٌ قد أَلْبَست الدماغَ فهى الآمَّة، وبعض العرب يسميها المأمومةَ، واشتقاقُ ذلك إفضاؤُها إلى أمِّ الدماغ ولا غاية بعْدها، قال الشاعر:

يَحُجُّ مَأْمُومَةً فِى قَعْرِهَا لَجَفٌ ... فاسْتُ الطبيبِ قذاهَا كَالْمَغَارِيدِ[2]

وقال ابن غَلْفاءَ الْهُجَيْمِىُّ يَرُدُّ على يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ فى هِجائه بنى تميم:

فَإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَنِى تَمِيمٍ ... كَمُزْدَادِ الْغَرَامِ إِلى الْغَرَامِ

---

(١) الأراقم: يريد يومًا كان لقيس على تغلب ابنة وائل، والأراقم هم بطون تغلب.

(٢) مأمومة: مشجوجة.

هُمُ تَركـوكَ أَسْلحَ مِنْ حُبَـارَى[1] رأتْ صَـقْـرًا وَأَشْـرَدَ مِنْ نَـعَـامِ
وَهُمْ ضَـرَبوكَ أُمَّ الـرَّأْسِ حَـتَّى بَدَتْ أُمُّ الشُّـئون مِـنَ الْعِظَامِ[2]
إِذَا يَأْسُـونَهـا جَـشَـأَتْ إِلَيْـهِمْ[3] شَـرَ نَبْشَـةُ الْقَـوَائِمِ أُمُّ هَامِ[4]

وابن خـازم هو عبـد الله بن خـازِمِ السُّلمىُّ، وهو أحـد غِرْبانِ العـرب فى الإسلام، وكان من أَشْجَعِ الناس، وقتله بنـو تميم بخُراسان، وكان الذى وَلِىَ قتله منهم وكَـيعُ بن الدَّوْرَقيَّـةِ القُـرَيْعِىُّ، وقوله: فـوق الشـاحجـات «يعنى البغـال، وَالرَّسيمُ: ضربٌ من السير، وإنما عنى هاهنا بغَالَ البَريد لقوله:

* محذَّفَةُ الأَذْنَابِ جُلْحُ الْمَقَادِمِ *

كما قال امْرُؤ القيس:

على كل مَقْصُـوصِ الذُّنَابَى مُعَاوِدِ بَرِيدَ السُّرَى باللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرا[5]

وكانت بُرُدُ ملوك العرب فى الجاهلية الخَيل.

وأما قول جـرير: «الجونين» فقد مضى ذكرهمـا، ويوم «دير الجماجم» يريد الحَجَّاجِ فـى وقعته بدَيْر الجْـمَاجِمِ بعبد الرحـمن بن محمد بن الأشـعث بن قَيْس الْكِنْدِىِّ، وقوله:

* وبالْحِنْوِ أصبحتمْ عبيدَ اللَّهازِمِ *

فاللَّهازِمِ بنو قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ، وبنو ذُهْلِ بن ثَعْلَبَة، وبنو تَيْمِ اللات بن ثَعْلَبَةَ، وبنو عِجْلِ بنِ لُجَيْم بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل، وبنو مازِن بن صعب بن على، ثم تَلَهْزَمَتْ حَنيفةُ لُجَيْم فصـارتْ مـعهم، وأمـا عَلْقَمَةُ بنَ زُرارةَ فإنه قَتلتْه بنو ضُبَـيْعَةَ بن قَيْسِ بن ثَعْلَبَـةَ فَقَتَلَ به حاجبٌ أخـوه أَشْيَمَ بن شَرَاحِيلَ القَـيْسِىَّ، فقال حاجبٌ فى ذلك:

فَــإِنْ تَقْـتُـلوا منَّا كَـرِيمًا فَــإِنَّنَا أَبَأْنا به مَـأْوَى الصَّعَـاليك أَشْيـمَا
قَـتَلْنَا به خَيْـر الضُّـبَيْـعَاتِ كُلِّهَـا ضُبَيْـعةَ قَيْسٍ لا ضُـبَيْعَةَ أَضْـجَمَا

(١) الحبارى: اسم طائر.
(٢) أم الشئون: يريد بها الرأس.
(٣) جشأت: نهضت.
(٤) زيادات ر: «يريد غليظ القوائم».
(٥) الذنابى: الذنب، : وبربر: قبيلة وكان من علامة خيلها حذف أذنابها.

وكان يقال لأشيَم: مأوَى الصَّعَاليك، وضُبَيْعَةُ أَضْجَمَ الذى ذَكَرَ هو ضُبَيْعَةُ ابن ربيعة بن نِزَار رهط المُتلَمِّس. هذا لقبهم.

وأما مَعْبَدُ بن زُرارة فإن قَيْسًا أَسَرَتْهُ يوم رَحْرَحَانَ، فساروا به إلى الحجاز فأتى لَقِيطٌ فى بعض الأشهرِ الْحُرُم لِيَفْدِيَهُ، فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط: إن أبانَا أمرنا ألاَّ نزيد على المائتين، فتطمعَ فينا ذؤْبانُ العَرب، فقال معبد: يا أخى، افدنى بمالي فإنى ميِّتٌ، فأبى لقيطٌ، وأبى معبد أن يأكل أو يشرب، فكانوا يَشْحُون فاه، ويَصبُّون فيه الطعام والشراب لئلا يَهلك فيذهبَ فداؤه، فلم يزل كذلك حتى مات، فقال جَرير يعيِّر الفرزدق وقومه بذلك:

تَرَكْتُمْ بوادى رَحْرَحَانَ نسَاءَكمْ ... وَيَوْمَ الصفَّا لاَقَيْتُمُ الشِّعْبَ أَوْعَرَا
سَمِعْتُمْ بَنِى مَجْد دَعَوْا يَالَ عَامِر ... فَكنْتُمْ نَعَامًا عِنْدَ ذَاكَ مُنَفَّرا
وَأَسْلَمَتِ الْقَلْحَاءُ فى الغُلِّ مَعْبَدًا ... وَلاَقَى لَقِيطٌ حَتْفَهُ فَتَقطَّرَا

قوله:

* سَمِعْتُمْ بَنِى مَجْد دَعَوْا يَالَ عَامِرِ *

يعنى مَجْدَ بنت النَّضْر بن كنانَةَ وَلَدتْ رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعْةَ، وَوَلَدُهُ بنو كلاب وبنو كَعب وبنو عامر بن ربيعة. والقلْحَاء لقب، والقَلَحُ أن تركَبَ الأسنانَ صُفْرَةٌ. تَضْرِبُ إلى السواد، ويقال لها الحَبْرَة لشدة تأثيرها. أنشدنى المازنى:

لَسْتُ بِسَعْدِيٍّ عَلَى فِيهِ حَبْرَةٌ ... وَلَسْتُ بِعَبْدِيٍّ حَقِيبَتُهُ التَّمرُ

* * *

وزعم أبو الحسن الأخفش[1]، أن العرب تقول فى هذا المعنى: «فى أسنانه حِبِرَة»، وليس ذلك بمعروف، ولم يأت اسم على «فِعِل» إلاَّ إِبِلٌ وَإِطِل»[2].

* * *

(١) زيادات ر: «سعيد بن مسعدة».

(٢) زيادات ر: «وامرأة بلز، أى ضخمة، قاله ابن قتيبة، أما إبل فكما ذكر، وأما «إطل» فليس كما ذكر، وإطل [بالكسر] أصله إطل [بالسكون]، ثم حركت الطاء اتباعًا لحركة الهمزة، كما قالوا فى الجلد [بالسكون]: الجلد [بالكسر]، قال سيبويه: ليس فى الأسماء والصفات فعل [بالكسر] إلا إبل».

وقوله:

* وَلاَقَى لَقِيطٌ حَتْفَهُ فَتَقَطَّرَا *

يقال: قَطَّرَهُ لجنبيه وقتَّرَهُ، لغتان؛ لأن التاء من مخرج الطاء، فإن رَمى به على قفاه قيل: سَلَقَهُ وسَلْقاهُ وبَطَحَهُ لوجهه. فإن رَمَى به على رأسه قيل نَكَتَه.

* * *

رجع التفسيرُ إلى شعر الفرزدق الأول:

أما قوله:

* ومنا الذى منع الوائدات *

فإنه يعنى جدَّه صَعْصَعَةَ بن ناجية بن عِقالٍ، وكانت العرب فى الجاهلية تَئِد البنات، ولم يكن هذا فى جميعها إنما كان فى تميم بن مُرةِ، ثم استفاض فى جيرانهم، فهذا قول واحد. وقال قوم آخرون: بل كان فى تميم وقَيْسٍ وأسَد وهُذَيلٍ وبكْرِ بن وائلٍ، لقول رسول الله ﷺ: «اللهم اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عليهم سنين كسنى يوسُفَ». وقال بعض الرواة: اشدد وَطْدَتَكَ، وَالمعنى قريب يرجع إلى الثِّقل، فأَجْدبُوا سبع سنين حتى أكلوا الوبَرَ بالدَّمِ، فكانوا يسمونه العِلْهِزَ، ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم، ودَلَّ على ما من أجله قتلوا البنات فقال: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ﴾[1] وقال: ﴿وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ﴾[2]، فهذا خَبرٌ بَيِّنَ أَنَّ ذلك للحاجة، وقد رَوَى بعضُهم أنهم إنما فعلوا ذلك أَنَفَةً.

[إغارة النعمان بن المنذر على تميم]

وذكر أبو عبيدة مَعْمر بن المُثَنَّى أن تميما مَنَعَت النُعْمانَ الإتاوَةَ، وَهِىَ الأديانُ، فَوَجَّهَ إليهم أخاه الريَّانَ بن المُنْذر، وكانت للنعمان خمسُ كتائبَ، إحداها الوَضائِعُ - وهم قوم مِنَ الفُرْسِ كان كِسْرَى يَضَعُهُمْ عنده عُدَّةً وَمَدَدًا، فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخمٍ، فإذا كان فى رأس الحوْل ردَّهُمْ إلى أهليهم وبَعَث بمثلهم. وكَتيبةٌ يقال لها الشَّهْبَاءُ - وهى أهل بيت الملك، وكانوا بيضَ الوجوه، يُسَمَّوْنَ الأشاهبَ. وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائعُ - وهم صنائع المَلِكِ أكثرهم من بكر بن

---

(١) سورة الإسراء ٣١.

(٢) سورة الممتحنة ١٢.

وائلٍ. وكتيبةٌ رابعةٌ يقال لها الرهائنُ، وهم قوم كَانَ يأخذُهمْ من كل قبيلة فيكونون رُهُنًا عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم. والخامسة دَوْسَرُ - وهيَ كتيبة ثقيلةَ تَجْمعُ فُرْسانًا وَشُجعانًا من كل قبيلة، فأغزاهم أخاه[1]، وجُلُّ من معه بكْرُ بن وائل، فاستاق النَّعَم وسَبَى الذَّرارِىَّ، وفى ذلك يقول أبو المُشَمْرَجِ اليَشْكرِىُّ:

لَمَّا رأَوْا رايَةَ النُعْمَان مُقْبلَةً ... قَالُوا ألاَ لَيْتَ أَدْنَى دَارنا عَدَنُ
يا لَيْتَ أُمَّ تميم لَمْ تكُنْ عَرَفَتْ ... مُراًّ وكَانَتْ كَمنْ أَوْدَى به الزمَنُ
إنْ تَقْتُلُونا فَأَعْيَارٌ مُجَدَّعَةٌ ... أَوْ تُنْعِمُوا فقديمًا منكُم المنُ[2]
مِنهُمْ زُهَيْرٌ وَعَتَّابٌ وَمُحْتَضَرٌ ... وَابْنَا لَقيطٍ وَأَوْدَى فِى الْوَغى قَطَنُ

ويقول النعمان فى جواب هذا:

لله بَكْرٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ لَوْ بهِمُ ... أَرْمى ذُرا حَضَنٍ زَالَت بهِمْ حضَنُ[3]
إذْ لاَ أَرَى أَحَدًا فِى النَّاسِ أَشْبَهَهُمْ ... إلاَ فَوارسَ خَامَتْ عَنْهُمُ اليمنُ[4]

وهذا خبر طويل، فَوَفَدتْ إليه بنو تميم فلما رآها أحب البُقْيا، فقال:

مَا كانَ ضَرَّ تميمًا لَوْ تَغَمَّدَهَا ... مِنْ فَضْلنَا ما عَلَيْهِ قَيْسُ عَيْلاَنَ

فأناب القومُ وسألوه النساء، فقال النعمان: كل امرأة اختارت أباها رُدَّت إليه، وإن اختارت صاحبها تُركَتْ عليه. فكلُّهن اختارت أباها، إلا ابنة لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المُشَمْرَج، فَنَذَرَ قَيْسٌ ألاَّ تُولَد له ابنةٌ إلاَ قَتَلَهَا، فهذا شيء يَعْتَلُّ به مَنْ وَأَد، ويقول: فعلناه أَنَفَةً، وقد أُكْذِبَ ذلك بما أنزل اللهُ تعالى فى القرآن.

وقال ابن عباس رحمهُ الله فى تأويل هذه الآية: وكانوا لا يورِّثون، ولا يتخذون إلا مَنْ طاعَنَ بالرُّمْح ومَنعَ الحريم - يريد الذكْرانَ.

[وفود صعصعة بن ناجية على رسول الله]

وروت الرواة: أن صَعْصَعَةَ بن ناجِية لما أتى رسول الله ﷺ فأسلم، قال:

---

(١) أى أعطاهم إياه يغزو بهم.

(٢) أعيار: جمع عير، وهو الحمار. ومجدعة: مقطعة الآذان.

(٣) حضن: جبل فى أعالى نجد.

(٤) خامت: جبنت.

يا رسول الله، إنى كنتُ أَعْمَلُ عـملا فى الجاهلية أفينفعُنى ذلك الـيوم؟ قال: وما عملك؟ قال: أَضْللتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ. فركـبتُ جملاً، ومضيت فى بُغائهما[1]، فرُفِع لى بيتٌ حريدٌ، فقصدته، فإذا شـيخ جالس بفناء الدار، فسألته عن الناقتين، فقال: مـا نارُهما؟ قلتُ: مِيَسمُ بنى دارم. فـقال: هما عندى وقد أحيـا الله بهما قومًا من أهلك، من مُضرَ. فجلستُ معه ليُخْرَجا إلىَّ، فإذا عجوز قد خرجتْ من كِسْرِ البيت، فقال لها: ما وَضَعَتْ؟ فإن كان سَقْبًا[2] شاركَنَا فى أموالنا وإن كانت حَائلا وأدْناها. فقالت العـجوز: وَضَعَتْ أنثى! فقلتُ: أتبيعـها؟ قال: وهل تبيعُ العربُ أولادها؟، قال: قلتُ: إنما أشـترى منك حَياتَهَا، ولا أشتـرى رِقَّها، قال: فبكَمْ؟ قـلتُ: احتَكمْ، قال: بالنـاقتين والجملِ، قـال: قلت: ذاك لكَ، عَلَى أن يُبَلِّغَنى الجملُ وإيَّاهَا. قال: ففعل، فآمنتُ بك يا رسولَ الله، وقد صارتْ لى سُنَّةٌ فى العرب، عَلَى أن أشترى كل موءودة بنَاقتين عُشراويْنِ وجَمل، فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة فقـد أنقذتها، فقال رسول الله ﷺ: «لا ينفعُكَ ذلك، لأنك لم تَبْتَغ به وجه الله وإن تَعْمَلْ فى إسلامك عملا صَالحًا تُثَبْ عليه».

وكان ابن عباس يقرأ: ﴿**وإذا الْمَوْءُودةُ سَأَلَتْ * بأَىِّ ذَنْب قُتِلَتْ**﴾[3]. وقال أهل المعرفة فى قول الله عز وجل: ﴿**وإذا الْمَوْءُودةُ سُئِلَتْ * بأَىِّ ذَنْب قُتِلَتْ**﴾ إنما تُسأَل تبكيتًا لمن فَعَلَ ذلك بها، كما قال الله تعالى: ﴿**يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتخَذُونِى وأُمِّىَ إلَهَيْنِ منْ دُونِ الله**﴾[4].

وقـوله: «وُئِدَتْ». إنما هو أُثْقِلَتْ بالتُّـرَاب، يقال للـرجل: اتَّئِدْ أى تَثَـبَّتْ وَتَثَقَّلْ، كما يقال: تَوَقَّرْ، قال قَصيرٌ صاحبُ جذيمةَ[5]:

مَـا لِلْجِـمَـالِ مَـشْـيُـهَـا وَئِـيدَا   أَجَنْـدَلاً يحْـمِلْـنَ أَمْ حَـدِيدَا

[* أم صَرَفَانًا باردًا شَدِيدًا[6] *]

(١) البغاء: الطلب.

(٢) السقب: الذكر من ولد الناقة.

(٣) سورة التكوير ٨، ٩.

(٤) سورة المائدة ١١٦.

(٥) زيادات ر: «هذا وهم من أبى العباس، وإنما هو للزباء».

(٦) الصرفان: ضرب من التمر.

وقوله: «أضللتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ» أضللتُ، ضلَّتا منى، وتحقيقه: صادفتهما ضالَّتينِ، كما قال[1]:

أَوْ وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ ... حِينَ تَوَلَّى الْحَجِيجُ فَانْدَفَعُوا

والعُشَرَاء: الناقةُ التى قد أتى عليها منذ حَمَلَتْ عشرةُ أشهر. وإنما حَمْل الناقة سنةٌ.

وقوله: «ما نارهما»؟ يريد ما وَسْمُهُما؟ كما قال:

قَدْ سُقِيَتْ آبَالُهُمْ بِالنَّارِ ... وَالنَّارُ قَدْ تَشْفِى مِنَ الأُوَارِ

أى عُرِفَ وَسْمُهُمْ فلم يُمْنَعوا الماء.

وقوله: «فإذا بيت حَرِيدٌ» يقول: مُتَنَحٍّ عن الناس، وهذا من قولهم: انْحَرَدَ الجمل، إذا تَنَحَّى عن الإناث فلم يَبْرُكْ معها، ويقال فى غير هذا الموضع: «حَرَدَ حَرْدَهُ» أى قَصَدَ قَصْدَهُ، قال الراجز:

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ جاءَ مِنْ أَمْرِ الله ... يَحْرِدُ حَرْدُ الجنة الْمُغِلَّهْ

وقالوا فى قوله عز وجل: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[2]: أى على قصد كما ذكرنا.

وقالوا: هو أيضًا «على مَنعٍ»، من قولهم: حَارَدَت الناقة إذا مَنَعَتْ لبنها، وحارَدَت السَّنَةُ إذا مَنَعَتْ مطَرَها، والبعير الأحرد: هو الذى يضرب بيده، وأصله الامتناع من المشى. وأما قوله:

.... وَقَبْرٍ بكَاظِمَةَ الْمَوْرِدِ
إِذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ خَائِفٌ ... أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالأَسْعُدِ

فإنه يعنى قبر أبيه غالبِ بن صَعْصَعَةَ بن ناجِيَةَ. وكان الفرزدق يُجير مَنْ استجار بقبر أبيه، وكان أبوه جَوادًا شريفًا. ودخل الفرزدق البصرة فى إِمْرَةِ زياد، فباع إبلا كثيرة وجعل يَصُرُّ أثمانها، فقال له رجلٌ: إنك لَتَصُرُّ أثمانها، ولو كان

---

(١) زيادات ر: «لرجل من قضاعة، يقال له مالك بن عمرو، وقبله:
لا وَجْدُ ثَكلى كما وجدتُ ولاَ ... وَجْدُ عجولٍ أضلها رُبَعُ
(٢) سورة القلم ٢٥.

غالبِ بن صَعْصَعَةَ ما صرَّها. فـفتح الفرزدق تلك الصُّرَرَ ونَثَـرَ المال، وبلغ الخبرُ زياداً فطلبه، فهـرب الفرزدق، وله في هربه حديثٌ طويل، واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة، نذكره بعد هذا إن شاء الله.

[جماعة استجاروا بقبر غالب]

فَممن استجـار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنـى جَعْفَرِ بن كلاب، خافتْ لما هجا الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يُسَمِّيـهَا ويَسُبَّهَا، فعاذَت بقبر أبيه، فلم يَذْكرْ لها اسمًا ولا نسـبًا، ولكن قال فى كلمته التى يهجو فيـها بنى جعفر بن كلاب:

عجُوزٌ تُصَلِّى الْخَمْسَ عَاذَت بِغَالِبٍ ... فَـلاَ وَالَّذى عَاذَتْ بِـهِ لاَ أضيـرُهَا

ومن ذلك أن الحجاج لما ولَّى تَميمَ بن زيد القَيْنِيَّ السَّنْدَ، دخلَ البصرة فجعل يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاء، فجاءت عجوز إلى الفـرزدق فقالت: إنى استجرتُ بقبر أبيك، وأتت منه بحَصيات. فقال لها: وما شأنك ! فقالت: إن تميم بن زيد خَرَجَ بابنٍ لى مـعه ولا قُرَّةَ لعـينى ولا كاسِبَ لى غـيره، فـقال لها: ومـا اسمُ ابنك؟ فقالت: خُنَيْسٌ، فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض مَنْ شَخَصَ:

تَمـيمُ بْنَ زَيْدٍ لاَ تكونَنَّ حَـاجَـتِى ... بظَهْـرٍ فَـلاَ يَعْـيَـا عَلَىَّ جَـوابُهَـا
وَهَبْ لِى خُنَيْسًا وَاحْـتَسِبْ فيه مِنةً ... لَعَـبْـرَةِ أمٍّ مَـا يَسُـوغُ شَـرَابُهَـا
أَتتْنى فَـعَـاذَتْ يَا تَـمـيمُ بغَـالِب ... وَبالْحُـفْرَةِ السَّـافى عَلَيْـهَا تُرَابُهَـا
وَقَـدْ عَلِمَ الأَقْـوَامُ أَنَّكَ مَـاجِـدٌ ... ولَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ شِـهَابُهَا

فلما ورد الكتـابُ على تميم، تَشكَّكَ فى الاسم فقال: أَحُـبَيْشٌ؟ أم خُنَيْسٌ؟ ثم قال: انظروا مَنْ له مـثلُ هذا الاسم فى عسكرنا؟ فأصـيب ستةٌ ما بين حُـبَيْش وَخُنَيْس فَوَجَّهَ بهم إليه.

ومنهم مُكاتَبٌ لبنى منْقرٍ ظَلَعَ بمكاتَبـته[1]، فأَتَى قَـبْرَ غالب فاسـتجار به، وأخذ منه حَصَيَات فَشَدَّهُنَّ فى عمامته، ثم أتى الفرزدق فأخبره خَبَرَه، وقال: إنى قد قلت شعرًا، فقال: هاته، فقال:

---

(١) أى ضعف عن حمل ما كوتب به.

بقبرِ ابنِ لَيْلَى غَـالب عُذْتُ بَعْدَمَا ... خَشيتُ الرَّدَى أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ
بقبرِ امْـرِئٍ تَقْرِى[1] المَئِينَ عظَامُـهُ ... ولَمْ يكُ إلاَّ غَـالبًـا مَـيِّتٌ يَقْـرِى
فَـقَالَ لِىَ اسْـتَـقْدِمْ أمَـامَكَ إنَّمَـا ... فكاكُكَ أَنْ تَلْقَى الْفَـرَزْدَقَ بالمِصْـرِ

فقال له الفرزدق: ما اسْمُكَ؟ قال: لَهْذَمٌ، قال: يا لَهْذَمُ، حُكْمُكَ مُسَمَّطًا، قـال: نـاقةٌ كَوْماءُ سوداءُ الحدقـة، قال: يا جارية، اطْرَحى إليـنَا حبلا، ثم قـال: يا لَهْذَمُ اخرج بنا إلى المِرْبَدِ، فألْقه فى عُنُق ما شئت. فـتخير العبدُ على عينه، ثم رمى بالحبل فى عنق ناقة، وجاء صاحبها، فقال له الفرزدق: اغْدُ علىَّ فى ثمنها، فجعل لَهْذَمٌ يقـودها والفرزدق يسوقها حتى إذا نَفَذَ بهَا من البـيوت إلى الصحراء، صاح به الفرزدقُ: يالَهْذَمُ، قَبَّح الله أَخسَرنا !

[قوله: «تَقْرِى المَئِينَ عِظَامُهُ» يريد أنهم كـانوا يـنحـرون الإبل عند قـبـور عظمائهم، فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات، وهذا معروف فى أشعارهم].

وقوله:

* ولَمْ يَكُ إلاَّ غَالِبًا مَيِّتٌ يَقْرِى *

فإنه نصب غـالبًا لأنه استثناء مقـدم، وإنما انتصب الاستثنَـاء المقدم لما أذكره لك، وذلك أن حق الاستثناء إذا كـان الفعلُ مشغولا بـه أن يكون جاريا عليه، لا يكون فيـه إلا هذا، تقول: ما جاءنى إلاَ عـبدُ الله، وما رأيت إلاَ عبـدَ الله، وما مررت إلاَ بعـبدِ الله. فإن كَـان الفعل مشـغولا بغيـره فكان موجَـبًا، لم يكن فى المستثنى إلا النصبُ، نحو جاءنى إخْـوَتُك إلاَ زيدًا، كما قال تعالى: ﴿**فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قليلا مِنْهُمْ**﴾[2]، ونَصَبُ هذا على معنى الفعل، و«إلا» دليلٌ على ذلك.

فإذا قلت: جاءنى القوم، لم يُؤْمَنْ أن يقع عند السامع أن زيدًا أَحدهم، فإذا قال: إلا زيدا، فالمعنى لا أعنى فيهم زيدًا، أو أستثنى ممن ذكرتُ زيدًا. ولسيبويه فيه تمـثيل، والذى ذكرت أبْيَنُ منه. وهو مُتَـرْجَمٌ عما قال، غـيرُ مناقض له. وإن كان الأول منفيًّا جاز البـدل والنصب، والبدل أحسن؛ لأن الفعل الظاهر أولى بأن يعمل من المختزل الموجود بدليل، وذلك قولك: ما أتانى أحد إلا زيدٌ، وما مررتُ

---

(١) من القرى بالكسر: وهو إكرام الضيف.

(٢) سورة البقرة ٢٤٩.

بأحد إلا زيد، والفصل بين المنفى والموجَب، أن المبـدل من الشيء يُفَرَّغُ له الفعل، فأنت فى المنفى إذا قلت: ما جاءنى أحدٌ إلا زيدٌ، إذا حذفتَ على جهة البدل صار التقـدير: ما جـاءنى إلا زيدٌ، لأنه بدل من أحد، والمـوجَبُ لا يكون فيـه البدل، لأنك إذَا قلت: جاءنى إخوتك إلا زيدًا، لـم يجـز حذف الأول، لا تقول: جاءنى إلا زيد، وإن شئـت أن تقول فى النفى: مـا جاءنى أحـد إلا زيدًا جاز، ونصـبهُ بالاسـتثناء الذى شـرحتُ لك فى الواجب. والقـراءةُ الجيـدةُ ﴿مَافَـعَلُوهُ إلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾(١)، وقد قـرئ ﴿إلا قليـلاً منهم﴾، على مـا شـرحـتُ لك فى الوَاجبَ، وَالقراءةُ الأولى.

فإذا قدَّمتَ المستثنَى بطلَ البدَل، لأنه ليس قبله شىء يُبْدَل منه، فلم يكن فيه إلاَ وجهُ الاستثنـاء، فتقول: ما جاءنى إلاَّ أباك أَحدٌ، ومـا مررت إلا أباك بأحد، وكذلك تُنْشَدُ هذه الأشعار، قال كعْبُ بنُ مالك الأنصارى لرسول الله ﷺ:

الناسُ ألبٌ عـلينا فـيكَ لـيس لنا ... إلاَّ السُّيـوفَ وأطْرَافَ القَنَا وَزَرُ(٢)

وقال الكمَيْتُ بن زيد:

فـمـالِىَ إلاَّ آلَ أحْـمَـدَ شِـيـعَـةٌ ... ومـالِىَ إلاَّ مَشْـعَبَ الحقِّ مَشْـعَبُ

لا يكون إلاَّ هذا، وليونس قول مرغوبٌ عنه، فلذلك لم نَذْكره.

وقوله: «فقال لى استَقْدمْ أَمَامَكَ» مُخْبِرٌ عن الميِّت بالقَوْل، فإن العرب وأهلَ الحِكْمَةِ من العَجَم تجعلُ كلَّ دلِيلٍ قولاً، فمن ذلك قول زُهَيرٍ:

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

وإنما كلامُهَـا عندَه أن تُبَيِّنَ بِما يُرَى من الآثارِ فيها، من قِـدَمِ أهلِها وحِدْثانِ عَهْدِهِمْ.

ويُرْوى عن بعض الحكماء أنه قال: هَلاَّ وقفتَ على المَعَاهد والجنان، فقلتَ: أَيتُها الجنَانُ، مَنْ شَقَّ أنهارَكِ، وغَرَسَ أشجارَكِ، وجَنَى ثِمَارَكِ؟ فإنها إن لَم تُجبْكَ حِوارًا(٣) أَجابَتْكَ اعتبارًا!

---

(١) سورة النساء ٦٦.

(٢) ألب: متجمعون، وزر: ملجأ.

(٣) الحوار: الجواب.

وأهلُ النظر يقـولون فى قول الله عـز وجل: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائعِينَ﴾[1]ـ: لم يكن كلامٌ، إنما فَعَلَ عزَّ وجل ما أراد فوُجد، قال الراجزُ:

قـد خَـنَقَ الحَـوْضُ وقـال قَطْنى ... سـلا رُوَيْدًا قـد مَـلأت بَـطْنِى

ولم يكن كلامٌ، إنما وُجِدَ ذلك فيه. وكذلك قوله:

فـقـال لِىَ اسْـتَـقْـدِمْ أَمَـامَك إنما ... فكاكُك أَنْ تَلْقَى الفَـرَزْدَقَ بالمِصْـرِ

أى: قد جُرِّبَ مثل هذا منكَ فى المستجِير بقبره.

[لهو النعمان بن المنذر]

وحدثنى العـباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّياشِـىُّ فى إسناد قد ذَهَبَ عنى أكثَـرهُ، قال: نزل النُّعْمـانُ بنُ المُنْذرِ ومعه عَـدِيُّ بن زيد فى ظلِّ شَجرة مُـونقَة، ليَلْهُوَ النُّعـمَانُ هناك، فـقال لـه عدىُّ بن زيد: أَيُّهـا الملكُ، أبَيْتَ اللَّعْنَ! أتَـدْرِى ما تقـولُ هذه الشجرة؟ قال: وما الذى تقول؟ قال: تقول[2]:

[مَنْ رآنا فَـلْيُـحَـدِّثْ نفـسَـهُ ... أنه مُـوف علـى قَـرْنِ زَوالْ

وصُـروفُ الـدهْرِ لا يَبْـقَى لـهـا ... ولمَـا تأتـىً به صُمُّ الجِـبَـالْ]

رُبَّ رَكْبٍ قـد أَنَاخُـوا حَـولَنَا ... يَمْـزجُـونَ الخمـرَ بالماء الزُّلالْ

[والأباريقُ عـلـيـهـا فُـدُمٌ[3] ... وجـيـادُ الخيل تَرْدى فى الجِـلالْ

عَـمَّـرُوا الدَّهْر بِـعَـيْشٍ حَـسَنٍ ... قَطَعُـوا دهرَهُمْ غَـيْـرَ عِـجَالْ]

ثم أضْـحَـوْا عَـصَـفَ الدَّهْر بهمِ ... وكـذاكَ الدَّهْرُ حـالا بعـدَ حـالْ

قال: فَتَنَغَّصَ النعمان.

وهذا فى الأمثال كثيرٌ، وفى الأشعار السائرة.

وأمـا قولـهُ «حُكْمُكَ مُـسَمَّطًا» فـإعـرابُه أنه أَرادَ: لك حُكْمُكَ مُـسَـمَّطًا، واستُعْملَ هذا فكَثر، حتى حُذفَ استخفافًا، لعلم السامع بما يُرِيدُ القائلُ، كقولك: «الهلالُ واللهِ»، أى هذا الهلالُ، وأَغْنَى عن قوله: «هذا» ـ القصدُ والإشارةُ.

وكان يقـالُ لرُؤبَة: كيفَ أَصبحتَ؟ فـيقول: خَـيرٍ عافاكَ اللهُ، فلم يُضْـمرْ حرفَ الخفضِ، ولكنه حَذَفَ لكثرة الاستـعمال. والمُسَمَّطُ: المرسَلُ غيرُ المردودِ[4]. والكَوْمَاءُ: العَظيمة السَّنَامِ.

---

(1) سورة فصلت ١١.
(2) كل ما كان بين المربعين من زيادات ر.
(3) الفدم: جمع فدام، وهو ما يوضع على فم الإبريق لتصفيته عند الشرب.
(4) المردود: النافذ حكمه.

بابـ

[أبو رافع مولى الرسول عليه السلام]

قال أبو العباس: قال الليثيُّ[1]: أعتقَ سعيدُ بن العـاصى أبا رافعٍ إلا سَهْمًا واحدًا فـيه، مِن أسْهُمٍ لم يُسَمَّ عَدَدُهـا لنا، فاشتَرَى رسـولُ الله ﷺ ذلك السهمَ فأعتـقه. وكان لأبى رافع بَنُونَ أشـراف، منهم عُبيد الله بنُ رافعٍ، وحـديثهُ أثبتُ الحديثِ عن عليٍّ بن أبى طالب، وكان كالكاتب له، وكـان عُبيدُ الله بنُ أبى رافعٍ شريفاً، وكان عُبيدُ الله يُنْسَبُ إلى وَلاءِ رسولِ الله ﷺ، فلما وَلِيَ عمروُ بنُ سعيد الأشْدَقُ المدينةَ لم يَعْـملْ شيئا قبـل إرساله إلَى عُبيد الله بن أبـى رافعٍ، فقال له: مَوْلَى مَنْ أنتَ؟ فقال له: مَوْلَى رسولِ الله ﷺ، فأبرزه فضربه مائة سوط، ثم قال له: مَوْلَى مَنْ أنتَ؟ فقـال: مَوْلَى رسول الله ﷺ، فضربه مـائة أخرى. فلما رأى عبدُ الله أخاه غـيرَ راجعٍ، وأن عمرًا قد أَلحَّ عليه فى ضربه، قام إلى عـمروٍ فقال له: اذكر المِلْحَ، فأمسك عنه.

والمِلْحُ ههنا اللَّبَنُ، يريدُ الرَّضاعَ، كما قال أبو الطَّمَحانِ القَيْنِيُّ:

وإنّى لأَرجُـو مِـلْحَـهـا فى بُـطونكمْ ... وما بَسَطَتْ مِنْ جِلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرَا[2]

* * *

[كذا وقعت الرواية، والصوابُ «أغْبرِ» لأنَّ قبلَه:

ولو عَلِمَت صَـرْفَ البُيوعِ لَـسَرَّهَا ... بمكَّة أن تبْـتاع حَـمْـضًا بِإِذخِـرِ[3]

قاله ش].

* * *

وكما قال الآخرُ[4]:

لا يُبْـعِـدِ اللهُ ربُّ العـبِـا ... دِ والمِلْـحُ مـا وَلَـدَتْ خـالِدَه

---

(١) زيادات ر: «هو الجاحظ».

(٢) الخبر فى الإصابة ٧: ٦٤ «كان أبو رافع عبدا لسعيد بن العاصى، فأعتق كل من بنيه نصيبه منه إلا خالد ابن سعيد، فإنه وهب نصيبه للنبى ﷺ فأعتقه، فكان يقول: أنا مولى رسول الله».

(٣) الإذخر: حشيش طيب الريح، واحدته إذخرة.

(٤) نقل المرصفى عن ابن الأعرابى أنه الحـارث بن عمـرو الفـزارى، وعن المفضل، هو شـتيم بن خـويلد الفزارى.

ويروى أن عُبيد الله بن أبى رافع أتى الحسنَ بنَ علىٍّ بن أبى طالبٍ فقال: أنا مولاك، فقال فى ذلك مَوْلَى لِتمَّام بن عبد المطَّلب، يَعْذُلُه ويُعَيِّره:

جَحَدْتَ بنى العباس حَقَّ أبيهمُ — فما كُنْتَ فى الدَّعْوَى كريمَ العَوَاقب
مَتَى كَانَ أولادُ البناتِ كوارثٍ — يَحُوز ويُدْعَى والدًا فى المَنَاسَب!

يُريدُ أنَّ العباسَ أَوْلَى بولاء مَوْلَى رسولِ الله ﷺ؛ لأن العمَّ مَدْعُوٌّ والدًا فى كتاب الله تعالى، وهو يَحُوزُ الميراثَ.

وقال رجلٌ من الثَّقَفِيِّينَ: أَنْشَدْتُ مَرْوان بنَ أبى حَفْصة هذين البيتين، فوقع عندى أنه من هذا أخَذَ قولَه:

أَنّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ — لِبَنى البنَاتِ وِراثَةُ الأَعْمامِ
أَلغَى سِهامُهم الكتابُ فما لَهُمْ — أَن يَشْرَعُوا فيه بغير سِهَامِ

وقال طاهرُ بن علىّ بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس للطالبيين:

لو كان جَدُّكُمُ هناكَ وَجَدُّنا — فتَنَازَعَا فيها لوَقْت خِصَامِ
كان التُّرَاثُ لِجَدِّنا من دُونه — فحَوَاهُ بالقُربَى وبالإسلامِ
حقُّ البناتِ فريضةٌ معروفةٌ — والعَمُّ أَوْلَى من بنى الأعمامِ

وذكر الزُّبَيْريُّون عن ابن الماجِشُون قال: جاءنى رجل من وَلَد أبى رافعٍ، فقال: إنى قد قَاوَلْتُ رجلا من مَوَالى بعضِ العرب، فقلتُ: أنا خيرٌ منكَ، فقال: بل أنا خير منكَ، فما الذى يَجبُ لى عليه؟ فقلتُ: ليس فى هذا شىء، فقال: أنا مَوْلَى رسول الله ﷺ ويزْعُمُ أنه خير منى، قال: قلتُ: قد يَتَصرَّفُ هذا على غير الحَسَب، قال: فلما رآنى لا أَقْضى له بشىء قال لى: أنت دافعٌ مَغْرَمًا[1]؛ لأن وَلائى عندَه ليس فى موضعٍ مَرْضِيٍّ؟ قال ـ وصَدَقَ ـ: فى بنى تَيْمٍ لتَيْمٍ مَنْ هو أَشرفُ وَلاءً منِّى.

[أسامة بن زيد يقاول عمرو بن عثمان]

وحُدِّثْتُ أَنْ أُسامةَ بن زيد قاوَلَ عَمْرَو بنَ عثمان فى أمر ضَيْعَة يدعيها كلُّ واحدٍ منهما، فَلَجَّتْ بهما الخصومةُ، فقال عمرو: يا أَسامةُ، أَتأْنَفُ أن تكونَ

(١) مغرما: حقا تتقاضاه.

مولاىَ! فقال أُسامة: والله ما يَسُرُّنى بولائى مِن رسول الله ﷺ نَسَبُكَ! ثم ارتفعا إلى مُعاوية، فَلَجَّا بين يديه فى الخصومة، فتقدم سعيدُ بن العاصى إلى جانب عَمرو، فجعل يُلَقِّنُهُ الحجةَ، فتقدم الحسنُ إلى جانب أسامة يُلَقِّنُه، فوَثَبَ عُتْبَةُ بن أبى سفيانَ، فصار مع عمرو، ووثَب الحسيُن فصار مع أَسامة، فقام عبد الرحمن ابنُ أُمِّ الحكَم، فجلس مع عمرو، فقام عبد الله بن العباس فجلس مع أسامة، فقام الوليدُ بن عُقْبَةَ فجلس مع عمرو، فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع أسامةَ، فقال معاويةُ: الجَلِيَّة عندى، حَضَرْتُ رسول الله ﷺ وقد أَقْطَعَ هذه الضَّيْعَةَ أسامة، فانصرف الهاشميون، وقد قُضِىَ لهم، فقال الأُمَوِيُّون لمعاويةَ: هلاَّ إذْ كانت هذه القضيةُ عندَك بدأتَ بها قبل التَّحَزُّبِ، أو أَخَّرْتَها عن هذا المجلس! فتكلم بكلام يدفعهُ بعضُ الناس.

[الحجاج بن يوسف وسعيد بن جبير]

وكان الذى اعْتَدَّ به الحجَّاجُ بن يوسفَ على سعيد بن جُبَيْر لَمَّا أُتِىَ به إليه بعدَ انقضاء أَمرِ ابنِ الأشْعث، وكان سعيدٌ عبدًا لرجلٍ من بنى أَسَد بن خُزَيمَةَ، فاشتراه سعيدُ بن العاصى فى مائة عبد فأعتقهم جميعًا، فقال له الحجَّاجُ: يا شقى ابن كُسَيْر، أَما قَدمْتَ الكوفةَ، وليس يؤُمُّ بها إلاَّ عَربىٌّ فجعلتُك إمامًا! قال: بلى، قال: أَفَما وَلَّيْتُكَ القَضاءَ فَضَجَّ أَهلُ الكوفة وقالوا: لا يصلُحُ القضاء إلاَّ لعربىٍّ، فاستقضيتُ أَبَا بُرْدَةَ بنَ أبى موسى الأشعرىَّ وأَمَرْتُه ألا يقطعَ أَمرًا دُونَك! قال: بلى، قال: أَوَ مَا جعلتُك فى سُمَّارى وكلُّهم من رُءوس العرب! قال: بلى، قال: أَوَ ما أَعطيتك مائة أَلف درهمٍ لتفرِّقَها فى أهل الحاجة، ثم لم أَسأَلْكَ عن شىء منها! قال: بَلَى، قال: فما أَخْرَجكَ علىَّ؟ قال: بَيعةٌ كانت لابن الأشعث فى عُنُقى، فَغَضب الحَجَّاجُ، ثم قال: أَفَما كانتْ بَيْعةٌ أميرِ المؤمنين عبد الملك فى عُنُقكَ قَبْلُ؟ والله لأقْتُلَنَّكَ، يَا حرَسِىُّ، اضْرِبْ عُنُقَهُ. ونظر الحَجَّاجُ فإذا جُلُّ مَنْ خرج مع عبد الرحمن، من الفقهاء وغيرهم، من الموالى، فأَحَبَّ أَنْ يُزيلَهم عن موضع الفصاحة والآداب، ويَخْلطَهُمْ بأهل القرى والأنْباط، فقال: إنما الموالى عُلوج، وإنما أُتِىَ بهم من القُرَى، فَقُراهُم أولَى بهم. فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقْرار العرب بها، وأمر أن يُنْقَشَ على يَد كلِّ إنسان منهم اسْمُ قريَته. وطالتْ وِلايتهُ، فَتوالَدَ القوم هناك، فَخَبُثَتْ لُغاتُ أَولادِهم، وفسدتْ طَبائعهُم. فلمَّا قام

سليمانُ بن عبد الملك أخرجَ مَنْ كان فى سجن الحَجَّاج من المظلومين، فيقال إنه أخرج فى يَوْمٍ واحدٍ ثمانين ألفًا، وردَّ المنقوشين، فَرَجَعوا فى صورة الأَنْباط، ففى ذلك يقولُ الراجز:

جَارِيَةٌ لم تَدْرِ ما سَوْقُ الإبلْ — أخرجها الحَجَّاجُ من كِنٍّ وظلْ
لو كَانَ بَدْرٌ حاضِرًا وابنُ حَمَلْ — ما نُقشَتْ كَفَّاكِ فى جِلدٍ جَلَلْ

* * *

وقال شاعرٌ لأهلِ الكوفة لَمَّا استُقْضِىَ عليها نُوح بن دَرَّاجٍ[1]:

يأيها الناسُ قد قامَتْ قِيامَتُكُمْ — إذْ صَارَ قاضِيكُم نوحُ بن دَرَّاجِ
لو كَانَ حَيًّا له الحَجَّاجُ ما سَلِمَتْ — كَفَّاه ناجيةَ من نَقْشِ حَجَّاجِ

ويُرْوَى عن حسَّانَ، المعروفِ بالنَّبَطِىِّ ـ صاحب مَنارة حَسَّانَ فى البَطِيحة[2] ـ قال: أُرِيتُ الحَجَّاجَ فيما يرى النائم، فقلتُ: أصلح اللهُ الأميرَ! ما صَنَعَ اللهُ بكَ؟ فقال: يا نبطىُّ، أهذا عليك! قال: فَرَأَيْتُنا لا نُفْلِتُ مِنْ نَقْشِهِ فى الحياةِ، ومِنْ شَتْمه بَعدَ الوفاة!

ويُروى عن حَسَّانَ أنه قَصَّ هذه الرؤيا على محمد بن سيرين، فقال له ابنُ سيرين: لقد رأيتَ الحَجَّاجَ بالصِّحة.

[حديث الجحاف والأخطل]

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ من ناحية الزُّبَيْرِيِّينَ أن الجَحَّاف بنَ حَكِيم دخل على عبد الملك، والأخْطَلُ عندَه، فلما بَصُرَ به الأخطلُ قال:

أَلاَ أَبْلغِ الجَحَّافَ هل هُوَ ثائرٌ — بقتْلَى أُصِيبتْ من سُلَيْمٍ وعامِرِ!

فقال الجَحَّاف:

بَلَى سَوْفَ نَبْكِيهِمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ — ونَبْكِى عُمَيرًا بالرِّماحِ الْخَوَاطِرِ

---

(١) زيادات ر: «ينسب للفرزدق»، وقال المرصفى: هذا خطأ فإن الفرزدق مات سنة عشرة ومائة، ومات نوح ابن دراج وهو قاض بالجانب الشرقى ببغداد سنة اثنتين وثمانين ومائة».
(٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

ثم قال: يا بْنَ النَّصرانيَّة، ما ظَنَنْتُكَ تَجتَرِئ عليَّ بمثل هذا ولو كُنْتُ مأسورًا لك! فَحُمَّ الأخطلُ خوفًا، فقال له عبدُ الملك: أنا جَارُكَ منه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هَبْكَ أَجرْتَنِى منه فى اليَقظة، فَمنْ يُجيرُنى منه فى النَّوم!

ومِن هذا أو نحوه أخَذَ السُّلَمِىُّ قوله:

[قال أبو الحسن: هو أشْجَعُ السُّلَمِىُّ يقوله للرشيد]:

وعلى عَدُوِّكَ يا بنَ عَمِّ محمد ... رَصَدَان ضَوْءُ الصُّبحِ والإظْلامُ
فإذا تَنبَّهَ رُعْتَهُ وإذا هَدَاَ ... سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحْلامُ

[هرب العديل من الحجاج]

وكان العُدَيْلُ بن الفَرْخِ العجْلِىُّ هاربًا منَ الحَجَّاج، فجعلَ لا يَحُلُّ ببلدة إلاَّ رِيعَ لأثَرٍ يراهُ من آثارِ الحَجَّاجِ فَيَهْرُب، حتى أَبْعَدَ، ففى ذلك يقول العَدَيْل:

يُخَشُّونَنِى الحَجَّاجَ حتى كأنَّمَا ... يُحرِّكُ عَظْمٌ فى الفؤاد مَهِيضُ(١)
ودُونَ يَدِ الحَجَّاجِ من أنْ تَنالَنِى ... بِسَاطٌ لأَيْدِى اليَعمَلاَتِ عَرِيضُ(٢)

فلم يَنْشَبْ أن أُتِىَ به الحَجَّاج، ففى ذلك يقولُ العُدَيْلُ:

فلو كُنْتُ فى سَلْمَى أَجا وشعابها ... لكانَ لِحَجَّاجٍ علىَّ دليلُ
بَنَى قُبَّةَ الإسلامِ حَتَّى كأنَّما ... أَتَى الناسَ من بَعْدِ الضَّلالِ رسولُ

أَجأ وسلْمَى: جَبَلا طَيِّئٍ، و«أَجَأ» مهموز، وإنما هو «أجا» مقصورٌ، فاعلم، قال زيدُ الخَيْلِ:

جَلَبْنَا الخيلَ مِنْ أَجَإٍ وسَلْمَى ... تَخُبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذِّئاب(٣)

والشاعرُ إذا احتاجَ إلى قلب الهمزة قَلَبَها، إن كانت الهمزةُ مكسورة جَعَلَها ياء، أو ساكنةً جعلها على حركة ما قَبْلَها، وإن كانت مفتوحةً وقَبْلَها فتحةٌ جعلها ألفًا، وإن كانت مفتوحةً وقبلَها كسرةٌ جعلها ياءً، وإن كانت قبلَها ضمةٌ جعلها واوًا، قال الفرزدق:

رَاحتْ بمَسْلمةَ البِغَالُ عَشِيَّةً ... فارْعَىْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

---

(١) يخشوننى: يخوفوننى. (٢) البساط: الأرض العريضة.
(٣) نزائع: واحدتها نزيعة، وهى التى تشتاق إلى أوطانها.

وقال حَسَّانُ بن ثابت:

سَالَتْ هُذَيلٌ رَسولَ اللهِ فاحشةً ... ضَلَّتْ هُذَيلٌ بما سَالَتْ ولم تُصِبِ!

وقال عبد الرحمن بنُ حَسَّان:

وكنتَ أَذَلَّ من وَتَدٍ بقاعٍ ... يُشَجَّجُ رأسَهُ بالفِهْرِ واجِى

[قول الفرزدق فى عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق]

وأما قولُ الفرزدق، فإنه يقول لَمَّا عُزِلَ مُسْلَمةُ بنُ عبد المَلك عن العِراق بعد قَتلهِ يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ لحاجةِ الخليفةِ إلى قُرْبه وَوَلِىَ عُمَرُ بن هُبيرَةَ:

راحَتْ بمَسْلمةَ البِغالُ عشيةً ... فَارْعَىْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ
ولقد عَلِمْتُ إذا فَزَارَةُ أُمِّرَتْ ... أَنْ سوفَ تَطْمَعُ فى الإمارة أَشْجَعُ
فأَرَى الأُمورَ تَنكَّرَتْ أَعلامُها ... حتى أُمَيَّةُ عن فَزارَةَ تَنْزِعُ[1]
عُزِلَ ابنُ عمروٍ وابنُ بِشْرٍ قَبْلَهُ ... وأَخُو هَراةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّعُ

ففى جواب هذا يقول الأسَدى[2] لَمَا وَلِىَ خالدُ بنُ عبد الله القَسْرِىُّ:

بكَت المنابرُ من فَزارَةَ شَجْوَها ... فالآن منْ قَسْرٍ تَضِجُّ وتخْشَعُ
وَملوكُ خِنْدفَ أَسْلمُونَا للْعدَا ... لله درُّ مُلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ!
[كانوا كَتارِكةٍ بَنِيها جانبًا ... سَفهًا وغيرَهم تَصُونُ وتُرْضِعُ][3]

وأما قول حَسَّانَ:

* سَالَتْ هُذَيلٌ رَسولَ اللهِ فاحشة *

فلَيس من لغته «سِلْتُ أَسَال» مثل: «خفْتُ أخافُ»، و«هُمَا يَتَسَاوَلاَن»، هذا من لُغةِ غيرِه، وكانت هُذَيلٌ سألتْ رسول الله ﷺ أن يُحلَّ لها الزِّنا.

[مفاخرة بين أسدى وهذلى]

ويُرْوَى أَنَّ أَسديًّا وهُذَليًّا تَفَاخرَا، فرَضيَا برجلٍ، فقال: إنّى ما أقْضى بينكما إلاَّ أنْ تَجعلا لِى عَقْدًا وثيقًا ألا تَضْربَا ولاَ تَشْتما، فإنِّى لستُ فى بلادِ قَومى،

(١) زيادات ر: «تنزع، رواية عاصم، فمن روى «تنزع» بضم التاء يعنى «تعزل»، ومن روى بفتح التاء وكسر الزاى فهو من النزع فى القوس، وهو الرمى، يشير إلى أنها محتاجة إلى رأيها، وأنها ترمى عن قوسها».
(٢) نسبه المرصفى إلى إسماعيل بن عمار. (٣) ما بين العلامتين من زيادات ر.

ففعلاَ. فقال: يا أخا بَنى أسد، كيف تُفَاخِرُ العربَ وأَنْتَ تعلمُ أنه ليس حَىٌّ أَحَبَّ إلى الجيشِ ولا أبْغَضَ إلى الضَّيف، ولا أقَلَّ تحتَ الرايات منكم! وأمَّا أنتَ يا أَخَا هُذَيْلٍ، فكيفَ تُكلِّمُ الناسَ وفيكم خِلال ثلاثٌ: كان منكم دَليلُ الحبشة على الكَعْبَة، ومنكم خَوْلَةُ ذاتُ النِّحْيَيْن، وسألتُم رسول الله ﷺ أن يُحلَّ لكم الزِّنا! ولكن إذا أَرَدْتُمَا بَيْتَىْ مُضَرَ، فعليكمَا بهذين الحَيَّيْنِ من تَميم وقَيْس، قومَا فى غير حفظ الله!

وأمَّا بيتُ عبدِ الرحمن بن حَسَّانَ فإنه يقوله لعبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبى العاصى - وكان يُهاجيه، فقال له فى كَلمَته:

وأَمَّا قولكَ الخُلَفاءُ مِنَّا ... فهم مَنَعُوا وَرِيدَكَ من وِدَاجِ[1]
ولَولاهُمْ لكَنتْ كَحُوتِ بَحْرٍ ... هَوَى فى مُظْلِمِ الغَمَرات داجى
وكنْتَ أَذَل مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ ... يُشَجِّجُ رَأْسهُ بالفِهْرِ واجِى[2]

وكان أَحَدَ مَنْ هربَ من الحجاجِ سوَّارُ بن المُضَرَّب[3] ففى ذلك يقول:

أَقَاتِلِىَ الحَجَّاجُ إنْ لم أَزُرْ لَهُ ... دَرَاب وأَتْرُكْ عندَ هند فُؤَاديَا[4]
فإن كَانَ لا يُرضيك[5] حَتَّى تَرُدَّنى ... إلى قَطَرِىٍّ مَا إخَالُكَ راضيًا
إذَا جَاوَزَتْ دَرْبَ المجيزين ناقَتى ... فَباسْتِ أبى الحَجَّاج لَمَّا ثَنَانيَا[6]
أَيَرْجو بنو مَرْوَانَ سَمْعِى وطاعتِى ... وقَومِى تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرَائِيَا

«وورائى» هاهنا بمعنى: أمامى، قال الله عز وجل: ﴿**وإنِّى خفْتُ المَوَالىَ منْ وَرَائى**﴾[7]، وقال جل ثناؤه: ﴿**وكان وراءَهُمْ مَلكٌ يَأْخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾[8].

---

(١) وداج: مصدر ودجه، أى قطع ودجه، والودج: أحد الودجين، وهما عرقان غليظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها.

(٢) الفهر: الحجر ملء الكف، واجى: أصله واجىء، من الوجء، وهو الضرب والدق.

(٣) زيادات ر: «بفتح الراء».

(٤) دراب، قال المرصفى: «يريد دارا بجرد، فاقتصر على أحد الجزأين، وهى كورة بفارس».

(٥) زيادات ر: فاعل« يرضيك» مضمر أو منوى، تقديره: فإن كان لا يرضيك الإرضاء، ولا يجوز أن يكون ما بعد «يرضيك» الفاعل؛ لأن سيبويه رحمه الله قال: الفاعل لا يكون جملة، و«حتى تردنى» جملة، قاله ابن الأبرش».

(٦) درب المجيزين هو باب السكة، والمجيزون: هم المقيمون بأبواب الثغور يمنعون الخارج إلا من كان بيده جواز.

(٧) سورة مريم ٥.

(٨) سورة الكهف ٧٩.

[محمد بن عبد الله النميرى والحجاج]

ومن هَربَ من الحَجَّاج محمدُ بنُ عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ، وكان يُشَبِّبُ بزينبَ بنْت يوسُفَ، أخت الحَجَّاج، وهو القائل فيها:

تَضوَّعَ مسْكا بطنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ ... به زينبٌ فى نسْوَة عَطِرَات

يُخَبِّئنَ أَطْرافَ البَنَانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ شَطْرَ الليل مُعْتَجِرات

فى كلمةٍ له، فلمَّا أُتِيَ به الحَجَّاجُ قال:

هاكَ يدى ضاقَتْ بِيَ الأرض رُحْبَهَا ... وإنْ كُنْتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مَكان

فلو كنتُ بالعَنْقاءِ أَو بأَسُومِهَا[1] ... لَخِلْتُك إلا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِى

* * *

[مَن رَفَعَ «رُحْبُها» فعلى البدل، ومن نَصَبَ فعلى الظرف، قاله ش. و«أسومها» بفتح الهمزة وبالضم، والفتح أحسن، ش].

* * *

ثم قال: والله أَيُّها الأميرُ، إنْ قلتُ إلاَّ خيرًا، إنما قلتُ:

يُخَبِّئنَ أَطْرافَ البَنَانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ شَطْرَ الليل مُعْتَجِراتِ

فعفَا عنه، ثم قال له: أخبرنى عن قولك:

ولَمَّا رأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أعْرَضَتْ ... وكُنَّ مِنَ أنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

ما كنتم؟ قال: كنتُ على حمارٍ هَزيل، ومعى صاحبٌ لى على أتان مثله.

[مالك بن الريب والحجا ج]

ومن هرب منه مالكُ بن الرَّيْبِ المازنيُّ، أَحَدُ بنى مَازِنِ بن مالك بن عمرو ابن تميم، وفى ذلك يقول:

إنْ تُنْصفونا يَالَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إليكم وإلاَّ فَأْذَنُوا ببِعَاد

فإنَّ لَنَا عنكم مَزَاحًا ومَزْحَلا ... بِعِيس إلى ريحِ الفَلاَة صَوَاد[2]

فَفِى الأرض عن دارِ المَذَلَّة مَذهَبٌ ... وكلُّ بلادٍ أُوطِنَت كبِلادِى

* * *

---

(١) أسوم: اسم جبل.

(٢) مزاحا، مصدر ميمى من زاح إذا بعد. ومزحلا، مصدر ميمى من زحل، إذا تنحى وتباعد. العيس: الإبل البيض، والصوادى: العطاش.

كذا وقعت الروايةُ بضم الهمزة وكسر الطاء، والأَصحُّ «أَوْطَنَتْ» بفتح الهمزة وفتح الطاء، قاله ش.

* * *

فمـاذا تُرَى الْحَجَّـاجَ يَبْلُغُ جُـهْدَهُ ... إذا نَحْنُ جـاوزنا حَـفِـيـرَ زِيادَ[1]

فلولاَ بَنُو مَـرْوَانَ كـان ابنُ يوسُف ... كـما كَـانَ عـبـدًا من عَبِـيـدِ إِيَاد

زَمـانَ هُوَ العَـبْـدُ المُقِـرُّ بِذِلَّةٍ ... يُرَاوِح صِـبْـيَـانَ القُرَى ويُغَـادِى

قال ذلك لأن الحجاج كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْنِ بالطائف، وكان لقبهُ «كلَيْبًا»، وفى ذلك يقولُ القائل:

أَيَنْسَى كُلَيْـبٌ زمـان الهُـزالِ ... وتَعْـلِيـمَـهُ سـورةَ الكَـوْثَر

رَغِـيـفٌ له فلكَةٌ مـا تُرَى ... وآخَـرُ كـالقَـمَـرِ الأَزْهرِ[2]

يقولُ: خُبْزُ المُعَلِّمين يأتى مختلفًا، لأنه من بيوتِ صِبيانٍ مختلِفى الأحوال.

وأَنْشَدَ أبو عثمانَ عمرُو بنُ بَحْرٍ الجاحظ:

أَمَـا رَأَيْتَ بنى بَـحْـرٍ وقـد حَـفَلُوا ... كَـأَنَّهُم خُـبْـزُ بَقَّـال وكُـتَّـاب

هذا طويـلٌ وهَذا حَنْبَـلٌ جَـحِـدٌ ... يَمْشُونَ خَلْفَ عُمَيْرٍ صاحبِ البابِ[3]

وفى لَقبه يقولُ آخرُ من أهل الطائف:

كُـلَيْـبٌ تَـمكَّـنَ فـى أَرْضـكـم ... وقـد كـان فـينا صَـغِـيـرَ الخَطَرْ

ولما دخل الحَجَّاجُ مكةَ اعـتذرَ إلى أهلهـا لقلة ما وصلهم بـه، فقال قـائلٌ منهم: إِذَنْ واللهِ لا نَعْذرُكَ وأنـتَ أميرُ العـراَقَيْنِ وابنُ عَظِيم القَـرْيَتَيْنِ! وذلك أنَّ عُرْوَةَ بنَ مسعود وَلَدَهُ منْ قِـبَلَ أُمِّه. وتأويلُ قول الله عزَّ وَجلَّ: **﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هذَا الْقُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَـرْيَتَيْنِ عَظِيم﴾**[4] مجازُهُ فى العـربية: «على رجل من

(1) حفير زياد: نهر احتفره زياد على خمس ليال من البصرة.

(2) الفلكة: مستدار كل شيء.

(3) الحنبل: القصير الضخم. والجحد: ضائق العيش.

(4) سورة الزخرف ٣١.

رجلين من القريتين عظيم﴾، والقريتان: مكةُ والطائفُ، والرجلان: عُروَةُ بنُ مسعود، والآخرُ الوَليدُ بن المُغيرةِ بن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخْزوم.

ويُرْوَى أن أبا بكر الصديق رحمه الله مَرَّ بقبره ومعه خالد، فقال: أصْبَحَ جَمْرَةَ فى النار، فأجابه خالد فى ذلك بجواب غيرِ مَرْضِيّ.

[مقتل عروة بن مسعود]

وأما عُروَةُ بنُ مسعود فإن رسولَ الله ﷺ بعثهَ إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فَرَقِىَ سطحَهُ، فرماه رجلٌ بسهم فقتله، فلما وَجَّهَ رسولُ الله ﷺ العباسَ بن عبد المُطَّلب رحمه الله إلى أهل مكة أَبْطأَ عليه، فقال: «رُدُّوا علىَّ أَبى، أَمَا لَئِنْ فعلتْ به قريشٌ ما فعلتْ ثَقيفٌ بعروةَ بنِ مسعود لأُضرِمَنَّهَا عليهم نارًا».

يقال: رَقِيتُ السطحَ وما كان مثلَهُ أرقاه، مثلُ خَشِيتُهُ أَخْشَاهُ، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ تَرْقَى فى السَّمَاء﴾[1]، ويقال: رَقَيْتُ اللَّديغَ أَرْقيه، مثلُ رَمَيْتُه أرميه. ويقال: ما رَقَأَتْ عينُه من الدمعِ، مهموزٌ «تَرْقَأ» يا فتى، مثل «قَرَأْتَ تَقْرَأ» يا فتى.

[فى موت ابن الحجاج وأخيه]

وكان الحَجَّاجُ رأى فى منامه أن عَينَيْه قُلعَتا، فطَلَّقَ الهِنْدَيْنِ: هندًا بنتَ المُهَلَّب، وهندًا بنتَ أسماء بنِ خَارِجَةَ، فلم يَلْبَثْ أنْ جاءه نعيُّ أخيه من اليمن فى اليوم الذى مات فيه ابنُه محمدٌ، فقال: هذا والله تأويلُ رؤيايَ، ثم قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ فى يوم واحد!

حَسْبِي بقَاءُ الله من كلِّ مَيِّت ... وحَسْبى رَجَاءُ الله من كلِّ هالك
إذا كان ربُّ العرْشِ عَنِّىَ رَاضِيًا ... فإنَّ شفاءَ النفسِ فيما هُنَالِكَ[2]

وقال: مَنْ يقول شعرًا يُسلينى به؟ فقال الفرزدق:

إنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مثلُها ... فُقْدَانُ مثْلِ مُحمد ومحمد
مِلكَانِ قد خلَتِ المَنَابِرُ منهما ... أُخَذَ الحِمَامُ عليهما بالمَرْصَدِ

---

(١) سورة الإسراء ٩٣.

(٢) زيادات ر: «ويروى: فإن سرور النفس».

فقال: لو زِدْتَنِى ! فقال الفرزدق:

إنِّى لبَاكٍ عَلَى ابْنَىْ يُوسُف جَـزَعًا ... ومِـثلُ فَـقْـدهِمَـا للدِّين يُـبْكِينى
مَا سَـدَّ حَىٌّ ولا مَيْـتٌ مَسَدَّهُـمَا ... إلاَ الخَـلائِفَ مِنْ بَعْـدِ الـنَّبيِّـينِ

فقال له: مَا صَنَعْتَ شيْئًا، إنما زِدْتَ فى حُزْنى، فقال الفرزدق:

لَئِنْ جَـزِعَ الحَجَّـاجُ مَا مِنْ مُـصِيبَةٍ ... تكونُ لمحـزون أجَلَّ وأَوْجَـعَـا
مِن المُصْطَفَى والمُصْطَفَى من خيارهم ... جَنَاحَيْـه لَمَّـا فـارقـاهُ فَـوَدَّعَـا
أخٌ كـان أَغْـنَى أَيْمنَ الأرضِ كُـلَّهُ ... وأَغْنَى ابْنُهُ أَهلَ العـراقَـيْنِ أَجْـمَعَا
جَنَاحَـا عُـقَـابٍ فَـارقَـاهُ كِـلاهُمـا ... ولو نُزِعَـا مِن غـيره لَتَـضَـعْـضَعَـا

فقال: الآنَ.

أمَّا قـولُهُ: «إلا الخلائفَ من بعـد النبيـين» فخَـفضَ هذه النون، وهى نون الجمع، وإنما فَعَل ذلك لأنه جَعَلَ الإعْـرابَ فيها لا فيما قـبلَها، وجعلَ هذا الجمع كسائر الجمع، نحو أفْلُسٍ، ومَسَاجِـدَ، وكلاب، فإن إعرابَ هذا كإعرابِ الواحد، وإنما جاز ذلك؛ لأن الجمعَ يكون على أَبْنِيَة شَتَّى، وإنما يُلْحَق منه بمنْهاجِ التثنية ما كان على حـدِّ التثنية لا يُكَسَّرُ الواحدُ عن بنائه، وإلاَّ فـلاَ، فإنَّ الجمعَ كـالواحد، لاختلاف معانيه، كما تختلفُ مـعانى الواحد، والتثنيةُ ليستْ كذلك؛ لأنها ضَرْبٌ واحدٌ، ولا يكونُ اثنانِ أكـثرَ من اثنين عدداً، كـما يكون الجمعُ أكثـرَ من الجمع، فمما جاء على هذا المذهب قولهم: هذه سِنِين، فاعلمْ، وهذه عِشْرِين، فاعلم، قال العَدْوَانىُّ:

إنِّـى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذو مُـحـافَـظَةٍ ... وابـنُ أَبِـىٍّ أَبِـىٍّ مِـن أَبِـيِّـينِ
وأنتمُ مَـعْشَـرٌ زَيْدٌ عَلَى مـائةٍ ... فأَجمِعُوا كَيْدَكُمْ طُرًّا فَكِيدُونِى

وقال سُحَيْمُ بن وَثِيل:

ومـاذَا يَدَّرى الشُّـعَـرَاءُ منِّى ... وقـد جـاوَزْتُ حَـدَّ الأربَعين !
أخو خَـمْسِينَ مُـجْتَـمِعٌ أَشُدِّى ... ونَجَّـذَنى مُـدَاوَرَةُ الشُّـئُـونِ

وفى كتاب الله عز وجل: ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾[1].

---

(١) سورة الحاقة ٣٩.

فإن قال قائل: فإن «غسلينًا» واحدٌ، فإنه كلُّ ما كانَ على بناء الجمع من الواحد فإعرابه كإعراب الجمع، ألاَّ ترَى أنَّ «عشرينَ» ليس لها واحدٌ من لفظها، وإعرابُها كإعرابِ «مُسْلمين» واحدهم «مُسْلمٌ»! وكذلك جميعُ الأعراب. وتقول: «هذه فلسْطونَ» يا فَتى، و«رأيتُ فلَسْطين» يا فَتى، هذا القولُ الأَجْوَدُ وكذلك «يَبْرينَ»، وفى الرفع «يبْرونَ» يا فَتى، وكلُّ ما أَشْبَهَ هذا فهو بمنزلته، تقول: «قِنَّسْرُونَ»، و«رأيت قِنَّسْرِينَ»، والأجودُ فى هذا البيت(١):

وشَاهِدُنَا الجلُّ والياسمُو … نَ والمُسْمِعَاتُ بقُصَّابِهَا(٢)

وفى القرآن ما يُصَدِّق ذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿**كَلاَّ إنَّ كتابَ الأبرار لفى علِّيينَ * وما أَدْرَاكَ مَا عليُّونَ**﴾(٣)، فمن قال: «هذه قِنَّسْرُونَ ويَبْرُونَ»، فَنَسَبَ إلى واحد منهما رجلا أو شيئا قال: «هذا رجل قِنَّسْرِيٌّ ويَبْرِيٌّ»، بحذف النون والواو لمجيء حَرْفَي النَّسَب، ولو أثْبَتَهُمَا لكان فى الاسم رَفْعَانِ ونَصبانِ وجَرَّانِ؛ لأن الياء مرفوعةٌ، والواوَ علامةُ الرفع. ومن قال: «قِنَّسْرين» كما ترى قال فى النَّسَب: «قِنَّسْرِينيٌّ» لأنَّ الإعراب فى حرف النَّسَب، وانكسرتِ النونُ كما ينكسر كلُّ ما لَحِقَه النَّسَبُ.

وأما قوله: «ونجَّذَنى مُداوَرَةُ الشُّئون»، فمعناه: فَهَّمنى وعَرَّفَنى، كما يقال: حَنَّكَتْهُ التَّجارب، والناجذُ: آخِر الأضراس، من ذلك قولهم: ضحك حتى بدتْ نَوَاجِذُه. والشئونُ: جمعُ «شَأْن» مهموزٌ، وهو الأمْر.

وقال المفسِّرونَ من أهلِ الفقه وأهلِ اللغة فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلاَ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ**﴾: هو غُسَالة أهلِ النار، وقال النحويُّون: هو «فِعْلِينٌ» من الغُسالَةِ.

[كلمة عمر بن عبد العزيز فى الولاة الظالمين]

ويُروَى أنَّ عُمَرَ بن عبد العزيز خرج يومًا فقال: الوَليدُ بالشَّام، والحَجَّاجُ بالعراق، وقُرَّة بنُ شريك بمصر، وعثمانُ بن حَيَّانَ بالحجاز، ومحمدُ بنُ يُوسفَ باليمن! امتلأتِ الأرْضُ والله جَوْرًا!.

---

(١) زيادات ر: «هو الأعشى».

(٢) زيادات ر: «الجل: الورد». «والقصاب: الأوتار، وقيل الزمار»، والمسمعات: الجوارى المغنيات.

(٣) سورة المطففين ١٨، ١٩.

[كتاب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك]

وكتب الحَجَّاجُ إلى الوليد بنِ عبد المَلك بعدَ وفاة محمد بن يوسف: «أُخْبِرُ أمير المؤمنين ـ أكرمه اللهُ ـ أنه أصيبَ لمحمد بن يوسف خمسونَ ومائةُ ألف دينار، فإن يكُنْ أصابها من حِلِّها فرَحِمَهُ الله، وإنْ تكن من خيانة فلا رحمه اللهُ»! فكَتَبَ إليه الوليدُ: «أما بعدُ، فقد قرَأَ أميرُ المؤمنين كتابَكَ فيما خَلَّفَ محمدُ بن يوسف، وإنما أصاب ذلك المالَ من تجارةٍ له أَحْلَلْناها، فَتَرَحَّمْ عليه، رحمه الله»!

[من كلام معاوية لابنه يزيد]

ويُروَى أن يَزيدَ بنَ معاويةَ قال لمعاويةَ في يوم بُويِعَ له على عَهْده، فَجَعَلَ الناسُ يَمدَحونَه ويُقَرِّظونهُ: «يا أميرَ المؤمنين، والله ما نَدْرى، أَنخْدَعُ الناسَ أم يَخْدَعُونَنَا»! فقال له معاويةُ: «كلُّ مَنْ أَرَدْتَ خديعتَه فَتَخَادَعَ لَكَ حَتَّى تبلغَ منه حاجتَكَ فقد خدَعْتَهُ».

[كتاب الحجاج إلى عبد الملك]

ويُروَى أن الحَجَّاجَ كَتَبَ إلى عبدِ الملك بنِ مَرْوَانَ: «وبَلغَنى أَنَّ أميرَ المؤمنين عَطَسَ عَطْسَةً فَشَمَّتَهُ قوم فقال: يغفر الله لنا ولكم، فيَا لَيْتَنى كنت معهم فأَفُوزَ فوْزًا عظيما»!

[تفجع الوليد لموت الحجاج]

وزَعَم الأصْمَعيُّ قال: خَرَجَ الوليدُ يومًا على الناس وهو مُشْعَانُّ الرَّأْسِ، فقال: مات الحَجَّاجُ بنُ يُوسُفَ، وقُرَّةُ بن شَرِيك، وجَعَلَ يَتَفَجَّعُ عليهما.

قوله: «مُشْعَانُّ الرَّأْسِ» يعنى مُنْتَفِخَ الشَّعَرِ(١) متفرِّقه.

ومثلُ هذا لا يكونُ فى شعْر، لأن فى هذا التقاء ساكنَيْنِ، ولا يَقَعُ مثلُ هذا فى وزن الشعر، إلاَّ فيما تقدم ذِكْرُهُ فى المُتَقارِب، وليس ذا على ذلك الوزن.

[رسول عمر بن عبد العزيز إلى إليون ملك الروم]

وَحُدِّثْتُ أَنَّ عُمَرَ بنَ عبد العزيز رحمه الله وجَّهَ عبدَ الله بنَ عبد الأعْلَى ومعه رجل من عَنْسٍ إلى إلْيُونَ، فقال العَنْسِيُّ: فَخَلاَ بِى عُمَرُ دونهُ، وقَال لى:

(١) زيادات ر: «والرواية منتفخ» والصحيح «منتفش» قاله ابن سراج.

احفظْ كلَّ ما يكونُ منه، فلما صرنْا إليه صرنْا إلى رجلٍ عَرَبِيِّ اللســان، إنَّما نَشأَ بمَرْعَش(١)، فذَهبَ عبدُ الله ليتكَلَّمَ، فـقلتُ: على رِسْلكَ، فَحَمَدْتُ اللهَ وصليتُ على نبيـه ﷺ، ثم قلتُ: إنِّى وُجِّهْـتُ بالذى وُجِّهَ به هذا، وإنَّ أمـيـرَ المؤمنين يدعوكَ إلى الإسلام، فإنْ تَقْبَلْهُ تُصِبْ رُشْـدكَ، وإنى لأَحْسبُ أَنَّ الكتابَ قد سَبَقَ عليك بالشَّقاء، إلاَّ أن يشـاء اللهُ غيرَ ذلك، فإن قَبِلْتَ وإلاَّ فاكتـبْ جوابَ كتابنا.

قـال: ثـم تكلَّمَ عبدُ الله، فحـمـد الله وصلى على نبيـه ﷺ، وذَهَبَ فى الـقول ـ وكَان مُفوَّهًا ـ فـقال له إلْيُونُ: يا عبدَ الله! ما تقـول فى المَسيح؟ فقال: رُوحُ الله وكَلمَتُهُ، فقال: أيكونُ ولَدٌ من غَيْرِ فَحْلٍ! فقال عبدُ الله: فى هذا نَظَرٌ! فقال: أَىَّ نَظَرٍ فى هذا؟ إمَّا نَعمْ وإمَّا لاَ! فقال عـبدُ الله: آدمُ خَلَقَه اللهُ من تراب، فقال: إنَّ هذاً أُخْرِجَ من رَحِمٍ، قـال: فى هذا نظر! قال له إلْيونُ بالرُّومـيَّة: إنِّى أَعْلَمُ أَنك لَستَ على دينى ولا على دين الذى أرسلك ـ قال: وأنا أفهـمُ بالرُّومية ـ ثم قال: أَتعظِّمُون يومًا غيرَ يومِ الجمعة؟ فـقال: نعم، فقال: وما ذلك اليومُ، أَمِنْ أَعْيَادكُم هو؟ فقال: لا، قال: فلِمَ تُعَظِّـمونَه؟ قال: عيدٌ لقومٍ كانوا صَـالحين قبلَ أن يَصيرَ إليكم، قال: فـقال له إلْيـونُ بالرومية: قـد علمتُ أنكَ لستَ على دينى ولا على دين الذى أرسلك، فـقال له عـبد الله: أَتَدْرى مـا يقول أَهلُ السَّـفَه؟ قـال: وما يقولون؟ قال: يقولون: قال إبليسُ: أُمِـرتُ أَلا أَسْجُدَ إلاَّ لله، ثم قيلَ لى: اسْجُدْ لآدم، قال: فـقال له بالرومية: الأَمْـرُ فيك أَبْيَن من ذلك، قال: ثم كَـتَبَ جوابَ كُتُبنا، قال: فَـرَجْعنا إلى عمرَ بها، قال: فَخَبَّـرناه بما أردنا ثم نهضنا، فَرَدَّنى إليه من باب الدار فخلا بى، فـأخبرتهُ، فقال: لَعَنَهُ اللهُ! لقـد كانت نفسى تأباهُ، ولم أَحْسبْهُ يَجْـتَرِئُ على مثل هذا، قال: فلما خرجتُ قال لى عـبد الله: ما الذى قال لكَ؟ قال: قلتُ قال لى: أَتَطْمَعُ فيه؟ قلت: لا.

[الشعبى عند صاحب الروم]

ولما وجَّهَ عبدُ الملك الشَّعْبِيَّ إلى صاحب الرُّوم فكلَّمه، قال له صاحب الروم بعدَ انقضاء ما بينهـما: أَمِنْ أَهْلِ بيت المَمْلكة أَنتَ؟ قال: قلتُ: لا، ولكنى رجلٌ

(١) مرعش: مدينة بين الشام وبلاد الروم.

من العرب، قال: فكتب معى رُقْعةً، وقال لى: إذا أَدَّيْتَ جوابَ ما جئتَ له فأَدِّ هذه الرُّقعةَ إلى صاحبك، قال: فلمَّا رَجَعْتُ إلى عبد الملك فأعطيتهُ جوابَ كتابه وخَبَّرْتُه بما دَارَ بيننا نَهَضْتُ، ثم ذَكَرْتُ الرقعةَ، فرجعتُ فدفعتُها إليه، فلمَّا وَلَّيْتُ دعانى، فقال لى: أَتَدْرِى ما فى هذه الرقعة؟ قلتُ: لا، قال: فيها «العَجَبُ لقوم فيهم مثلُ هذا كيفَ وَلَّوْا أُمورَهم غيرَه»، قال: فلمَّا وَلَّيْتُ دعانى، فقال لى: أَفتدْرِى مَا أَرَادَ بهذا، قلتُ: لا، قال: حَسَدَنى عليكَ، فأرادَ أن أَقْتُلَكَ، قال: فقلتُ: إنما كَثُرْتُ عندَه - يا أميرَ المؤمنين - لأنه لم يَرَكَ، قال: فرجَعَ الكلام إلى مَلِك الروم، فقال: لله أَبُوه! مَا عَدَا مَا فى نَفْسِى!

[معاوية وأحد بطارقة الروم]

وحُدِّثْتُ أَنَّ معاوية، كان إذا أتاه عن بِطْرِيق من بَطارقة الروم كَيْدٌ للإسلام احتالَ له، فأَهْدَى إليه وكاتَبَه، حتى يُغْرِىَ به مَلِك الروم، فكانت رُسُلُه تأتيه فتُخبِرُه بأن هناك بِطَرِيقًا يُؤْذِى الرُّسُلَ، ويَطْعُنُ عليهم، ويسىء عِشْرَتَهُمْ، فقال معاويةُ: أى ما فى عَمَلِ الإسلام أَحَبُّ إليه؟ فقيل له: الخِفافُ الحُمْرُ، ودُهْنُ البَانِ، فأَلطَفَهُ بهما، حَتَّى عَرَفَتْ رسلُه باعتياده، ثمْ كَتَبَ كتابًا إليه، كأنه جوابُ كتابه منه، يُعْلِمُهُ فيه أنه وَثِقَ بما وَعَدَهُ به من نصْره وخِذلاَن مَلِك الروم. وأَمَرَ الرسولَ بأن يَتَعَرَّضَ لأنْ يُظْهَرَ على الكتاب، فلمَّا ذَهَبَتْ رُسُلُه فى أوقاتها ثم رَجَعَت إليه، قال: ما حَدَثَ هناك؟ قالوا: فلانٌ البِطَرِيق رأيناهُ مقتولا مصلوبًا، فقال: وأَنَا أبو عبد الرحمن![1].

[رسولا ملك الروم عند معاوية]

وَحُدِّثْتُ أَنَّ مَلَكَ الرُّوم فى ذلك الأوَان وَجَّهَ إلى معاويةَ: «إنّ الملوكَ قَبْلَك كانت تُرَاسِلُ الملوكَ منَّا، ويَجْهَدُ بعضُهم فى أَنْ يُغْرِبَ على بعض، أَفَتَأْذَنُ فى ذلك»؟. فأذنَ له، فوَجَّهَ إليه برجلين: أحدُهما طويلٌ جَسِيمٌ، والآخرُ أَيِّدٌ، فقال معاويةُ لعَمْرٍو[2]: أمَّا الطويلُ فقد أصَبْنَا كُفْأَهُ - وهو قَيْسُ بنُ سعدِ بنِ عُبَادَة - وأما

(١) قال المرصفى: «يريد أغريت بما صنعت له ملك الروم حتى قتله وصلبه وأنا المعروف بالكيد والدهاء، وعبد الرحمن ولده من فاختة بنت قرظة».
(٢) يريد عمرو بن العاص.

الآخرُ الأيِّـدُ فقد احـتَجنْا إلى رأيـكَ فيه، فـقال: هاهنا رجـلان، كلاهُمـا إليك بَغيضٌ: محمدُ بنُ الحَنَفيَّةِ، وعبـدُ الله بنُ الزُّبيرِ، فقال معاويةُ: مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إلينا على حال. فلما دخلَ الرجـلان وَجَّهَ إلى قيسِ بنِ سعد بن عُبـادةَ يُعْلِمُه، فدخل قيسٌ، فلما مَثَلَ بين يَدَىْ معاويةَ نَزَعَ سَـراَويلَه فرمى بها إلى العلْج، فلبسها فنالت ثُنْدُوَته[1]، فأَطْرَقَ مـغلوبًا، فَحُدِّثْتُ أن قَيْـسًا لِيمَ فى ذلك، فقـيلَ له: لِمَ تَبَذَّلْت هذا التَّبذُّلَ بحَضْرَةِ معاويَةَ، هَلاَّ وَجَّهْتَ إلى غيرها! فقال:

أَرَدتُ لكَيْـمَـا يَعْلَمَ النـاسُ أَنهـا ... سَـراويلُ قَـيْسٍ والوُفـودُ شـهـودُ
وأَلاَّ يقـولُوا: غـابَ قَـيْسٌ وهذه ... سَـراويلُ عـادى نَمَتْـهُ ثمـودُ
وإنى مِنَ القـومِ اليَـمَـانينَ سَيِّـدٌ ... ومـا النـاسُ إلاَّ سَـيِّـدٌ وَمَسُـودُ
وبَذَّ جمـيعَ الخَلْقِ أَصلى ومَنْصِبِى ... وجـسمٌ بِهِ أَعْلـو الرِّجـالَ مَـديدُ

وكان قيسٌ سِناطًا[2]، فكانت الأنصارُ تقول: لوددنا أنا اشترينا له لحية بأنصاف أموالنا، وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبر إن شاء الله.

ثم وَجَّهَ إلى محـمد بن الحنفيَّة، فدخـلَ، فَخُبِّرَ بما دُعِىَ له، فقـال: فقولوا له: إن شاءَ فَلْيَجلْسْ وَلْيُـعْطِنى يَدَهُ حَتَّى أُقيمَهُ أو يُقْعِـدَنى، وإن شاءَ فليكنِ القائمَ وأنا القاعدَ، فاخـتارَ الرومىُّ الجلوسَ، فأقامه محمدٌ، وعَـجزَ هو عن إقْعاده، ثم اخْتَارَ أن يكونَ مـحمدٌ هو القاعـدَ، فَجَذَبهُ فأقْـعده، وعجزَ الرومىُّ عن إقـامته، فانْصرَفَا مغلوبَيْن.

[معاوية يهدى ملك الروم قارورة مملوءة ماء]

وحدثنى أحدُ الهـاشميِّين: أن مَلِكَ الرُّومِ وَجَّه إلى معاويةَ بقـارورة، فقال: ابْعَثْ إلىَّ فيها من كلِّ شىء، فبَعَثَ إلَى ابنِ عباسٍ، قال: لتُمْلأْ له مَاءً، فلما وَرَدَ بها على ملك الروم قال: لله أبوه ما أدهاهُ! فقيلَ لابنِ عباسٍ: كيفَ اختَرْتَ ذلك؟ فقال: لقولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[3].

---

(١) زيادات ر: «الثندوة: ما اسود حول الحلمة».

(٢) زيادات ر: «السناط والسنوط: أن يكون فى الذقن شىء من الشعـر، ولا يكون فى العارضين شىء، فإن لم يكن فيهما جميعا فهو الثط».

(٣) سورة الأنبياء ٣٠.

[طعم الماء]

وقيل لرجلٍ من بنى هاشم - وهو جعفرُ بنُ محمدِ بنِ عَلِيٍّ بن الحُسين، وكان يُقَدَّم فى مَعْرِفَتِهِ -: ما طَعْمُ الماءِ؟ فقال: طعمُ الحَيَاة.

[عبد الله بن الزبير وعلاج لحيته]

وأمَّا عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ فيَذْكُرُ أَهْلُهُ أنه قال: عالجتُ لِحيَتِى لِتَتَّصِلَ لى إلى أن بلغتُ سِتِّين سنةً، فلما أكْمَلْتُهَا يَئِسْتُ منها.

[من أخبار قيس بن سعد]

وكان قيسُ بنُ سعد شجاعًا جَوادًا سيِّدًا، وجاءته عجوزٌ قد كانتْ تألَفهُ، فقال لها: كيفَ حالُك؟ فقالت: ما فِى بيتى جُرَذٌ، فقال: ما أَحْسَنَ ما سَأَلْتِ! أمَا والله لأُكْثِرَنَّ جرذَانَ بَيْتِك.

وكان سعدُ بن عُبادةَ حيثُ تَوَجَّهَ إلى حَوْرَانَ قَسَمَ ماله بين ولَده، وكان له حَمْلٌ لم يَشْعُرْ به، فلما وُلِدَ له، قال له عمرُ بن الخطَّابِ - يعنى قَيْسًا -: لأَنْقضَنَّ ما فعلَ سعدٌ، فجاءه قيسٌ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، نصيبى لهذا المولودِ، ولا تَنْقضْ ما فَعلَ سعدٌ.

قال أبو العباس: حُدِّثْتُ بهذا الحديث مِنْ حيثُ أَثِقُ به: أنَّ أبا بكر وعمرَ رحمهما الله مَشَيَا إلى قيسِ بنِ سعدٍ يَسْأَلانِهِ فى أمرِ هذا المولود، فقال: نصيبى له، لا أُغَيِّرُ ما فعل سعد.

وكان معاويةُ كتب إلى قيسِ بنِ سعدٍ - وهو وَالِى مصرَ لعلىٍّ بن أبى طالبٍ رحمه الله -: «أمَّا بعد، فإنَّكَ يهودىٌّ ابنُ يهودىٍّ، إن غَلَبَ أَحَبُّ الفريقين إليكَ عزلَكَ واستَبْدَلَ بك، وإن غَلَبَ أبغَضُهما إليك قَتَلَكَ، ومَثَّلَ بكَ، وقد كان أبوك فَوَّقَ سهْمَهُ، ورمَى غَرَضَهُ، فأَكْثَرَ الحَزَّ، وأَخْطَأَ المَفْصِل، حتى خَذَلَهُ قَوْمُهُ، وأدركه يومُه، فماتَ غريبًا بِحَوْرَان، والسلامَ».

فكتب إليه قيسٌ: «أمَّا بعدُ، فإنك وَثَنُ ابنُ وَثَنٍ، لم يَقْدُمْ إيمانُك، ولم يَحْدُث نِفاقُكَ، دَخَلْتَ فى الدين كُرْهًا، وخرجتَ منهُ طوعًا، وقد كان أبى فَوَّقَ

سهمَهُ، ورَمَى غرَضَهُ، فَسَعَيْتَ عليه أنتَ وأبوكَ ونُظَرَاؤُكَ، فلم تَشُقُّوا غُبارَه، ولم تُدْرِكُوا شَأْوَه، ونحن أنصارُ الدِّين الذى خـرجتَ منهُ، وأعداء الدين الذى خرجتَ إليه، والسلامَ».

وكان قيسٌ موصوفًا مع جماعة قد بَذُّوا الناسَ طولاً وجمالاً، منهم: العباسُ ابنُ عبـد المطلب رحمه الله، ووَلَدُهُ، وجَـريرُ بنُ عبد الله البَـجَلِىُّ، والأَشْعَثُ بنُ قيسٍ الكَـنْدِىُّ، وعَدِىُّ بنُ حاتمٍ الطائىُّ، وابـنُ جذْلِ الطِّعَان الكنانـىُّ، وأبو زُبَيْدٍ الطائىُّ، وزيدُ الْخَيْلِ بنُ مُهَلْهِلٍ الطائىُّ، وكان أحَدُ هؤلاء يُقَبِّل المرأة على الهَوْدَجِ، وكان يقال للرجل منهم مُقَبِّل الظَّعْن، وكان طـلحةُ بنُ عُبيد الله موصوفًا بالتمَّام.

بابـ

[لسليك بن السلكة]

قال أبو العباس: قال السُّلَيْكُ بنُ السُّلَكَةِ ـ وهى أُمُّـه، وكانت سَوْدَاءَ حَبَشِيَّةً ـ وكان من غِرْبان العَرَب، وهو السُّلَيْكُ بن عُمَيْرِ السَّعْدِىُّ:

أَلاَ عَتَبَتْ عَلَىَّ فَصَارَمَتْنِى ... وأَعْجَبَهَا ذَوُو اللِّمَمِ الطِّوَالِ

فَإِنِّى يابْنَةَ الأقْوامِ أُرْبِى ... على فِعْلِ الوَضِىِّ منَ الرِّجَالِ

فَلا تَصِلى بصُعْلُوك نئُومٍ ... إذَا أَمْسَى يُعَدُّ منَ العِيَالِ

ولكنْ كلَّ صُعْلُوك ضَرُوبٍ ... بنَصْلِ السَّيْفِ هَامَاتِ الرِّجَالِ(١)

أَشَابَ الرأسَ أَنِّى كلَّ يومٍ ... أَرَى لِى خَالَةً وسْطَ الرِحَالِ

يَشُقُّ علىَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا ... ويَعْجِزُ عن تخَلُّصِهِنَّ مَالِى

قوله:

* وأَعجَبَها ذَوُو اللِّمَمِ الطِّوَالِ *

يعنى: الجُمم، وإن شئتَ قلتَ: الجِمَامُ، يقالُ «جُمَّةٌ وَجُمَمٌ»، كقولك «ظُلْمَةٌ وظُلَمٌ»، ويقال «جِمامٌ» كقولك: «جُفْرَةٌ وجِفارٌ»(٢) و«بُرْمَةٌ وبِرامٌ».

قال الشاعر:

إِما تَرَىْ لِمَّتِى أوْدَى الزمانُ بها ... وشَيَّبَ الدهرُ أَصْدَاغى وأَفْوَادى

وقوله:

* على فِعْلِ الوَضِىِّ منَ الرِّجالِ *

يريد: الجميل، وهو «فَعيلٌ» منْ «وضُؤَ يوْضُؤ» يا فتى، تقديرُه «كَرُم يكْرُم، وهو كريم»، ومصْدَرُه «الوَضاءةُ» وكذلك «قَبُحَ يَقْبُحُ قَبَاحَةً»، و«سَمُجَ يَسْمُجُ سَمَاجةً»، ويقال: «ما كُنْتَ وَضيئًا»، و«لقد وضُؤْتَ بعدنا».

وقوله: «فلا تَصلى بصُعْلُوك»، يقول لاَ تَتَّصِلى به، كما قال ابنُ أَحمر:

ولا تَصِلِى بِمطْرُوقٍ إذا مَا ... سَرَى فى القوم أَصْبَحَ مُسْتَكينًا

---

(١) زيادات ر: «كل خبر ابتداء والتقدير: همك».

(٢) زيادات ر: «الجفرة: هى الحفرة العظيمة».

إذا شَرِبَ المُرِضَّةَ قالَ أَوْكِى - عَلَى ما فِى سِقَائِكَ قد رَوِينَا[1]

فالصعلوك: الذى لا مال له، قال الشاعر[2]:

كَأَنَّ الفتَى لم يَعْرَ يومًا إذا اكْتَسَى - ولم يَكُ صُعْلُوكًا إذا ما تَمَوَّلاَ

وقوله: «نئوم» يَصِفُه بالبَلادة والكَسَلِ، وكانت العربُ تَمْدَحُ بخفَّة الرءوس عن النوم، وتَذمُّ النُّوفة، كما قال عبدُ الملك لمؤدِّبِ وَلَدِه: عَلِّمْهم العَوْمَ، وخُذْهم بقلَّةِ النَّوْمْ. وإنما تَوَجَّعَ لخالاته لأنهنَّ كُنَّ إماءً.

[النجباء من أولاد السرارى]

ويُرْوَى عن رجلٍ من قُرَيشٍ - لم يُسَمَّ لنا - قال: كنت أُجالسُ سعيد بنَ المُسَيَّب، فقال لى يومًا: مَنْ أخوالُكَ؟ فقلتُ: أُمِّى فَتَاةٌ، فكأَنِّى نَقَصْتُ فى عَيْنِه، فَأَمْهَلْتُ حتى دخلَ عليه سالمُ بنُ عبد الله بن عمرَ بن الخطَّاب رحمه الله، فلما خَرَجَ مِنْ عنده قلتُ: يا عَمِّ! مَنْ هذا؟ فقال: يا سُبْحَانَ الله! أَتَجْهَلُ مثلَ هذا مِن قَوْمِكَ! هذا سالمُ بنُ عبد الله بنِ عمرَ، قلتُ: فَمَنْ أُمُّه؟ قال: فَتاةٌ، قَال: ثم أَتَاه القاسمُ بنُ محمد بنِ أبى بكر الصديق رحمه الله، فجلس عندَه ثم نَهَضَ، فقلتُ: يا عَمِّ! مَنْ هذا؟ فقال: أتجهلُ مِنْ أَهْلكَ مثْلَهُ! ما أَعْجَبَ هذا! هذا القاسمُ بنُ محمد بنِ أبى بكر الصديق، قلتَ: فَمَنْ أُمُّه؟ قال: فَتاةٌ، فَأَمْهَلْتُ شَيْئًا حتى جاءه علىُّ بنَ الحسين بن علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فسلَّم عليه ثم نهضَ، فقلتُ: يا عَمِّ، مَنْ هذا؟ قال: هذا الذى لا يَسعُ مسلمًا أن يَجهلَه! هذا علىُّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب، قلتُ: فمن أُمُّه؟ قالَ: فتاةٌ، قال: قلتُ: يا عَمِّ! رأيتُنى نَقَصْتُ فى عينكَ لَمَّا علمتَ أنى لأُمِّ وَلَد، أَفَمَا لِى فى هؤلاء أُسْوَةٌ! قال: فَجَلَلْتُ فى عَيْنِه جدًّا.

وكَانَتْ أمّ علِى بن الحسين «سُلافَةُ» من ولد يزْدَجَرِدَ، معروفةَ النَّسَبِ، وكانتْ من خيرَاتِ النِّساء.

ويُرْوَى أنه قيلَ لعلىِّ بن الحسين رحمه الله: إنك منْ أَبَرِّ الناسِ، ولَسْتَ تأكلُ مع أُمِّكَ فى صَحْفةٍ؟ فقال: أَكْرهُ أن تَسْبِقَ يَدِى إلى ما قد سَبَقَتْ إليه عَيْنُها فأكون قد عققْتُها.

---

(١) زيادات ر: «إذا صب لبن حليب على حامض، فهى المرضة» وأوكى: شد به بالوكاء، وهو كل شىء يسد به فم السقاء.

(٢) زيادات ر: «جابر بن ثعلبة الطائى».

وكان يقالُ له: ابنُ الْخيَرْتين[1] لقول رسول الله ﷺ: «لله مِنْ عِبَادِهِ خِيرَتَانِ، فَخِيرَتُهُ من العربِ قُرَيْشٌ، ومن العَجَمِ فارِسُ».

وكانت سُلافَةُ عمَّةَ أُمِّ يزيد النَّاقصِ أو أُختَها.

وقال رجلٌ من وَلَد الْحَكَم بنِ أبى العاصى، يقال له عُبَيْدُ الله بن الْحُرِّ - وكان شاعرًا متقدِّمًا، وكان لأُمِّ وَلَد، وهو من وَلَد مَرْوَانَ بن الحكَمِ -:

فإنْ تَكُ أمِّى مِنْ نسَاءِ أَفَاءَها جِيادُ القَنَا والمُرْهَفَاتُ الصَّفَائح
فتبًّا لِفَضْلِ الحُرِّ إنْ لم أَنَلْ به كَرائمَ أولادِ النِّسَاءِ الصَّرَائحِ

وإنما أَخذَ هذا من قول عَنْتَرَة:

وأنا امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا شَطْرِى[2] وأحْمِى سَائرى بالمُنْصَلِ

وأنْشدَ لبلالَ بنَ جَرِيرٍ - وبلغه أن مُوسَى بنَ جَرِيرٍ كان إذا ذَكَره نسبه إلى أُمِّهِ، لأنه ابنُ أمِّ وَلَدٍ، فيقولُ: قال ابنُ أُمِّ حكيمٍ، فقال بلال:

يا رُبَّ خَالٍ لِى أَغَرَّ أَبْلَجَا مِنْ آلِ كِسْرَى يَغْتَذِى مُتَوَّجَا
ليس كَخَالٍ لكَ يُدْعَى عَشْنَجَا

والعَشْنَجُ: المُتَقَبِّضُ الوجهِ السَّيِّئُ المَنْظَرِ.

وكانَ سَبَبُ أمِّ بلالٍ عندَ جريرٍ أن جريرًا فى أَوَّل دخوله العرَاقَ دَخَل على الحَكَم بنِ أيوب بن أبى عَقِيلٍ الثَّقَفِىِّ، وهو ابنُ عَمِّ الحجاجِ، وعاملُهُ على البصرةِ، وفى ذلك يقولُ جَرير:

أَقْبَلْنَ من ثَهْلاَنَ أَوْ وَادِى خِيمْ عَلَى قِلاَصٍ مثل خيطَانِ السَّلَمْ[3]
إذَا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ حَتَّى أَنَخْنَاهَا إلى بابِ الحكمْ
خَلِيفَةِ الحَجَّاجِ غَيْرِ المُتَّهَمْ فى ضِئْضِئِ المَجْدِ وبَحْبُوحِ الكَرَمْ

فكتبَ الحكَمُ بعد أن قَاطَنَه[4] إلى الحجاج، وذلك فى أَوَّلِ سَبَبِهِ: إنه قَدِمَ

(١) زيادات ر: «بتحريك الياء أفصح». (٢) زيادات ر: «شطرى، مبتدأ، والخبر فى المجرور قبله».
(٣) القلاص: جمع قلوص، وهى الناقة الفتية، وخيطان: جمع خوط وهى الغَضَّة الناعم، والسلم: ضرب من الشجر.
(٤) قاطنه: راجعه فى الكلام.

عليَّ أعرابيٌّ ياقعةٌ(١) لم أَرَ مثلَهُ. فكَتَبَ إليـه الحَجَّاجُ أن يَحْملَه مـعه، فلما دخلَ عليه قال له: بَلَغَنى أنك ذُو بَديهة، فَقُلْ فى هذه الجارية - لجارية قائمة على رأسه - فقال جريرٌ: مَالِى أَنْ أَقولَ فيها حَتَّى أتأَمَّلَهَا، ومَالِى أَنْ أتأمَّل جَاريةَ الأمير! فقال: بَلَى، فتـأَمَّلْهَا واسـألها، فقـال لها: ما اسـمُك يا جارية؟ فأَمْـسكَتْ، فقـال لها الحَجَّاجُ: خبِّريه يا لَخْنَاءُ، فقالت: أُمَامَةُ، فقال جريرٌ:

ودِّعْ أُمَـامَــةَ حَـانَ منكَ رَحِـيلُ ... إنَّ الـوَدَاعَ لمَــنْ تحـبُّ قَلـيـلُ
مِـثْلَ الكثـيب تـمَـايَلَتْ أعْطَافُـهُ ... فَـالرِّيح تجْـبُـرُ مَـتْنَهُ وتَهِـيلُ
هذِى القُلُوبُ صَوَاديًا تيَّمْتِها ... وأَرَى الشِّفَاءَ ومَا إليه سَبِيلُ

فقال له الحَجَّـاجُ: قد جعَلَ اللهُ لَكَ السَّبِيلَ إليهـا، خُذْهَا هِيَ لَكَ. فضَرَبَ بيده إلى يَدها، فَتَمنَّعَت عليه، فقال:

إنْ كَـانَ طِبُّكُـم الدَّلاَلُ فـإنَّهُ ... حَسَنٌ دَلاَلُـكِ يا أُمَامَ جَمِـيلُ

* * *

[ش: بنصـب «الطِّبِّ» ورَفْع «الدَّلاَل»، وبالـعكس، برفع «الطـب» ونصب الدلال». والطِّبُّ هنا: المَذْهَبُ، والدَّلاَلُ: الدَّالَّة].

* * *

فاسْتُضْحَكَ الحَجَّاجُ، وأَمَرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة.

وخُبِّرْتُ أنها كـانت من أهل الرَّيِّ، وكان إخْوتُها أحرارًا، فاتَّـبَعُوه، فأَعْطَوْهُ بها حتى بلغوا عشرينَ ألفًا، فلم يَفْعَل، ففى ذلك يقولُ:

إذا عَرَضُـوا عشْرينَ ألفًـا تَعَرَّضَتْ ... لأُمِّ حكيمٍ حـاجـةٌ هِيَ مـا هِيَـا
لَقَـدْ زِدتِ أهلَ الرِّيِّ عندى مَـوَدَّةً ... وحَـبَّبْتِ أضْـعَـافًـا إِلىَّ المَوَالِيَـا

فأَولدها حكيمًا وبلالا وحَزْرَةَ، بَنِى جَرِيرٍ، هؤلاء مَن أُذْكُر مِنْ وَلَدِهَا.

ويقال: إنْ الحِمَّانيَّ(٢) قاولَ بلالا ذاتَ يوم فيما كان بينهما من الشرِّ، فقال: يا بنَ أُمِّ حكيمٍ، فقـال له بلالٌ: مَا تَذْكُرُ من ابنَة دهقـان، وأَخيذَة رِمَـاحٍ، وعَطيَّة مَلِك؟ ليست كـأمِّك التى بالمَرُّوت(٣)، تَغْدو على أَثَر ضَأْنِـهَا، كأنما عَقِبَـاهَا حَافِرَا

---

(١) زيادات ر: «يريد داهية، والباقعة: طائر حذر».

(٢) قال المرصفى: «الحمانى اسمه أبو نخيلة، نسب إلى جده حمان». (٣) المروت: اسم واد بعينه.

حمار، فقال له الحِمَّانيُّ: أنا أَعْلَمُ بأُمِّكَ، إنما عَتَبَ عليها الحَجَّاجُ في أمر، الله أعلمُ به، فحلَفَ أن يَدْفَعها إلَى ألأمِ العرب، فلما رأى أباكَ لم يَشْكُكْ فيه.

قال: وأُنْشدتُ لرجلٍ من رُجَّاز بنى سعد:

أَنَا ابنُ سَعْدٍ وتَوَسَّطْتُ العَجَمْ فأنا فِيما شئْتَ من خَالٍ وعَمْ

وقال عمرُ بنُ الخطاب رحمه الله: ليس قومٌ أَكْيَسُ من أولادِ السَّرَارىِّ، لأنهم يَجمعونَ عِزَّ العَرَبِ ودَهاءَ العَجَمِ.

[كتاب محمد بن عبد الله بن حسن إلى المنصور ورده عليه]

وكَتَبَ أميرُ المؤمنين المنصورُ إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب - رحمهم الله - لما كَتَبَ إليه محمدٌ:

«وَاعْلَمْ أَنِّى لستُ مِنْ أولاد الطُّلَقَاء، ولا أولاد اللُّعَنَاء، ولا أَعْرَقْت فىَّ الإِمَاءُ، ولا حَضَنَتْنى أُمَّهَاتُ الأولاد. ولقد عَلِمْتَ أَنَّ هاشمًا وَلَدَ عَلِيًّا مَرَّتين، وأن عبدَ المطَّلبِ وَلَدَ الحسنَ مرَّتين، وأن رسولَ الله ﷺ وَلَدنى مرَّتين من قِبَلِ جَدَّىَّ الحسنِ والحسين».

يعنى أَنَّ أُمَّ عَلِىٍّ فاطمةُ بنتُ أسَدِ بن هاشمٍ، وأُمَّ الحسنِ فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ بن عبدِ الله بن عبد المُطَّلب بن هاشمٍ، وأَنَّ أُمَّهُ فاطمةُ بنتُ الحسين بن علىّ بن أبى طالب بن عبد المُطَّلِبَ بن هاشمٍ.

فكتب إليه المنصور:

«أَمَّا ما ذكرتَ من ولادة هاشمٍ عليًّا مرتين، وولادة عبد المُطَّلب الحسنَ مرتين، فخيرُ الأولِينَ والآخرينَ رسولُ الله ﷺ، لم يَلِدْهُ هاشمٌ إلاَّ مرةً واحدةً، ولا عبدُ المُطَّلب إلاَّ مرةً واحدةً، وله السَّبْقُ إلى كلِّ الخير. ولقد علمتَ أنه بُعِثَ رسولُ الله ﷺ وعُمومَتُهُ أَرْبَعةٌ، فآمَنَ به اثنان، أَحَدهما أبى، وكفر به اثنان أَحَدُهما أبوك، وأَمَّا ما ذَكرتَ أَنَّه لم تُعْرقْ فيكَ الإِمَاءُ، فقد فَخرْتَ على بنى هاشم طُرًّا، أولَهم إبراهيمُ بنُ رسولِ الله ﷺ، ثم علىُّ بنُ الحسين، الذى لم يُولَدْ فيكم بعدَ وفاة رسولِ الله ﷺ مولود مثلُه».

وهذه رسالة للمنصور طَريفةٌ مُستحسَنةٌ جِدًّا، سَنُمْلِيهَا فى موضعها من هذا الكتاب، إن شاء اللهُ.

* * *

وأنشدَنى الرِّياشِىُّ:

إنَ أَولادَ السَّـــرارِىْ كَـــثُـــرُوا يـا رَبِّ فِـــينا
رَبِّ أَدْخِـلْـنِـى بِـلادًا لا أَرَى فِـيـهـا هَجِينَا

والهَجِينُ عند العرب: الذى أبوه شريفٌ وأُمُّه وضيعة، والأصل فى ذلك أن تكونَ أَمَةً، وإنما قـيلَ: «هجِيْن» من أجْل البَيَاض، وكأنَّهـم قَصَدُوا قَصْدَ الرُّوم والصَّقَالبَة ومَنْ أَشبهـهم، والدليلُ على أن الهَجِينَ الأَبْيَضُ أن العرب تقـول: ما يَخْفَى ذلَك على الأسودِ والأحمرِ، أى العَرَبى والعَجَمِىِّ، ويُسَمُّونَ الموالىَ وسائرَ العجمِ الحَمْراءَ، وقد ذكرنا ذلك، ولذلكَ قال زيد الخَيْلِ:

* وأيْقَنَ أنَّنا صُهْبُ السِّبَالِ(١) *

أى كهؤلاء العَدُوِّ من العجمِ.

وقال ابن الرُّقَيَّات:

إنْ تَرَيْـنى تَغَـيَّـرَ اللَّونُ مـنِّى وعلا الشَّيْبُ مَفْرِقِى وقَذَالى
فَظِلالُ السُّـيـوفِ شَيَّبْنَ رَأْسِى وطِعَانِى فى الحرب صُهْبَ السِّبَالِ

فقيل «هَجِينٌ» من هاهنا.

وإذا كانت الأمُّ كريمةً والأبُ خَسيسًا قيلَ له: المذرَّع، قال الفرزدقُ:

إذا بَاهِـلِىٌّ تحـتـه حَنْظَلِيَّـةٌ لهُ وَلَـدٌ منهـا فَـذَاكَ المُذَرَّعُ

وقال الآخرُ:

إنَّ المُذَرَّعَ لا تُـغْنِى خُـئـولتـه كَالبَغْلِ يَعْجِزُ عن شوْطِ المَحَاضِيرِ(٢)

وإنما سُمِّىَ مُذَرَّعا، للرَّقْمَتَيْن(٣) فى ذِراع البغلِ، وإنما صارتَا فيه من ناحية الحمار، قال هُدْبَة:

وَرِثَتْ رَقَاشِ اللُّؤْمَ عن آبائِهَا كَـتـوارُثِ الحُمُرات رَقْمَ الأذْرُعِ

وقال عبدُ الله بنُ العباسِ فى كلامٍ يجـيبُ به ابنَ الزُّبير: والله إنه لَمصْلُوبُ قُرِيشٍ، ومتَى كـان عوَّامٍ بنُ عَـوامٍ يَطمعُ فى صَفيَّةَ بنتِ عـبد المُطَّلب! مَنْ أَبُوكَ يا بَغْلُ؟ فقال: خالِى الفَرَس!

---

(١) صدره كما فى حواشى ر:

* وأسْلَمَ عِرْسَه لَمَّا رآنا *

(٢) زيادات ر: «جمع محضير، وهو الفرس السريع».(٣) الرقمتان: أثر بباطن الذراعين لا ينبتان الشعر.

بابـ

[لأعرابى فيمن أطال لحيته]

قال أبو العباس: قال أعرابىٌّ:

كُلُّ امْرِىءٍ ذِى لِحْيَةٍ عَثْوَلِيَّةٍ ... يَقُومُ عليها ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلا
ومَا الفَضْلُ فى طُولِ السِّبَالِ وعَرْضِهَا ... إِذَا اللهُ لم يَجْعَلْ لِصَاحِبِهَا عَقْلا

ويُرْوى: «لحاملها».

عَثْوَلِيَّة، يقول: كَثيرةٌ، والمُسْتَعْمَلُ رجلٌ «عثْوَالٌ» إذَا كَانَ كَثيرَ الشَّعَر، وأصلُ ذلك فى الرأسِ واللِّحية، وبنَاهُ الأعرابىُّ بناء «جَدْوَل» كأنه «عَثْوَلٌ» ثم نَسَب إليه.

والسَّبَلَةُ: مُقَدَّمُ اللِّحية، يقال لمَا أُسْبِلَ من الشاربين: سَبَلَتَان، وتقول العربُ: أَخَذَ فلانٌ شَفْرة فلَتَم بها سَبَلَةَ بعيره، أى نَحَرَهُ، واللتْم: الشَّقُّ، فهذا ما أُسْبِلَ من جرانه.

[لبعض المحدثين فى ذم ذوى العى]

وقال بعض المُحْدَثين:

ومـا حُسْنُ الرِّجَال لهم بحُسْنٍ ... إِذَا مَا أخطأَ الحُسْنَ البَيَانُ
كَفَى بِالمَرْءِ عَيْبًا أن تَرَاه ... لَهُ وجهٌ وليس له لِسَانُ

وقال آخر:

إِنِّى على مَا تَزْدَرِى من دَمَامَتِى ... إِذَا قِيسَ ذَرْعى بالرجال طويلُ

[لرجل يصف لحيته]

ونظر يزيدُ بن مَزْيد الشَّيْبانىُّ إلى رجل ذى لحية عظيمة، وقد تَلَفَّفَتْ على صدره، فإذا هو خَاضِبٌ، فقال: إِنَّكَ مِنْ لِحيَتِكَ فى مئونة! فقال: أَجَل، ولذلك أقولُ:

لَهَا درهَمٌ للدُّهْنِ فى كلِّ جُمْعة ... وآخَرُ للحنَّاء يَبْتَدرَان
ولَولاَ نَوالٌ من يزَيدَ بنَ مَزْيدٍ ... لَصَوَّتَ فى حَافَاتِها الجَلَمَانِ[1]

---

(١) الجلمان: مثنى جلم، وهو المقراض، ويطلق المثنى على الواحد.

[لإسحاق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية]

وقال إسحاقُ بنُ خَلَفٍ يصفُ رجلا بالقِصَر وطُول اللِّحية:

مـــا سـرَّني أنَّني فـي طول دَاوُدِ ... وأنَّنـي عَلَمٌ فى البَـأْسِ والجـودِ

ماشَيْتُ دَاودَ فاسْتُضْحكْتُ من عجبٍ ... كَـأنَّني وَالِـدٌ يَمْـشى بمولُود

مـا طُول داودَ إلاَّ طَول لحيَتـه ... يَظَلُّ داودُ فـيهـا غـيرَ مَوْجُود

تُكنُّهُ خُصْلةٌ منهـا إذا نَفَحَتْ ... ريح الشِّتَاء وجفَّ الماءُ فى العُود

كالأنْبجَانيِّ مَصْقُولا عوَارِضُها[1] ... سَوْدَاء فى لين خَدِّ الغَادَة الرُّود[2]

أجْزَى وأغْنَى من الْخزِّ الصفِّيق ومنْ ... بيض القَطائف[3] يوم القُرِّ والسُّود[4]

إنْ هَبَّتِ الرِّيح أدَّتْهُ إلى عَدَنٍ ... إنْ كَانَ ما لَفَّ منها غـيرَ مَعْقُود

وفى الحديث: «من سعادة المرْء خفَّةُ عارضيه»، وليس هذا بناقض لما جاء فى إعفاء اللِّحى وإحْفاء الشَّوارِب، فقد رَوَى أنهم قالوا: لا بأسَ بأخْذ العارِضَيْن والتَّبْطين[5]، وأما الإعفاء فهو التَّكثير، وهو من الأضداد، قال اللهُ عز وجل: ﴿حَتَى عَفَوا﴾[6]، أى حتى كثُروا، ويقال: عفَا وَبَرُ الناقة إذ كَثُر، قال الشاعر:

ولَكنَّا نُعضُّ السَّيْفَ منها ... بأسْوُقِ عافيَاتِ اللحْمِ كُومِ

والكُومُ: العظامُ الأسْنمَةِ، واحدتها كَوْماء، ويقال: عفَا الرَّبْعُ، إذا دَرَس، ومِنْ ذلك:

* عَلَى آثارِ مَنْ ذَهَبَ العفَاءُ *

أى الدُّروس.

وقال مَسْلمَةُ بنُ عبد الملك: إنى لأعْجَبُ منْ ثلاثة: من رجلٍ قَصَّرَ شعرَهُ ثم عاد فأطاله، أو شَمَّرَ ثَوْبَهُ ثم عاد فأسْبَلَهُ، أو تَمَتَّعَ بِالسَّرَارِيِّ ثم عادَ إلى المَهيرَاتِ.

---

(١) الأنبجانى: كساء من الصوف، منسوب إلى منبج على غير قياس.

(٢) الرود: الحسنة الشابة.

(٣) القطائف: جمع قطيفة، وهى كساء مربع غليظ له خمل ووبر.

(٤) زيادات ر: «القر» بالقاف، يريد البرد، ويروى بالغين، يريد السحائب البيض.

(٥) التبطين: أخذ الشعر من تحت الذقن والحنك.

(٦) سورة الأعراف ٩٥.

واحدة المَهِيرَاتِ مهيرَة، وهى الحرَّةُ المَمْهورَة، و«مَفْعُول» يَخْرُج إلى «فَعِيل»، كمقتول وقَتِيل، ومجروحٍ وجَرِيح، قال الأعشى:

وَمَنْكُوحَـةٍ غَيْـرِ مَمْـهُـورَةٍ وأخْـرَى يُقَـالُ لـهـا فَـادِهَا[1]

فهـذا المعروفُ فى كـلامِ العربِ، مَهَـرْتُ المَرأةَ فَهى مَمْهُـورةٌ، ويقالُ ـ وليس بالكثير ـ: أَمْهَرْتُهَا فهى مُمْهَرَةٌ، أنشدنى المَازِنىُّ:

أُخِذْنَ اغْـتِصَـابًا خِطْبَةً عَـجْرَفِـيَّةً وأُمْهِرْنَ أرْمَـاحًا من الْخَطِّ ذُبَّلاَ[2]

[من ألفاظ الكنايات]

وأهلُ الحـجاز يَرَوْنَ الـنكاحَ العَقْـدَ دونَ الفـعْلِ، ولا يُنكرونَه فى الفـعل، ويحـتجُّـون بقول الله عـزَّ وجلَّ: ﴿**يأَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْـتُمُ الْمُؤْمِـنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُـمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَـمَا لَكُمْ عَلَيْهِـنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَـدُّونَهَا**﴾[3]، فهذا الأَشْيَعُ فى كلَامِ العرب، قال الأعْشَى:

وأَمْـتَـعْـتُ نَفْـسِى مِنَ الغـانِيَـا تِ إمَّـا نكـاحًـا وإمَّـا أُزَنْ[4]

ومِن كلِّ بَـيْـضَـاءَ رُعْـبُـوبَةٍ لَـهَـا بَشَـرٌ نَـاصِعٌ كـاللَّبَنْ[5]

ويكونُ النِّكاحُ الجِماع، وهو فى الأصل كناية، قال الراجز:

إذا زَنَيْـتُ فَـأَجِـدْ نِـكَاحَـا وأَعْـمِلِ الغُـدُوَّ والرَّوَاحَـا

والكنايةُ تَقَعُ عن هذا الباب كثيـرًا، والأصل ما ذكَرْنَا لك، وقال رسولُ الله ﷺ: «أَنَا مِنْ نكاحٍ لا مِنْ سِفَـاحٍ». ومِنْ خُطَب المسلمين: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أَحَلَّ النِّكاحَ وحَرَّمَ السِّفاحَ».

والكناية تقعَ عن الجماع، قال الله عز وجل: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**﴾[6]، فهـذه كنايَة عن الجـماع، قـال أكثرُ الـفقهـاءِ فى قوله تـبارك

---

(١) زيادات ر: «فادها، من فديت الأسير، وهو يصف سبيا أخذ فيه إماء وحرائر».

(٢) زيادات ر: «عجرفية: جافية، خطبة، مصدر مضى».

(٣) سورة الأحزاب ٤٩.

(٤) زيادات ر: «قوله «أزن» أراد أزنى ثم حذف الياء وخفف النون فقال: أزن».

(٥) الرعبوبة: الحسنة الخلق.

(٦) سورة البقرة ١٨٧.

وتعالى: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء﴾[1] قالوا: كناية عن الجماع، وليس الأَمْرُ عندنا كذلك، وما أصفُ مذهب أهلِ المدينةِ، قد فُرِغَ من النكاحِ تَصْرِيحًا، وإنما المُلاَمَسَةُ أن يَلْمسـهَا الرجلُ بِيَدٍ أو بِإِدْناء جَسَدٍ من جسد، فذلك يَنقضُ الوضوءَ في قول أهلِ المَدينة، لأنه قال تبارك وتعالى بعدَ ذكْرِ الجُنُب: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء﴾.

وقولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَا يأكلاَنِ الطعَامَ﴾[2] كنايةٌ بإجماعٍ عن قَضاء الحاجة، لأنَّ كلَّ مَنْ أكلَ الطعامَ في الدنيا أَنْجَى، يقال: نَجَّا وأَنْجَى، إذا قام لحاجة الإنسان.

وكذلك: ﴿وقَالُوا لجلُودهمْ لمَ شَهدتُمْ علَيْنَا﴾[3] كناية عن الفروج، ومثلُه: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ منكُم منَ الْغَائط﴾[4] فإنما الغائطُ كالوَادِي، وقال عَمْرو بنُ مَعْدِي كَرِب:

وكَمْ من غَـائطٍ من دُونِ سَلْمَى ... قليـلِ الإنْسِ ليسَ به كَتِيعُ[5]

يقال: وَهِمَ الرجلُ يَوْهَم، إذا شَكَّ، وهو الأَجْوَدُ ويجوزُ: يَيْـهَمُ، وييَهم، ويِاهَمُ؛ لعِلَلٍ، وكذلك ما كان مثْلُه، نحو: وَجِلَ يَوْجَلُ ووَحِلَ يَوْحَلُ، ووَجِعَ يَوْجَعُ، ويجوز في «وَهِم» أن تقول: «يَهِم» فإن المعْتَلَّ منْ هذا يجيءُ على مثال حَسِبَ يَحْسِبُ، مثل: وَلِيَ الأميرُ يَلِي، ووَرِمَ الجُرْحُ يَرِمُ، فهذا جميعُ ما في هذا الباب.

[لرجل من تميم]

وقال رجلٌ أَحْسَبُه من بَني تَميمٍ:

لاَ تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ يا سَعْدُ مَالَهَا ... وكُنْ أُخْرَيَاتِ الْخَيْلِ عَلَّكَ تَجْرَحُ

لعلَّك تَحْمِي عن صِحَابٍ بطَعْنَةٍ ... لها عَائدٌ يَنْفِي الْحَصَا حينَ يَنْفَحُ

وأَكْرِمْ كَرِيمًا إنْ أَتَاكَ لحَاجَةٍ ... لعَاقِبَةٍ إنَّ العِضَاةَ تَرَوَّحُ[6]

[بذَا فَامْدَحِينِي وانْدُبِينِي فَإنَّنِي ... فَتَى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يُمْدَحُ][7]

---

(١) سورة النساء ٤٣.

(٢) سورة المائدة ٧٥.

(٣) سورة فصلت ٢١.

(٤) سورة النساء ٤٢.

(٥) يقال: ما بالدار كتيع، أي ما بها أحد.

(٦) زيادات ر: «إذا أدبر القيظ وبرد الليل تحرك للشجر ورق رطب، فيقال: أخلف الشجر وتروح».

(٧) هذا البيت من زيادات ر.

قوله:

* لاَ تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ يا سَعْدُ مَالهَا *

يقول: لا تَتَخَلَّفْ عن القِتَال وتَسْأَلْ عن أخبار القومِ، ولكِنْ كُنْ فيهم كما قال مُهَلْهِل:

ليسَ مثْلِى يُخَبِّرُ القَوْمَ عَنْ آ	بَائهِمْ قُتِّلُوا ويَنْسَى القِتَالاَ
لم أَرِمْ حَوْمَةَ الكَتِيبَةِ حَتَّى	حُذِىَ الوَرْدُ من دِمَاءٍ نِعَالاَ

يقول: كُنْتُ فى حَوْمَة القتال، صَلِيتُ الحَربَ أَكْثَرَ ممَّا صَلِيَها غَيْرِى.

[طلاق ابنة عبد الله من السائب، ثم زواجها من المصعب]

ويُرْوَى عن رجلٍ من بَنِى أَسد بن عبد العُزَّى، يقال له: فُلان [ش: هو عبدُ الله] بنُ السَّائِبِ أنه زوَّج ابنتَه عَمْرو بنَ عثمان بن عَفَّانَ، فلمَّا نُصَّتْ عليه طَلَّقَهَا على المَنَصَّةِ، فجاء أبوها إلى عبد الله بن الزُّبَيْر، فقال: إنَّ عَمْرو بن عثمان طَلَّقَ ابْنَتِى على المَنَصَّة، وقد ظنَّ النَّاسُ أَنَّ ذلك لعَاهَة، وأنتَ عَمُّها، فَقُمْ فَادْخُلْ إليها، فقال عَبدُ الله: أَوَ خَيْرًا منْ ذَلكَ! جيئُونى بالمُصْعَب، فَخَطَبَ عبدُ الله فَزوَّجَها من المُصْعَب، وأَقسَمَ عليه لَيَدْخُلَنَّ بها فى لَيْلَتِه، فلا تُعرفُ امرأةٌ نُصَّتْ عَلَى رَجُلَيْنِ فى لَيْلَتَيْنِ ولاَءً غَيْرُها فأَوْلَدَهَا المُصْعَبُ عيسَى وعُكَّاشَةَ، فلمَّا كان يَوْمُ مَسْكِنَ[1]، وَهَرَبَ أكثرُ الناس عن المُصْعَب، دخل إلى سُكَيْنَةَ ابنة الحسين بن على ابن أبى طالب، وكانت له شَديدةَ المحبَّة، وكانت تُخْفى ذلك، فَلَبِسَ غِلاَلَةً وتوَشَّح عليها، وانتَضَى السَّيْفَ، فلمَّا رأتْ ذاك علمتْ أَنَّه عَزَمَ أَلاَّ يَرْجع، فصاحت منْ ورائه: وَاحَرَبَاهْ! فالْتَفَتَ إليها، فقال: أَوَهذا لى فى قَلْبك! فقالت: إى والله وأَكْثَرُ من هذا! فقال: أَمَا لوْ عَلِمْتُ لكانَ لى ولك شَأْنٌ. ثم خَرَجَ، فقال لابنه عيسى: يا بُنَىَّ، انُج إلى نَجائكَ، فإنَّ القوم لا حَاجةَ بهم إلى غَيْرى، وَسَتُفْلتُ بحيلَة أَو بُقْيا، فقالَ: يا أَبَتَاهَ! لا أُحَدِّثُ والله عَنْكَ أَبدًا، فقال: أَمَا والله لَئِنْ قلتَ ذلكَ لَمَا زِلْتُ أَتَعَرَّفُ الكرَم فى أسرارِكَ، وأَنْت تُقَلَّبُ فى مَهْدِكَ.

(١) مسكن: موضع على نهر دجيل، به كانت الواقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير، وقتل به مصعب، وقبره هناك. (مراصد الاطلاع ١٢٧١).

[ش: الأسْرَارُ: جمع سِرٍّ وهى الطَّرَائِقُ فى الجَبْهَةِ].

فَقُتِلَ بين يَدَىْ أَبِيه، ففى ذلك يقولُ شاعرُ أَهْلِ الشَّأْمِ من اليَمَانية:

نَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَبًا وَعِيسَى ... وَابنَ الزُّبَيْرِ البَطَلَ الرَّئِيسَا

* عَمْدًا أذقْنَا مُضَرَ التَّبْئِيسَا *

وقال رجلٌ يُعَاتِبُ رجُلاً:

فَلو كانَ شَهْمَ النَّفْسِ أو ذَا حَفِيظَةٍ ... رَأَى ما رَأَى فى الموتِ عيسى بن مُصْعَبِ

[لبلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير]

وقال بلالُ بنُ جرير يَمدحُ عبدَ الله بن الزُّبَيْرِ[١]:

مَدَّ الزُّبَيْرُ عليكَ إذْ يَبْنِى العُلاَ ... كَنَفَيهِ حَتَّى نَالَتَا العَيُّوقَا[٢]

وَلَوَ أنَّ عبدَ الله فَاخَرَ مَنْ تَرَى ... فَاتَ البَرِيَّةَ عِزَّةً وَسُمُوقَا

قَرْمٌ إذا ما كَانَ يَوْمُ نُفُورَةٍ ... جَمَعَ الزُّبَيْرَ علَيكَ والصِّدِّيقَا

لو شِئتَ ما فَاتُوك إذْ جَارَيْتَهُمْ ... ولكُنْتَ بالسَّبْقِ المُبرِّ حَقِيقَا

لَكنْ أَتَيْتَ مُصَلِّيًا بَرًّا بِهِمْ ... ولقد تَرَى وَنَرَى لَدَيْكَ طَرِيقَا

* * *

عاد الحديثُ إلى تفسيرِ الأبياتِ المتقدمة[٣]:

قوله:

* لعلَّكَ تَحْمِى عن صِحَابٍ بطَعْنَةٍ *

يقال: حميتُ الناحيةَ أَحْمِيها حَمْيًا وحمايةً، كما قال الفَرَزْدَقُ:

وإذَا النُّفُوسُ جَشَأْنَ طَأْمنَ جَأْشُها ... ثِقَةً لها بِحِمَايَةِ الأَدْبارِ[٤]

ومعنَى ذلك: منعْتُ وَدَفعتُ، ويقال: أَحْمَيْتُ الأرض أى جعلتُها حِمًى

(١) زيادات ر: «يقال إن بلالا لم يلحق ابن الزبير، إلا أن يكون مدحه ميتا».

(٢) العيوق: نجم أحمر مضيء فى السماء فى طرف المجرة الأيمن، وفى زيادات ر: ويروى: «كفيه»، وهو أظهر لقوله: «حتى نالتا».

(٣) ص١٣٢.

(٤) جشأن: تظلمن وجزعن فزعا، وطأمن: سكن.

لا تُقْرَبُ، وأَحْمَيْتُ الحديدَ أُحْمِيه إحْماءً، وحَمَيْتُ أَنْفى مَحْمِيَةً يا فتى، إذَا أنْتَ أَبَيْتَ الضَّيْمَ. وصحَابٌ: جمعُ صَاحِب، وقد يقالُ: هو جمعَ صَحْب كما تقول: تاجرٌ وتَجْرٌ، وراكبٌ وركْب، ونحو ذلك، ثم تجمع صَحْبًا على صِحَاب، كقولك: كَلْبٌ وكلابٌ وفَرْخ وفِراخ، فهذا مذهب حَسَنٌ، ومن قال: هو جمعُ صاحب، فنظيره قَائم وقيامٌ، وتاجِرٌ وتِجارٌ.

وقوله: «لها عَانِدٌ يَنْفى الْحَصَا» يعنى الدَّمَ، ويقال: عَنَدَ العِرْقُ، إذا خرج الدَّمُ منه بحدَّة. وينفى الحصَا، يعنى الدَّمَ بشدة جَرْيه، كما قال:

مُسَحْسِحَةً تَنْفِى الْحَصَا عن طَرِيقها [يُقَطِّعُ أَحْشَاءَ الرَّعِيبِ انْتِشارُها][1]

يعنى طعنة.

وقال آخرُ فى صفة طعنة:

ومُسْتَنَة كاسْتِنَانِ الْخَرُو ف قَدْ قَطَعَ الحَبْلَ بالمرْوَدِ

والخروفُ هاهنا إنما هو الفُلُوُّ الصَّغير.

وقولُه:

وأكْرِمْ كَرِيمًا إنْ أتاكَ لحاجةٍ لِعاقبة إنَّ العِضَاهَ تَروَّحُ

يقول: الشجرُ يُصيبهُ النَّدَى فى آخرِ الصَّيفِ فَيَنْشأُ له ورَقٌ، فيقول: لعلَّك تحتاجُ إلى هذا الكريمِ وقد قَدَرَ.

ومثلُه:

ولا تُهِينَ الكريمَ علَّك أنْ تَرْكَعَ يومًا والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ

أراد «ولا تُهِينَنْ» بالنون الخفيفة، فحذفها لالتقاءِ الساكنين، وهذا الحكم فيها.

ومثله فى المعنى قولُ عَبَّاد بن عبَّاد بن حَبيب بن المُهَلَّب:

إذا خَلَّةٌ نَابَتْ صديقَكَ فاغْتَنِمْ مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ
وبادِرْ بمعروفٍ إذا كنتَ قادرًا زَوَالَ اقْتدارٍ أو غِنى عنك يُعْقِبُ

[زَوالَ، مفعولٌ لـ «بادِرْ». قاله ش] ومثلُ هذا كثير.

---

(١) ما بين العلامتين س، زيادات ر.

وقال جعفرُ بن محمد بن عليٍّ بن الحسين ـ رحمهم الله ـ إنِّى لأُسارِعُ إلى حاجة عَدُوِّى خوفًا من أن أَرُدَّهُ فيَستغنِىَ عنِّى.

وقال رجلٌ من العرب: ما رددتُ رجلا عن حاجة فَولَّى عنِّى إلاَّ رأيتُ الغِنَى فى قَفاه.

وقال عبدُ الله بن العباس بن عبد المطلب: ما رأيتُ أحدًا أَسْعَفْتُهُ فى حاجة إلاَّ أضاءَ ما بَيْنِى وبينهُ، ولا رأيتُ رجلا رددتُه عن حاجة إلاَّ أَظْلَم ما بينى وبينهُ.

وقال عمرُ بن الخطاب رحمه الله؟: مَنْ يَئِسَ من شَيءٍ استَغْنَى عنه. وقال عبدُ الله بن هَمام السَّلَولِىُّ:

فأَخْلفْ وَأَتْلفْ إنما المالُ عارَةٌ	فكُلْهُ معَ الدَّهرِ الذى هو آكِلُهْ
فأَهْوَنُ مفقودٍ وأَيْسَرُ هالكٍ	على الحىِّ من لاَ يَبْلُغُ الحىَّ نَائِلُهْ

عارةٌ أى مُعارٌ، ووزنه «فَعَلَةٌ».

* * *

وقال أحدُ المحدَثين(١)، وليس من هذا الباب ولكنَّا ذكرناه فى الإعارة:

أَعَارَكَ مالَهُ لتقومَ فيه	بطاعَته وتَعْرِفَ فَضلَ حَقِّه
فلم تَشْكُرْهُ نعْمَتَهُ ولكنْ	قَويتَ على مَعَاصيه برزْقِهْ
تُجَاهِرُهُ بهَا عَودًا وبَدْءًا	وتَسْتَخْفى بها مِن شَرِّ خَلْقِهْ

وقال جريرٌ:

وإِنِّى لأَسْتَحْيى أَخِى أَنْ أَرَى له	عَلَىَّ مِن الحقِّ الذى لا يَرَى لِيَا

هذا بيتٌ يحملُه قومٌ على خِلاَف معناه، وإنما تأويلُه: إنِّى لأَسْتَحْيى أخى أَنْ يكونَ له علىَّ فضلٌ ولا يكونَ لى عليه فضلٌ ومنِّى إليه مُكافأَةٌ، فأستحيى أَنْ أَرَى له علىَّ حقًّا لمَا فَعَلَ إلىَّ، ولا أفعلَ إِليه ما يكونُ لِى به عليه حَقٌّ. وهذا من مذاهب الكِرَام، وممَّا تأخذُ به أَنْفُسَهَا.

(١) زيادات ر: «هو محمود الوراق».

[أبيات عائذ الكلب الزبيري لعبد الله بن حسن]

فأمَّا قولُ عائذِ الكَلْبِ الزُّبَيْرِيِّ لعبد الله بن حَسَنِ بن حَسَنٍ[1]:

لـه حَقٌّ ولـيس عـليـــــه حَـقٌّ ومَـهْمـا قـال فـالحَسَنُ الْجَـمـيلُ
وقـد كَانَ الرَّسـولُ يَرَى حُـقوقًـا عليـــه لغـيـــره وهوَ الرَّســولُ

فإنهُ ذَكَـرَهُ بِقلَّة الإنصاف، فـقال: يَرَى له حقًّـا على النَّاس، ولا يَرَى لهم عليه حقًّا من أجل نَسَبه برسولِ الله ﷺ، وبَيَّن ذلك بقوله:

وقـد كَانَ الرَّسـولُ يَرَى حُـقوقًـا عليـــه لغـيـــره وهوَ الرَّســولُ

فالذى يفْتَخِرُ بِهِ عبد الله يَرَى للناس عليه حقا، فالْمُفْتَخِرُ بِهِ أَجْدَرُ.

* * *

وقـد قيل لعلـيِّ بن الحُسَين ـ وكـان بَيِّنَ الفَـضْلِ رحـمهُ الله: مـا بالُكَ إذا سافَرْتَ كَتَمْتَ نسبَكَ أَهْلَ الرُّفقَـة؟ فقال: أكرهُ أَنْ آخُذَ برسول الله ﷺ مالاً أُعْطِى مِثْلهُ.

وإنما يَعترِى هذا البابُ ـ منَ الظُّلمِ وقلَّة الإنصـاف والبُعْد من الرِّقَّة عليهمُ ـ الْجَهلَةَ من أهلِ هذا النَسَب، والله جَلَّ ذكْرُه يَقـول لنبيِّه ﷺ: ﴿**بالْمُؤْمنينَ رَءُوفٌ رَحيمٌ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**إنِّى أخافُ إنْ عَصيْتُ ربِّى عذابَ يوْمٍ عظيمٍ**﴾[3] فإذا كانَ هُوَ ﷺ يَخافُ من المعصيَة فكيفَ يأْمَنُها غيرُه بِهِ!

[لجرير يمدح هشام بن عبد الملك]

وأما قولُ جـريرٍ لهشامِ بن عبـد الملك فهو المدحُ الصحـيحُ على خلاف هذا المعنى، قال:

وأنتَ إذا نَـظَرْتَ إلـى هشـــــام عَــرَفْتَ نجَـارَ مُنْتَـحَبٍ كــريم
وَلِىُّ الحقِّ حـيـن يؤُمُّ حَـجًّــا صـفُـوفًـا بين زَمْـزَمَ والْـحَطيمِ

---

(١) زيادات ر: اسمه عبد الله بن مصعب الزبيرى، وسمى عائد الكلب بقوله:

مــالى مــرضتُ فلم يَعُـدْنى عــائد منكمْ ويمْـرضُ كلبكم فـأعــودُ
وأشــدُّ من مــرضى علىَّ صــدودُكمْ وصــدودُ كلـبِكمْ علـىَّ شــديدُ

(٢) سورة التوبة ١٢٨. (٣) سورة الأنعام ١٥.

يَرَى للمسلمينَ عليه حَقًّا ... كفعْلِ الوالد الرَّؤُف الرَّحيمِ
إذَا بعضُ السِّنينَ تَعَرَّقَتْنا ... كَفَى الأَيْتامَ فَقْدَ أبى اليَتيمِ

وفى هذا الشعرِ:

أميرُ المؤمنين على صِرَاط ... إذا اعْوَجَّ المَوَاردُ مُسْتَقيم
أميرَ المؤمنين جَمَعْتَ دِيناً ... وحِلْمًا فاضلا لِذَوِى الْحُلُومِ
لَكَ المُتَخَيَّرَان أبًا وخالا ... فأَكْرِمْ بالخُؤُولَةِ والعُمُومِ
فَيَا بْنَ المُطْعمِينَ إذَا شَتَوْنَا ... ويا بنَ الذَّائدينَ عن الحَريمِ
سمَا بكَ خالدٌ وبنُو هشامٍ ... إلى العَلْيَاء فى الْحَسَبِ الْجَسيمِ[1]
وتَنْزِلُ مِنْ أُمَيَّةَ حَيْثُ تَلقى ... شُئُونُ الرَّأْسِ مُجْتَمَعَ الصَّميم
تواصَتْ من تَكرُّمِها قُرَيْشٌ ... بِرَدِّ الْخَيْلِ دامِيَةَ الكُلُومِ
فَما الأُمُّ التى وَلَدَتْ قريشًا ... بمُقْرِفَةِ النِّجَارِ ولا عَقيم
وما فَحْلٌ بأنجبَ من أبيكمْ ... ولا خَالٌ بأكْرَمَ من تَميمِ
سَمَا أولادُ بَرَّةَ بنت مُرٍّ ... إلى العَلْياء فى الْحَسَبِ العظيمِ
لك الغُرُّ السَّوَابقُ من قريشٍ ... فقَدْ عُرِقَ الأعَرُّ من البَهيمِ

قولُه: «حينَ يؤُمُّ حَجًّا» فيكون الحجُّ جمعَ حاجٍّ، كما يقال: تاجرٌ وتَجْرٌ، وراكبٌ وركْبٌ، قال العَجَّاجُ:

بوَاسِطٍ أَكْرَمُ دار دارَا ... واللهُ سمَّى نَصْرَكَ الأنْصَارَا

فأخْرَجَه على «نَاصر ونَصْرٍ»، قال: ويجوزُ أن يكونَ حَجٌّ أصحابَ حَجٍّ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[3] يريد أَهْلَها.

وقوله:

* كفعْلِ الوالد الرَّؤُف الرَّحيمِ *

يقال: «رؤُف» على «فَعُلٍ» مثلُ يَقُظٍ وحَذَرٍ، ورءُوفٌ على وزن «ضَرُوبٍ». وقال الأنصارىُّ[4]:

---

(١) تعرقتنا: أهزلتنا، وأصله أخذ ما على العظم من اللحم.

(٢) زيادات ر: «وهم أبو العباس فى قوله: وبنو هشام، وإنما وقع فى شعره: وأبو هشام، وهو الصحيح، يريد إسماعيل بن هشام، وهو جده من قبل أمه».

(٣) سورة يوسف ٨٢. (٤) زيادات ر: «هو كعب بن مالك».

نُطيعُ نَبِيَّنا ونُطيعُ رَبًّا هو الرَّحمنُ كان بنا رَءُوفا

وقد قُرِئ: ﴿إن الله رَؤُفٌ بالْعبَاد﴾[1]، و﴿رءُوفٌ﴾ أكثرُ، وإنما هو من الرَّأْفة، وهي أَشَدُّ الرَّحمة، ويقالُ: «رَآفَةٌ» وقُرِئ: ﴿ولاَ تأْخُذْكم بهِمَا رآفَةٌ في دِينِ الله﴾[2] على وزن الصَّرَامَةِ والسَّفَاهة.

وقوله:

* إذَا بعضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا *

يُفسَّرُ على وجهين: أحدُهما: أن يكون ذهبَ إلى أَنَّ بعضَ السنين سِنُونَ، كما قال الأَعْشَى:

وتَشْرَقُ بالقولِ الذى قد أَذَعْتَهْ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

لأن صَدْرَ القناة قَناةٌ، ومن كلام العرب: ذَهَبَتْ بعضُ أصابعه، لأن بعض الأصابعِ إصْبَع، فهذا قول.

والأَجْوَدُ أن يكونَ الخبرُ فى المعنى عن المضاف إليه، فأَقْحَمَ المضافَ إليه توكيدًا، لأنه غيرُ خَارجٍ من المعنى، وفى كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضعين﴾[3] إنما المعنى: فَظَلُّوا لها خاضعينَ، والخضوعُ بَيِّنٌ فى الأعناق، فأَخْبَرَ عنهم، فأقْحَمَ الأعناقَ توكيدًا، وكان أبو زيد الأنصاريُّ يقول: أَعناقُهم جماعاتهم، تقولُ: أتانى عُنُقٌ من النَّاسِ، والأَوَّل قولُ عامَّة النحويين.

وقال جرير:

لَمَّا أَتَى خبرُ الزُّبَيْرِ تواضَعَتْ سُورُ المدينةِ والجبالُ الْخُشَّعُ

وقال أيضًا

رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّى كما أَخَذَ السِّرَارُ من الهِلاَلِ

وقال ذو الرُّمَّة:

مَشَيْنَ كما اهتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّياحِ النَّوَاسِمِ[4]

---

(١) سورة البقرة ٢٠٧. (٢) سورة النور ٢. (٣) سورة الشعراء ٤.

(٤) زيادات ر: «زعم بعضهم أن البيت مصنوع، والصحيح فيه: مرضى الرياح النواهم، المرضى: التى تهب بلين».

ومثل هذا كثير، وعلى مثْلِ هذا القول الثانى تقول: «يا تَيْمَ تَيْمَ عَدىٍّ» لأنك أردت: «يا تَيْمَ عَدىٍّ»، وأَقْحَمْتَ الأَوَّلَ توكيدًا[1]، وكذلك: لا أَبالَكَ، لأَن الألف لا تثْبُتُ فى «الأبِ» فى النصبِ إلاَّ فى الإضافة، أو بدلا من التنوينِ، فإنَّما أرادَ «لا أبَاكَ» ثم أَقْحَمَ اللَّامَ توكيدًا للإضافةِ، وأنشدَ المازنِىُّ:

وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ وأىُّ كَرِيمٍ لا أَبَاكِ يُخَلَّدُ!

وقال آخَرُ:

أبِالمَوْتِ الذى لابُدَّ أَنِّى مُلاَقٍ لاَ أَبَاكِ تُخَوِّفِينى!

وقولُه: «على صراطٍ» فالصِّراُط: المنْهَاجُ الواضح، وكذلك قالت العلماء فى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**اهْدنَا الصِّرَاطَ المستقيمَ**﴾.

وقولُه: «سَمَا بِكَ خَالدٌ» يريدُ خالدَ بنَ الوَليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ ابن مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ بن كَعْب، لأن أمَّ هشامٍ بنتُ هشامِ بن إسماعيلَ بن هشامِ بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مخزوم. وكان هشامُ بنُ المغيرة أَجَلَّ قُرَشىٍّ حِلْمًا وجودًا، وكانت قريشٌ تُؤَرِّخُ بموتِهِ، كما كانت تُؤَرِّخُ بعام الفِيل وبِمُلْكِ فلانٍ، قال الشاعر:

* زَمَانَ تَنَاعَى النَّاسَ موتَ هِشَامِ *

ومن أَجْله يقولُ القائل:

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا كَأَنَّ الأَرضَ ليس بها هشامُ

يقول: هُوَ وإن كان ماتَ فهو مدفون فى الأرض، فقد كان يحب من أجله ألا ينالهَا جَدْبٌ، وقال الآخَرَ:

ذَرِينى أَصْطَبِحْ يَا سَلْمَ إِنِّى رأيتُ الموتَ نقَّبَ عن هِشَامِ

وقوله: «نَقَّبْ» أى طَوَّف حتى أصابَ هشامًا، قال الله عز وجل: ﴿**فَنَقَّبُوا فى الْبِلاَدِ**﴾[2] أى طَوَّفُوا، ومثلُه قولُ امرِئ القَيْسِ:

وقَدْ نَقَّبْتُ فِى الآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ من الغَنِيمةِ بالإيَابِ

---

(١) زيادات ر: كذا وقع «وأقحمت الأول توكيدا»، وإنما الصحيح: «وأقحمت الثانى توكيدا».
(٢) سورة ق ٣٦.

[عمر أول من أرخ فى الإسلام]

فأما التاريخُ الذى يُؤَرَّخُ به اليومَ فأوَّل مَنْ فعلَه فى الإسلام عمرُ بن الْخَطَّاب رحمه الله، حيث دَوَّنَ الدَّوَاوينَ، فقيل له: لو أَرَّخْتَ يا أَميرَ المؤمنين لكنْتَ تَعرفُ الأُمور فى أوقاتها؟ فقال: وما التَّأْريخُ؟ فـأُعْلِمَ ما كانت العجمُ تفعلُه، فقال: أرِّخُوا، فقالوا: مُذْ أيِّ سنَةٍ؟ فاجتَمعوا على سَنَة الهجرة، لأنه الوقتُ الذى حكَمَ فيه رسول الله ﷺ على غير تَقيَّة، ثم قالوا: فى أَىِّ شهرٍ؟ فقالوا: نستَقْبلُ بالناس أمورَهمَ فى شهر المحرَّم إذا انْقَضَى حَجُّهُمْ، وكانت هجرةُ رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الآخر[1] فَقَدَّمَ التأريخُ على الهجرة هذه الأشهُرَ.

وجاء فى تصحيح هذا الوقت - أعنى المحرَّمَ - ما رُوىَ لنا عن ابن عباس رحمه الله، فإنه قال فى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[2]: فأقْسَم بِفَجْرِ السَّنَةِ، وهو المحرَّمُ.

وقولُه:

* فَما الأُمُّ التى وَلَدَتْ قريشًا *

يعنى بَرَّةَ بنت مُرٍّ، كانت أُمَّ النَّضْرِ بن كِنانَة، وهو أبو قُرَيْش، ومَنْ لم يكنْ من وَلَدِهِ فليس بقُرَشىٍّ، وتَميمُ بن مُرٍّ خالُه.

وكان يقالُ: مَنْ عَرفَ حَقَّ أخيه دام له إخَاؤُهُ، ومَنْ تكبَّرَ على الناس ورجا أن يكون له صَديقٌ فقد غَرَّ نفسَه.

وقيلَ: ليس لِلَجُوجٍ تَدْبيرٌ، ولا لِسيِّءِ الْخُلُقِ عَيْشٌ، ولا لِمُتكبِّرٍ صديقٌ.

وقيلَ: مَنْ بَسَطَ بالخير لسانَهُ انبسطتْ فى القلوب محبَّتُهُ، والمِنَّةُ تُفْسِدُ الصنِيعَةَ.

[فى مدح أبى البخترى]

ويُروى أنَّ شاعرًا أَتَى أبا البَخْترىِّ[3] وَهْبَ بنَ وَهْب، وكان من أَجْوَدَ النَّاس، وكان إذا سمع مَدْحَ المادح ضَحك وسَرَى السُّرُورُ فى جوانحه، وأَعْطَى

(١) زيادات ر: «الذى اتفق عليه أن هجرة رسول الله ﷺ كانت فى ربيع الأول، وفيه مات ﷺ».
(٢) سورة الفجر ١، ٢.
(٣) زيادات ر: «البخترى، بفتح الباء وبالخاء المعجمة».

وزَادَ، فأتَاهُ هذا الشاعرُ فأنشده:

لكُلِّ أَخى فَضْلٍ نَصيبٌ من العُلاَ ... ورأسُ العُلاَ طُرًّا عقيدُ النَّدَى وَهْبُ
وما ضَرَّ وَهبًا قولُ مَنْ غَمَطَ العُلاَ ... كما لاَ يَضُرُّ البَدْرَ يَنْبَحهُ الكَلْبُ[1]

فَثَنى لهُ الوسَادَةَ، وهَشَّ إليه ورَفَدَهُ، وحملهُ وأضافه، فَلَمَّا أَنْ أرادَ الرجلُ الرِّحْلَةَ لم يَخْدُمْهُ أحدٌ من غلمان أبى البَخْترىِّ، ولا عَقَدَ لهُ ولا حَلَّ معه. فأَنْكَرَ ذلك مع جَميلِ ما فَعلَ به، وأنهُ قد تجاوزَ به أَمَلَه، فعاتَب بعضَهم، فقال له الغلامُ: إنَّا إنما نُعين النازلَ على الإقامة، ولا نُعينُ الراحلَ على الفراق. فبلغَ هذا الكلامُ جَليلا من القُرَشيِّينَ، فقال: واللهِ لَفعلُ هؤلاء العَبيدِ على هذا القَصْدِ أَحْسنُ من رِفْدِ سيِّدِهِم.

(١) زيادات ر: «غمط (بالكسر): كفر النعمة، وغمط (بالفتح)، ويقال أيضًا: تنقَّص».

باب

[سؤال عبدالملك لحسان: أي المناديل أفضل؟]

قال عبدُ الملك بن مَرْوَانَ يومًا لجلسائه ـ وكان يَجْتَنبُ غيرَ الأدبَاء ـ: أيُّ المَناديلِ أفضلُ؟ فقال قائلٌ منهم: مناديلُ مصرَ كأنها غِرْقىء البَيْض[1]. وقالَ آخرُ: مناديلُ اليمن كأنها أَنْوَارُ الرَّبيع. فقال عبدُ الملك: ما صَنَعْتُما شيئًا، أفضلُ المناديلِ ما قال أخو تَمِيم ـ يعنى عَبْدَةَ بنَ الطَّبيب[2]:

لَمَّا نَزلنا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ ... وَفَارَ للقوم باللَّحم المَرَاجِيلُ
وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤْنيه طَابِخُهُ ... مَا غَيَّرَ الغَلْىُ منه فهْو مأكُولُ
ثُمَّتَ قُمْنَا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ ... أَعْرَافُهُنَّ لأيدينا مَناديلُ

قولُه: «غرقىء البيض» يعنى القشرةَ الرقيقةَ التى تَرْكَبُ البيضةَ دونَ قشرِها الأعلَى، وقشرُها الأعلَى يقال له: القَيْض.

وقوله: «المَرَاجِيلُ» إنما حَدُّهُ «المَرَاجلُ»، ولكن لمَّا كانت الكسرةُ لازمةً أَشْبَعَهَا للضرورة، كما قال:

* نَفْىَ الدَّراهم تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ[3] *

وقد مَرَّ تفسير هذا.

وقوله:

* وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤْنيهِ طَابِخُهُ *

يقولُ: ما تَغَيَّرَ من اللحم قبل نُضْجِه.

وقوله: «ما يُؤْنِيه طَابِخُهُ» يقول: ما يُؤَخِّرُه، لأنه لو آنَاهُ لأنْضَجَه، لأن معنى «آنَاهُ» بلَغ به إناهُ، أى إدْرَاكَهُ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إلى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظرينَ إنَاهُ**﴾[4] وتقول: أَنَى يَأْنى إنى، إذا أَدْرَكَ، وآن يَئِينُ مثلُه. وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿**يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ**﴾[5] أى قد بلَغَ إِنَاه.

---

(١) زيادات ر: «الغرقىء يهمز، ولا يهمز، وكذلك فعله». (٢) زيادات ر: «عبدة، بإسكان الباء».
(٣) زيادات ر: «الحجة فى الصياريف». (٤) سورة الأحزاب ٥٣.
(٥) سورة الرحمن ٤٤.

وقوله:

* مَا غَيَّرَ الغَلْيُ منه فهْو مأكولُ *

يقول: نحنُ أصحابُ صَيْدٍ، وهذا مِن فعلهم[1].

وقوله: «مُسَوَّمَة» تكونُ على ضَرْبَيْن: أحـدُهما أن تكونَ مُعْلَمةً، والثانى أن تكونَ قد أُسِيمَتْ فى المَرْعَى، وهى هاهنا مُعْلَمةٌ، وقد مَضَى هذا التفسيرُ.

وإنما أَخَذَ ما فى هذه الأبـيات مِن بيتِ امرئ القيسِ، فإنـه جَمَعَ ما فى هذه الأبيات فى بيتٍ واحدٍ، مع فضلِ التقدُّمِ:

نَمَشُّ بأعْـرافِ الجِـيـادِ أكُـفَّنَا　　　إذَا نَحْنُ قُـمْنَا عن شِواءٍ مُـضَهَّبِ

وهو الذى لم يُدْرِكْ، ونمشُّ: نَمْـسَحُ، ويقـال للمنْديل المَشُـوشُ. وكـانت العربُ تَأْلَفُ الطِّيبَ، وتَطْرَحُ ذلك فى حالتين: فى الحربِ والصَّيْد، قال النابغة:

سَهِكِـينَ من صَدَإِ الْحَدِيدِ كَـأَنَّهُمْ　　　تَحْـتَ السَّنَوَّرِ جِـنَّةُ البَـقَّـارِ

وقال آخر:

وأَسْـيافُكُـمْ مِسْكٌ مَـحَلُّ أكُـفِّكُمْ　　　على أنَّهَـا رِيح الدمـاء تَضُـوعُ[2]

معنى «تَضُوعُ» تَفُوحُ.

[وفاء ابنة هانئ بن قبيصة]

ورُوِىَ عن ابنة هانئ بن قَـبِيـصَة. [ذَكَـرَ يعـقوب أنهـا ابنةُ قَيْس بن خَـالد الشيبـانى. ش]، أنه لما قُتِل عنها لَقِيطُ بن زُرَارَةَ بنِ عُـدَس بن زيد بن عبد الله بن دَارِم بن مـالك بن حَنْظَلَةَ، فتَـزَوَّجهـا رجلٌ من أهلها، فكان لايزَال يراها تَـذْكر لَقِيطًا، فـقال لها ذَات مَرة: مـا استحسنْـتِ من لَقيط؟ فقالت: كُلُّ أمـوره كانتْ حَسنةً، ولكنى أُحَدِّثُكَ أنَّه خرجَ مرةً إلى الصيد وقد انْتَشَى، فرجَعَ وبقميصه نَضْحٌ من دَمِ صيـده، والمسْكُ يَضُـوعُ من أَعْطافه، ورائحـةُ الشَّراب من فـيه، فَضَـمَّنى ضَمَّةً، وشـمنى شَمَّةً، فليتَنى كنت مِتُّ ثَمَّـةْ، قال: ففعل زوجُـها مثلَ ذلك، ثم

---

(١) زيادات ر: «العرب لا تنضج اللحم، إما لاستعجالها للضيف، وإما لأن ذلك مستحب عندها، ولذلك قال: لا يؤنيه. وقيل لتعجيل القرى».

(٢) زيادات ر: «تضوع روايته».

ضمها إليه، وقال: أينَ أنا منْ لَقيط؟ فقالت: ماءٌ ولا كصداء - مثلُ حَمْراءَ، ووزنُها «فَعْلاَءُ»، وموضع اللام همزة، وهي بئر مُقدَّمَة، واسمها ما ذكرنا عن الأصمعيِّ وأبي عبيدة، وكذلك سمعنا العربَ تقوله، ومَنْ ثَقَّلَ فقد أخطأ ومثلُ ذلك: رجلٌ ولاَ كمالك[1] - يَعْنُونَ مالكَ بنَ نُوَيْرَةَ، ومَرْعًى ولا كالسَّعْدانِ.

[حديث بنات ذى الإصبع العدوانى]

وحدثنى علىُّ بن عبد الله عن ابن عائشةَ قال: كان ذو الإصْبع العَدْوانىُّ رجلا غَيُورًا، وكانت له بناتٌ أربعٌ، وكان لا يُزَوِّجُهُنَّ غَيْرَةً، فاستَمَعَ عليهنَّ يومًا، وقد خَلَوْنَ يَتَحَدَّثْنَ، فقالت قائلةٌ منهنَّ: لِتَقلْ كلُّ واحدة منكنَّ ما فى نفسِها، ولْنَصْدُقْ جميعًا. قال: فقالت كُبْرَاهُنَّ:

ألا لَيْتَ زوجِى مِن أُناسٍ ذوِى غنىً	حَديثُ الشَّبابِ طيِّبُ النَّشْرِ والذكْرِ
لَصُوقٌ بأكْبادِ النِّساءِ كأنَّه	خَليفةُ جانٍ لا يُقيمُ عَلَى هَجْرِ

قال: وقالت الثانية:

أَلاَ لَيْتَهُ يُعْطَى الجمالَ بَديئةً	له جَفْنةٌ يَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ
له حكمَاتُ الدَّهْرِ من غيرِ كَبْرَةٍ	تَشِينُ فَلاَ فَانٍ ولاَ ضَرَعٌ غُمْرُ

[أَخْذُ التَّجارِبِ، وهو مأخوذٌ من حكَمَةِ اللِّجام ش] فَقُلْنَ لها: أنتِ تُريدينَ سَيِّدًا، فقالت الثالثة:

أَلاَ هَلْ تَراهَا مَرَّةً وَحَليلُها	أَشَمُّ كَنَصْلِ السَّيْفِ عَيْنِ[2] المُهَنَّدِ
عَلِيمًا بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ وَرَهْطُهُ	إذا ما انْتمى مِنْ أهلِ بَيْتِى ومَحْتِدِى

فقُلنَ لها: أنتِ تُريدينَ ابْنَ عَمٍّ لَكِ، فقد عَرَفْته، وقُلْنَ للصغرى: ما تقولين؟ فقالتْ: لاَ أَقولُ شيئًا، فَقُلْنَ: لا نَدَعُك وذَاكِ، إنَّكِ اطَّلَعْتِ على أَسرارِنَا وتكْتُمينَ سِرَّكِ، فقالت: زَوْجٌ من عُودٍ، خَيْرٌ من قُعُودٍ.

قال: فَخُطِبْنَ، فَزَوَّجَهُنَّ جُمَعَ، ثم أَمْهَلَهُنَّ حولاً، ثم زارَ الكُبْرَى، فقال لها: كيفَ رأيتِ زوجَكِ؟ قالَتْ: خيرَ زَوْجٍ، يُكْرِمُ أهلَه، ويَنْسَى فَضْلَه، قال لها:

---

(١) زيادات ر: «فما يقال: فتى ولا مالك، وقد تقدم لأبى العباس: «فتى»، وهو الصواب».

(٢) زيادات ر: «حليلها، بفتح اللام وبالضم، وأشم مثله».

فَمَا مَالُكم؟ قالت: الإبلُ، قال: وما هى؟ قالت: نَأكل لُحْمَانَها مُزَعا[1]، ونشربُ أَلْبَانَهَا جُرعَا، وتَحملنَا وضَعَفَتَنَا معا، فقال لها: زوجٌ كريمٌ، ومالٌ عَميمٌ.

ثم زار الثانيةَ فقال لهـا: كيفَ رأيت زوجَك؟ قالت: يُكْرِمُ الْحَلِيلةَ، ويُقَرِّبُ الوَسيلَةَ. قـال: فما مَالُكُم؟ قـالت: البَقَرُ، قال: ومـا هى؟ قالت: تَأْلَفُ الفِنَاءَ، وتَمْلأُ الإناءَ، وتُودِكُ السِّقَاءُ، ونِسَاءُ مَعَ نِساءٍ. قال لها: رَضيتِ وحَظيت.

ثم زارَ الثَّالثةَ، فقال لهـا: كيفَ رأيت زوجَك؟ فقالت: لا سَمْحٌ بَذِرٌ، ولا بَخيلٌ حكرٌ[2]، قال: فما مالُكُم؟ قالت: الْمَـعْزَى، قال: وما هى؟ قالت: لو كنَّا نُولِّدُهَا فَطُمَا، ونَسْلَخُهَا أَدمًا، لم نَبْغِ بِهَا نَعَمَا، فقال لها: جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ.

ثم زار الرَّابعةَ، فـقال لها: كـيفَ رأيت زوجَك؟ فقـالت: شَرُّ زَوْجٍ، يُكْرِمُ نفسَهُ، ويُهينُ عِرْسَـهُ، قال لها: فما مَالُكمْ؟ قَالت: شَـرُّ مَـال، الضَّأْنُ، قال لها: وما هُـنَّ؟ قالتَ: جُـوفٌ لا يَشْبَـعْنَ، وهيمٌ لا يَنْقَعْنَ، وصُمٌّ لا يَسْـمَعْـنَ، وأَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ، فقال: «أَشْبَهَ امْرُؤٌ بعضَ بَزِّه»[3] فأَرْسَلَها مثلا.

قال عليُّ بن عبد الله: قلتُ لابنِ عائشةَ: ما قولها: «وأمر مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ»؟ فقـال: أَمَا تَرَاهُنَّ يَمْرُرْنَ فَـتسقطُ الواحـدةُ منهنَّ فى ماءٍ أو وَحَل وما أشـبه ذلك فَيَتْبَعْنَهَا إليه.

قولُ الثانيةِ:

* له جَفْنَةٌ يَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ *

فالنيبُ: جمعُ نَابٍ، وهى المُسنَّة، وإنما قيلَ لها: نَابٌ، لطُول نَابِها، قال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ:

* تُشَبَّهُ نَابا وَهْىَ فى السِّنِّ بَكْرَةٌ *

وتقديـر «نِيبٍ» من الفعل «فُـعْلٌ»، ولكن ما كـان من ذوات الياء كُـسرَ له موضعُ الفـاءِ من الفِعلِ لِتَصِحَّ الياءُ، لأنَّ الـياءَ إذا سكَنَتْ وانضمَّ ما قبلَهـا كانت

---

(١) مزعا: قطعا.

(٢) الحكر هنا: المقتر.

(٣) زيادات ر: «أشبه امرأ بعض بزه، رواية»، يضرب للمتشابهين أخلاقًا.

واوًا، نحو مُوقِن ومُوسِر، وإن فارَقَتْهَا الضَّمةُ عادتْ إلى أصلها، نحوُ قولك: مَيَاسِيرُ، ومثلَ ذلك أبيضُ وبِيضٌ، وإنما «بيضٌ» «فُعْلٌ» كـ«أَحْمَرَ وحُمر» و«أَصْفَرَ وصُفْر»، ولكن كُسِرَتِ النون لتصحَّ الياءُ، ولو كانت واوًا فى الأصل لم تَغَيَّرْ، نحوُ: «أسودَ وسُود».

وقوله: «نَابٌ»، تقديرهَا «فَعَلٌ» متحركة العين، ولا تنقلبُ الياءُ ولا الواوُ أَلِفًا إلاَّ وَهُما فى موضعِ حركةٍ وما قبلَهما مفتوحٌ، نحو: بَاعَ وَقَالَ ورَمَى وغَزَا؛ لأن التقديرَ «فعلَ»، ولو كان على «فَعْلٍ» لَصَحَّت الياءُ والواوُ، كما تقول: بَيْعٌ وقَوْلٌ، و«فَعَلٌ» قد يَجمعونَه على «فُعْلٍ» كقولهم: أَسَدٌ وأُسْدٌ، ووَثَنٌ ووُثْن.

وقولها: «تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزُرُ» فإنَّما عَطَفَتْ أحدَهما على الآخرِ؛ لأنَّ مِنَ الإبلِ ما يكون جَزُورًا للنَّحْرِ لا غير.

وأَمَّا قولها: «وَلاَ ضَرَعٌ غُمْرٌ» فالضَّرَعُ: الضعيفُ، والغُمْرُ: الذى لم يُجَرِّب الأمور.

[الحجاج والمهلب بن أبى صفرة]

ويُرْوَى أَنَّ الحَجَّاجَ لَمَّا وَرَدَ عليه ظَفَرُ المُهَلَّب بن أَبى صُفْرَةَ وَقَتْلُهُ عبدَ ربِّه الصغيرَ، وهَرَبُ قَطَرِيٍّ عنه تَمَثَّلَ فقال: لله دَرُّ المُهَلَّبِ! والله لَكأنَّهُ ما وصف لَقِيطٌ الإيادىُّ حيثُ يقول:

وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لله دَرُّكُمُ	رَحْبَ الذِّرَاعِ بأَمرِ الحربِ مُضْطَلِعَا
لاَ مُتْرَفًا إنْ رَخَاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ	ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ به خَشَعَا
مازال يَحْلُبُ هذا الدهْرَ أَشْطُرَهُ	يكونُ مُتَّبِعًا طَورًا ومُتَّبَعَا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ على شَزْرٍ مريرَتُهُ	مُرَّ العَزِيمَةِ لا رَثًّا ولاَ ضَرَعَا

فقام إليه رجلٌ فقال: أَيُّها الأميرُ، والله لَكأنِّى أسمعُ هذا التمثيلَ مِنْ قطَرِيٍّ فى المُهَلَّب. فَسُرَّ الحَجَّاجُ بذلك سرورًا تَبَيَّنَ فى وجهه.

وقولها:

* كَنَصلِ السَّيْفِ عَيْنِ المُهنَّدِ *

فالمهنَّدُ، المنسوبُ إلى الهِنْد.

وقولها: «مِنْ أهلِ بَيْتِى ومَحْتِدى» فالمحتدُ: الأصل، قال الشاعرُ:

وَفِى السِّرِّ مِنْ قَحْطَانَ أَوْلاَدُ حُرَّةٍ   عِظَامُ اللَّهَا بِيضٌ كِرَامُ المَحَاتِدِ

وقولهُ: «مالٌ عميمٌ» يقولُ: جامعٌ، أَخَذَهُ مِنْ عَمَّ يَعُمُّ.

وقولُه: «جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ» فالجِذْوُ: جمعُ جِذْوة، وهى القطْعَة، وأصلُ ذلك فى الخشَب ما كانَ منهُ فيه نارٌ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾[1] وتجمعُ أيضًا جُذًا، قال ابن مُقْبِل:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ سَلْمَى يَلْتَمِسْنَ لها   جَزْلَ الجُذَا غَيْرِ خَوَّارٍ وَلاَ دَعِرِ

الخوَّارُ: الضعيفُ، والدَّعِرُ: الكثير الثُّقَبِ، يقالُ: عُودٌ دَعِر.

وقولها: «جُوفٌ لا يَشْبَعْنَ» تقولُ: عِظَامُ الأَجْوَاف. و«هِيمٌ لا يَنْقَعْنَ»، الهِيمُ: العِطَاش، يكونُ الواحدُ من هيم أَهْيَمَ، ويقال فى هذا المعنى: هَيْمَانُ. وقال بعضُ المفسِّرينَ فى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾[2] قال: هى الإِبلُ العِطَاشُ، وقال ذو الرُّمَّة[3]:

فراحَتْ الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صَرَائِرُهَا   وقد نَشَحْنَ فلا رِىٌّ وَلاَ هِيمُ[4]

ويقال: «قَصَع صَارَّتَهُ» إذا رَوِى، والصَّارَّةُ: شدَّةُ العطَش، والنَّشُوحُ: أَنْ تَشْرَبَ دُونَ الرِّىِّ، يقال: نَشَحَ يَنْشَحُ، ومثلُه: تَغمَّرَ، إذا لم يَرْوَ. ويقال للقَدَحِ الصغير العُمَر مِنْ هذا. وقال بعضُ المفسرين: الهِيمُ: رِمالٌ بعينها، واحدتُها هَيْماءُ، يا فتى.

وقولها: «لا يَنْقَعْنَ» أى لا يَرْوَيْن، يقال: ما نَقعتْ ماشيةُ بنى فلانٍ برِىٍّ، إذا لم تَبْلُغْ من الماء حقَّها، ويقال للماء: النَّقْعُ، ويقال: النقع فى غير هذا موضع للغبار، ويقال: أَثَارُوا النَّقْعَ بينهم. والنَّقْعُ أيضًا: اسمُ موضع بعينه، قال الشاعرُ:

لقد حَبَّبَتْ نُعمٌ إلينا بوجهِهَا   مَسَاكِنَ ما بين الوَتَائِر والنَّقْعِ[5]

---

(١) سورة القصص ٢٩.   (٢) سورة الواقعة ٥٥.

(٣) زيادات ر: «يصف حميرا».

(٤) زيادات ر: «الحقب البيض الأعجاز من الحمير».

(٥) زيادات ر: «الوتائر، بالتاء منقوطة باثنتين من فوق»، الوتائر والنقع: موضعان.

والنَّقْعُ: الصُّراخُ، قال لبيد:

فمتى يَنْقعْ صُراخٌ صادقٌ يُخلبُوهُ[1] ذَاتَ جَرْسٍ وزَجَلْ

وقولُها: «وصُمٌّ لا يَسْمَعْنَ»، طَرِيفٌ من كلام العرب، وذلك أنه يقال لكلِّ صحيحِ البَصَر ولا يُعْملُ بَصَرَهُ: أعمى، وإنما يُراد به أنه قد حَلَّ مَحَلَّ مَنْ لا يُبْصر ألبَتَّةَ، إذا لم يُعْملْ بَصرَهُ، وكذلك يقالُ للسَّميعِ الذى لاَ يَقْبلُ: أَصَمُّ، قال الله جلَّ ذكره: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾[2] كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُها﴾[3] وكذلك: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمعُ الْمَوْتَى ولا تُسْمعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ﴾[4] وقولَه عزَّ وجلَّ: ﴿كَمثَلِ الَّذى يَنْعِقُ بمَا لاَ يَسْمَعُ إلاَّ دُعَاءً ونداءً﴾[5].

وتقول العربُ: «أَبْلَدُ ما يُرْعَى الضَّأْنُ»، ويقال: أَحْمَقُ مِنْ رَاعِى ضَأْنِ ثَمانِينَ[6].

وتحدَّثَ عمرُو بن بَحْرٍ، قال: كان يقال: لا ينبغى لعاقل أن يُشَاورَ واحدًا من خمسةٍ: القَطَّانُ، والغَزَّالُ، والمُعَلِّمَ، وراعى ضأنٍ، ولا الرجلُ الكثيرُ المحادَثَة للنِّسَاءِ.

وقيلَ فى مِثْل هذا: لا تَدَعْ أمَّ صَبِيِّكَ تَضْرِبُهُ فإنه أَعقلُ منها وإن كان طِفْلا.

وقال الأَحْنَفُ بن قَيْس: إِنِّى لأُجالِسُ الأَحمقَ السَّاعةَ فأَتَبَيَّنُ ذلك فى عَقْلِى.

وقال جلَّ ثناؤُه فى صفةِ النِّساء: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فى الحِلْيَةِ وهُوَ فِى الخِصَامِ غيرُ مُبِينٍ﴾[7].

---

(١) كذا فى الأصل، وفى ر: «يجلبوه».
(٢) سورة البقرة ١٨.
(٣) سورة محمد ٢٤.
(٤) سورة النمل ٨٠.
(٥) سورة البقرة ١٧١.
(٦) زيادات ر: «قوله: أحمق من راعى ضأن ثمانين، المثل لكسرى فى أعرابى خيره فاختار ذلك، ذكره أبو عبيد، وهذا غير ما أشار إليه أبو العباس».
(٧) سورة الزخرف ١٨.

وحُدِّثْتُ أنَّ عُمَرَ بن عبدِ الله بن أبى رَبِيعةَ أتَى المدينة فأقـام بها، ففى ذلك يقول:

يا خَليلَىَّ قـد مَللْتُ ثَوَائى ... بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقيعَا

فلمَّا أراد الشُّخُوص شَخَصَ معه الأَحْوَصُ بن محمد، فلما نَزَلاَ وَدَّانَ صار إليهما نُصَيْب، فمضى الأَحْوَصُ لبعض حاجته، فرَجَعَ إلىَ صاحِبَيْه، فقال: إنى رأيتُ كثَيِّرًا بموضعِ كذا، فقال عمرُ: فابْعَثُوا إليه لِيصير إلينا، فقالَ الأحْوَصُ: أَهُوَ يَصير إليكم؟ هو والله أَعْظَمُ كِبرًا من ذلك، قال: فإذًا نَصير إليه، فصاروا إليه، وهو جالسٌ على جِلْدِ كبش، فوالله ما رَفَعَ منهم أحدًا ولا القُرَشىَّ. ثم أقبلَ على القُرَشىِّ، فقال: يا أَخَا قُرَيْشٍ، والله لقد قلت فأَحسنتَ فى كَثيرٍ من شعرك، ولكن خَبِّرْنى عن قولك:

قالتْ لها أُخْتُها تُعاتِبُهَا ... لا تُفْسِدنَّ الطَّوَافَ فى عُمَرِ[1]

قُومى تَصَدَّىْ له لِيُبْصِرَنَا ... ثم اغْمِزِيه يا أخت فى خَفَرِ

قالَتْ لها: قد غَمَزْتُهُ فأبَى ... ثم اسْبَطَرَّتْ تَشْتَدُّ فى أثرى

والله لو قلتَ هذا فى هِرَّة أهلكَ ما عَدَا، أردتَ أن تَنْسُبَ بها فنسَبْتَ بنفسك، أهكذا يقالُ للمرأة! إنما تُوصَفُ بالخَفرِ، وأنها مطلوبةٌ ممتنعةٌ، هَلاَّ قُلتَ كما قال هذا؟ وضرب بيده على كَتِف الأحْوَصِ:

أَدُورُ ولَوْلاَ أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرِ ... بأبياتكمْ ما دُرْتُ حيثُ أَدُورُ

وما كنتُ زَوَّارًا ولكنَّ ذَا الهَوَى ... إذا لم يُزَرْ لابُدَّ أَنْ سَيَزُورُ

لقد مَنَعَتْ معروفَها أُمُّ جعفرٍ ... وإنِّى إلى معروفها لَفَقِيرُ

قال: فامتلأ الأحوصُ سرورًا، ثم أقبلَ عليه فقال: يا أحْوَص، خَبِّرْنى عن قولك:

فإنْ تَصِلِى أَصِلْكِ وإنْ تَعُودِى ... لِهَجْرٍ بَعْدَ وَصْلِكِ لا أُبالِى

---

(١) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية» «لا تفسدن» على النهى، والصحيح: «لتفسدن» على القسم، كأنها قالت: «والله لتفسدن».

أما واللهِ لو كنتَ من فُحول الشعراء لَبالَيْتَ، هلاَّ قلتَ مثلَ ما قال هذا؟ وضَرَبَ بيده على جنبِ نُصَيْب:

بزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبلَ أَنْ يَظْعَنَ الرَّكْبُ ... وَقُلْ إِنْ تَملّينا فما مَلَّكِ القلبُ

قال: فانتفَخَ نُصَيْبٌ، ثم أقبلَ عليه فقال له: ولكن أخبرنِى عن قولك يا أَسْوَدُ:

أَهيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ وإِنْ أَمُتْ ... فَوَا حَزَنَى مَن ذَا يَهِيمُ بها بَعْدِى

كأنَّك اغْتَمَمْتَ ألاَّ يُفْعَلَ بها بَعْدَك، ولا يكْنِى، فقال بعضُهم لبعض: قوموا فقد استَوَتِ القِرْقَةُ. وهى لُعْبَةٌ على خُطُوطٍ، فاستواؤُها انقضاؤُها.

* * *

قال أبو الحسن: الطَّبِنُ هى السُّدَّرُ، فإذا زيدَ فى خُطوطِه سمَّته العربُ: القِرْقَةُ، وتُسمِّيه العامَّة السُّدَّرَ.

[كثير والأخطل عند عبد الملك بن مروان]

قال: وحُدِّثْتُ أن كُثَيِّرًا دَخَل على عبد الملك بن مَرْوَانَ وعندَه الأخطل، فأنشده، فالتفتَ عبدُ الملك إلى الأخطل، فقال: كيف تَرَى؟ فقال: حجازىٌّ مُجَوَّعٌ مَقْرُورٌ[1]، دَعنى أَضْغَمْهُ يا أَميرَ المؤمنين، فقال كثَيرٌ: مَنْ هذا يا أَميرَ المؤمنين؟ فقال له: هذا الأخطلُ، فقال له كثير: مَهْلاَ، فهلاَّ ضَغَمْتَ الذى يقول[2]:

لا تَطْلُبَنَّ خُئُولَةً فى تَغْلِبٍ ... فالزَّنْجُ أَكْرَمُ منهمُ أَخْوَالاَ[3]

والتَّغْلَبِىُّ إذَا تَنَحْنَحَ للقِرَى ... حَكَّ اسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأَمْثَالاَ

فسكتَ الأخطلُ فما أَجابه بحرف.

قال أبو العباس: سمعتُ مَنْ يُنْشِدُ هذا الشعر:

* والتَّغْلَبِىُّ إذَا تُنُبِّحَ لِلقِرَى *

وهو أبلغُ.

(١) مقرور: أصابه القر، وهو البرد.

(٢) حاشية الأصل: «هو جرير»، والبيتان فى ديوانه ٤٥٠، ٤٥٣.

(٣) زيادات ر: «أخوالا، منصوب على الحال، ومن زعم أنه تمييز فقد أخطأ».

[أبيات نصيب في امرأة نزل عندها فأكرمته]

قال: وخُبِّرتُ أن نُصَيْبًا نزلَ بامرأة تُكْنَى أمَّ حَبيب، من أهل مَلَلٍ، وكانتْ تُضيفُ بذلكَ الموضعِ وتَقْرى، ولايزالُ الشريفُ قد نَزَلَ بها فأَفْضَلَ عليها الفضْلَ الكثير، ولايزالُ الشريفُ ممن لم يَحْلُلْ بها يتناولُها بالبرِّ، ليعينَهَا عَلَى مُرُوءتها، فنزلَ بها نُصَيْبٌ ومعه رجُلانِ من قريش، فلما أَرادُوا الرِّحْلَةَ عنها وَصَلَهَا القُرَشيَّان، وكان نُصَيْبٌ لا مالَ معه في ذلك الوقت، فقال لها: إن شئت فَلَكِ أن أُوَجِّهَ إليك بمثلِ ما أعطاكِ أحدُهما، وإن شئتِ قلتُ فيكِ شعرًا، فَغَزِلَتْ أُمُّ حَبيبٍ(١) فقَالتْ: بل الشِّعْرَ، فقال:

أَلاَ حَيِّ قَبْلَ الْبَيْنِ أَمَّ حَبيبِ ... وإنْ لم تكنْ منَّا غدًا بقريبِ
وإنَّ لم يكن أنِّي أُحبُّك صادقًا ... فما أحدٌ عندى إذًا بحَبيبِ
تَهَامٍ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَليَّةٌ ... غَرِيبُ الهَوَى، وَاهًا لكُلِّ غَرِيبِ!

[نصيب عند عبد الملك بن مروان]

وحُدِّثْتُ أن نُصيبًا أَتَى عبدَ الملك فأَنشدَه، فاستحسَنَ عبد الملك شعْرَه وسُرَّ به، فوصَلَه، ثم دَعَا بالغَداءِ فَطَعِمَ معه، فقال له عبدُ الملك: يا نُصيبُ، هل لكَ فيما يُتنادَمُ عليه؟ فقال: يا أَميرَ المؤمنين، تأَمَّلْني، قال: قد أراكَ، فقال: يا أَميرَ المؤمنين، جِلْدى أَسْوَدُ، وخَلْقى مُشَوَّهٌ، ووجهى قَبيحٌ، ولستُ فى مَنْصبٍ، وإنما بَلَغَ بى مُجَالَسَتَكَ ومؤاكَلَتَكَ عَقْلى، وأنا أَكرهُ يا أَميرَ المؤمنين أن أُدْخِلَ عليه ما يَنْقُصُهُ. فأعجبه كَلاَمُه فأَعْفَاهُ.

[الوليد بن عبد الملك والحجاج]

وقال الوليدُ بنُ عبد الملك للحَجَّاجِ فى وَفْدَة وفَدَهَا عليه - وقد أَكَلا: هل لَكَ فى الشراب؟ فقال: يا أَميرَ المؤمنين، ليسَ بحرامٍ ما أَحْلَلْتَه، ولكنى أمنعُ أهلَ عَمَلى منه، وأكرهُ أن أخالفَ قولَ العبدِ الصَّالِح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾(٢)، فأعفاه.

---

(١) زيادات ر: «أى مالت إلى أن يتغزل بها».

(٢) سورة هود ٨٨.

[مسلمة بن عبد الملك ونصيب]

وقال مَسْلَمَـةُ بن عبد الملك يومًا لنُصيب: امْـتَدَحْتَ فلانًا! لرَجُلٍ منْ أهله، فقال: قد فـعلتُ، قال: أوَ حرَمَكَ؟ قال: قد فعلَ، قال: فـهلاَّ هَجَوْتَهُ؟ قال: لم أفْعلْ، قال: ولمَ؟ قـال: لأنِّى كنتُ أحقُّ بالهجاء منه! إذْ رَأَيْتُهُ موضـعًا لمَدْحى! فأُعْجِبَ به مسلمـةُ، فقال: اسألنى، قال: لا أفعَلُ، قـال: ولِمَ؟ فقال: لأَنَّ كَفَّكَ بالعطيَّةِ أجْودُ مِن لسانِى بِالمسألة، فوهَبَ له ألفَ دينارٍ.

[فى نقد الشعر]

وحُدِّثْتُ أنَّ الكميْتَ بنَ زيدٍ أنْشَدَ نُصَيْبًا فاستَمَعَ له، فكان فيما أنشدَهُ:

وقـد رأينَـا بِهَـا حُـورًا منعَّـمـةً   بِيضًا تكامَلَ فـيها الدَّلُّ والشَّنَبُ(1)

فَثَنَى نُصَيبٌ خنْصَرَهُ، فقال له الكُمَيْتُ: مَا تَصْنَعُ؟ فقال: أحصى خطَأَكَ، تَبَاعَدْتَ فى قولك: «تَكامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ»

هلاَّ قلتَ كما قالَ ذُو الرُّمَّة:

لَمْيَاءُ فِـى شَفَـتَـيْهَـا حُـوَةٌ لَعَسٌ   وَفِى اللثَـاتِ وَفى أَنْـيَـابِهَـا شَنَبُ

ثم أنشده فى أُخْرَى:

كَـأَنَّ الغُـطَامِطَ مِنْ جَـرْيِهَـا   أَرَاجِـيـزُ أَسلَمَ تَهْـجُو غِـفَـارَا(2)

فقال له: نصيبٌ: ما هَجَتْ أَسْلَمُ غفَارًا قَطُّ، فاستحيَا الكُميتُ فَسكَتَ.

قال أبو العباس: والذى عابه نُصيبٌ من قوله: «تَكامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ».

قَبِيح جداًّ، وذلك أنَّ الكلامَ لم يَجْرِ على نَظْمٍ، ولاَ وَقَعَ إلى جانب الكلمة ما يُشَاكِلُهَا، وأَوَّلُ ما يَحتاجُ إليه القولُ أنْ يُنْظَمَ علىَ نَسَقٍ، وأن يُوضَع على رسم المُشَاكلَةِ.

* * *

وخُبِّرْتُ أَنَّ عُمَرَ بن لَجَإٍ قـال لابن عمٍّ له: أَنَا أَشْعَرُ منك، قال له: وكيفَ؟ قال: لأنِّى أقولَ البيتَ وأخاه، وأنتَ تقولُ البيتَ وابنَ عمِّه.

---

(1) الشنب: عذوبة الأسنان ورقتها.

(2) الغطامط: اضطراب موج البحر، وفى زيادات ر: «وقعت الرواية» «من جـريها»، وصوابه: «من غلبها»؛ لأنه يصف قدراً فيه لحم، فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذى يرتفع».

وأنشد عَمْرُو بن بَحْرٍ:

وَشِعْرٍ كَبَعْرِ الْكَبْشِ فَرَّقَ بينَهُ   لِسَانُ دَعِيٍّ فى الْقَرِيضِ دَخِيلُ

وبَعْرُ الكبش يَقَعُ مُتفرِّقًا، فمن ذلك قولُ أُبنة الحُطَيْئَة له، لما نَزَلَ فى بنى كُلَيْب بنِ يَرْبوعٍ: تَرَكْتَ الثَّروة والعَدَدَ، ونزلت فى بنى كُلَيْبٍ - بَعْرِ الكَبْشِ.

يقال: بَعْرٌ وبَعَرٌ، وشَعْرٌ وشَعَرٌ، وشَمْعٌ وشَمَعٌ، ويقالُ للصَّدْرِ: قَصٌّ وقَصَصٌ، وكذلك نَهْرٌ ونَهَرٌ.

* * *

وزعم الأصمعىُّ أنه سَأَلَ أعرابيًّا، وهو بالموضع الذى ذكره زهيرٌ:

ثم اسْتَمَرُّوا وقالوا إنَّ مَشْرَبَكُم   ماءٌ بِشَرْقِىِّ سَلْمَى فَيْدُ أَوْرَكَكُ

قال الأصمعىُّ: فقلتُ لأعرابىٍّ: أتعرفُ رَكَكًا؟ فقال: لا، ولكن قد كان هاهنا ماء يُسمَّى رَكَكًا.

فهذا ليستْ فيه لغتان، ولكن الشاعر إذا احتاجَ إلى الحركة أَتْبَعَ الحرفَ المتحرِّكَ الذى يليه الساكنُ ما يشاكلُه، فَحَرَّكَ الساكنَ بتلك الحركة. قال عبدُ منافِ ابن رِبْعٍ [ش: رِبْعِىٍّ] الهُذَلِىُّ:

إذا تَجاوَبَ نَوْحٌ قامَتَا معهُ   ضَرْبًا أَليمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجلدَا[1]

يريد الجِلْدَ، فهذا مُطَّرِدٌ.

ومن مَذاهبهم المطَّرِدَةِ فى الشِّعر أن يُلْقوا على الساكنِ الذى يَسْكن ما بَعدَه للتَّقييدِ حركَةَ الإعرابِ، كما قال الراجزُ[2]:

* أنا ابنُ مَاوِيَّةَ إِذْ جَدَّ النَّقُرْ *

يريدُ «النَّقْر» يا فتى، وهو: النَّقْرُ بالخيل، فلما أَسْكَنَ الرَّاء أَلْقَى حركتَها على الساكنِ الذى قبلَها[3].

---

(١) زيادات ر: قال ابن القوطية: لعج الحب قلبه، والصرد جسده: أحرقه». والصرد شدة البرد.

(٢) زيادات ر: «قال ابن السيد: أحسبه لعبيد بن ماوية».

(٣) زيادات ر: «النقير»: صويت باللسان، يسكن به الفرس إذا اضطرب بفارسه، قال امرؤ القيس:

أخفِّضُه بالنَّقْرِ لَمَّا علوتُه   ويرفع طرفاً غيرِ جاف غَضيضِ

وشَبيهٌ بهذا قوله:

عَـجِبْتُ والدَّهْرُ كَـثيرٌ عَـجَبُـهْ　　　مِن عَنَـزِىٍّ سَـبَّنِى لـم أَضْـرِبُهْ

أرادَ: «لم أضرِبْهُ»، يا فتى، فلما أسكن الهاءَ أَلْقَى حركتَها على الباء، وكان ذلك فى الباء أحسنُ، لخفاءِ الهاءِ.

وقال أبو النَّجْم:

* أَقولُ قَرِّبْ ذَا وهذا أَزْحِلُهْ *

يريدُ «أَزْحِلْهُ» يا فتى.

[أقول: قَرِّبْ ذَا وهذَاكَ أَزْحَلُهْ. كذا عن ش].

وقال طَرَفَة:

حَـــابِسِـى رَبْعٌ وقَـــفـتُ بِهِ　　　لـوْ أُطِيـعُ النَّـفْسَ لـم أَرِمُـــــهْ

ولم يَلْزَمْهُ رَدُّ الياء لَمَّا تحركت الميمُ، لأن تحرُّكهـا ليس لها على الحقيقة، وإنما هى حركةُ الهاء.

* * *

وأما قولُ الشاعر:

حـديثُ بَنِى بَدْرٍ إِذَا مـا لَقِيتَـهم　　　كَنَزْوِ الدَّبَى فى العَـرْفَجِ المتَقَـارِبِ

فليس كقوله: «وشِعْرٍ كَبَعْرِ الكَبْشِ» ولكنَّه وصَفهم بضُئولةِ الأصواتِ وسُرعةِ الكلامِ وإِدخال بعضه فى بعض.

والذى يُحْمَدُ الجَهَارَةُ والفخامة.

[لرجل يمدح الرشيد]

وأُنْشِدْتُ لرجل قال يمدحُ الرَّشيد:

جَـهِيرُ الكلامِ جَـهِـيـرُ العُطَاسِ　　　جَـهِـيـــرُ الرُّوَاء جَـهِـيـــرُ النَّغَمْ
ويَخْطُو عـلى الأَيْنِ خَطْوَ الظَّـلِيمِ　　　ويَعْلُـو الرِّجـالَ بـخَلْقٍ عَـــمَمْ[1]

(١) زيادات ر: «الرجل هو العمانى الشاعر، وقوله: «عمم» أى جسيم؛ والأين: الإعياء، ويكون الأين الحية، وهى الأيم».

ويروى أن الرشيدَ كان يأتزرُ فى الطَّواف فيُذنبُ إزارَه ويباعد بين خُطاه، فإذا رجَعَ بيده كادَ يُفْتِنُ مَنْ يراهُ، فعند ذلك مُدِح بهذا الشِّعرِ.

[لعائشة وقد نظرت إلى رجل متماوت]

ويروى أَنَّ عائشةَ رحمها الله نظرَت إلى رجل مُتماوت، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: أَحَدُ القُرَّاء، فقالت: قد كان عمرُ بن الخطابِ قارئًا، فكان إذا قال أَسْمعَ، وإذا مَشَى أسرعَ، وإذا ضرب أَوْجَعَ.

[لعمر وقد نظر إلى رجل يظهر النسك]

ويروى أنَّ عمرَ بن الخطاب رحمه الله نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنُّسْكِ مُتماوِتٍ، فَخفَقَهُ بالدِّرَّةِ، وقال: لا تُمِتْ علينا دِينَنَا، أَماتَكَ اللهُ.

[وفود الروم عند عبد الملك بن صالح العباسى]

ويروى أَنَّ عبدَ الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس أتته وُفودٌ من الرُّوم، وقام السِّماطَان، فأُتِيَ برجلٍ منهم، وعَطَسَ أَحَدُ مَنْ فى السِّماطَيْنِ فَأَخْفَى عَطْسَتَهُ، فقال له عبدُ المَلكِ لَمَّا انقضى أَمرُ الوَفْدِ: هَلاَّ إِذْ كنتَ لَئيمَ العُطاسِ أَتْبَعْتَ عَطْسَتَكَ صيحةً حَتَّى تخلَعَ بها قَلْبَ العِلْجِ.

[جهارة صوت العباس]

وكان العباسُ بن عبد المطلب رحمه الله: أجهرَ الناسِ صوتًا، ولذلك قال رسولُ الله ﷺ لَمَّا انهزمَ الناسُ يومَ حُنَيْنٍ: «يا عباسُ، اصرُخْ بالناس».

ويروى أَنَّ غارةً أَتَتْهُمْ يومًا، فصاح العباسُ: يا صَبَاحَاهْ! فاستَسْقطَت الحواملُ لشدةِ صوته.

* * *

وقد طُعِنَ فى قول النَّابغة الجَعْدِيِّ:

[وأَزْجُرُ الكَاشحَ العَدُوَّ إذا اغْـ	ـتَابَكَ عندى زَجْرًا عَلَى أَضمِ][1]
زَجْرَ أَبى عُرْوَةَ السِّبَاعَ إذا	أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطْنَ بالغَنَمِ[2]

---

(١) هذا البيت من زيادات ر.

(٢) زيادات ر: «يروى «زجر أبى عروة السباع»، بخفض السباع، كما قيل: قيس الرقيات»، فصار على هذا الوجه يعرف بأبى عروة السباع، مثل ذلك».

وذلك أَنَّ الرُّواةَ احتملتْ هذا البيتَ على أنه كان يَزْجُرُ الذِّئابَ ونحوَها مما يُغِيرُ على الغَنم، فيَفْتقُ مَرارَةَ السَّبُعِ فى جَوْفه.

فقال: مَنْ يَطْعَنُ فى هذا؟ السَّبُعُ أشدُّ أَيْدًا من الغَنم، فإذَا فَعَلَ ذلك بالسبعِ هَلكت الغنمُ قبلَه. فقال مَنْ يَحْتَجُّ له: إنَّ الغَنمَ كانتْ قد أَنسَتْ بهذا منه، والصوتُ الرَّائعُ أُنْسٌ لِمَنْ أَنسَ به، كالرَّعْد القاصف الذى لَوْلاَ خَشْيَةُ صَاعقته لم يُفْزِع كَبيرَ فَزَعٍ، ولو جاء أَقلُّ منه مِن جَوْفِ الأرضِ لذعَرَ، ولم يَبْعُدْ أن يَقْتُلَ إذا أتى مِنْ حيثُ لم يُعْتَد.

وجملة هذا البيتِ أنه وَصَفَ شدَّةَ صوتِ المذكورِ، وتأويلُه أنه مِن تكاذيبِ الأَعْرابِ.

[للحسن وقد رأى رجلا يجود بنفسه]

وحُدِّثْتُ أَنَّ الحسنَ نَظَرَ إلى رجلٍ يَجُودُ بنَفْسه فقال: إنَّ أمْرًا هذا آخِرُه لجَديرٌ بأن يُزْهَدَ فى أَوَّلِه، وإنَّ أمرًا هذا أَوَّلُه لجديرٌ أن يُخَافَ آخِرُه.

* * *

وقيلَ لرجلٍ من أشراف العَجَم فى علَّته التى ماتَ فيها: ما بكَ؟ قال: فكْرٌ عَجيبٌ، وحَسْرَةٌ طَويلةٌ، فقيلَ: مِمَّ ذاكَ؟ فقال: ما ظَنُّكُم بمنْ يَقطَعُ سَفَرًا قَفْرا بلا زادٍ، ويسكنُ قبرًا مُوحِشًا بلا مُؤْنِسٍ، ويَقْدَمُ على حكَمٍ عادلٍ بلا حُجَّةٍ!

* * *

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ، وهو محمودٌ الورَّاقُ:

بأىِّ اعتذارٍ أَمْ بأَيَّة حُجَّة ... يقولُ الذى يَدْرى منَ الأَمْرِ: لاأدْرى!

إِذَا كانَ وَجْهُ العُذْرِ ليس بِبَيِّنٍ ... فإنَّ اطِّرَاحَ العُذْرِ خيرٌ من العُذْرِ

* * *

واعتذر رجل إلى سَلْمِ بن قُتَيْبَةَ من أمرٍ بلغه عنه، فعَذَرَهُ، ثم قال له: يا هذا، لاَ يَحمِلَنَّكَ الخروجُ من أمرٍ تَخَلَّصْتَ منه على الدُّخولِ فى أمرٍ لعلَّكَ لا تَخَلَّصُ منه.

* * *

وقيلَ لخالد بن صَفْوَانَ: أَيُّ إخـوانِكَ أَحَبُّ إليك؟ فقال: الذى يَسُدُّ خَلَلِى، ويَغْفِرُ زَلَلِى، ويَقْبَلُ عِلَلِى.

[من أخبار عبد الله بن جعفر]

وافْتَقدَ عـبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب صَديقًـا له من مجلسه، ثم جاءه، فقال: أين كانتْ غَيْبَتُكَ؟ فـقال: خرجتُ إلى عُرْضٍ من أَعْرَاضِ المدينة معَ صديق لى، فقال له: إنْ لم تَجِـدْ من صُحبةِ الرِّجال بُدًّا فـعليك بصحبة مَنْ إنْ صَحِـبْتَه زانَكَ، وإنْ خفَـفْتَ له صَانَكَ، وإن احتجتَ إليـه مَانَكَ[1]، وإنْ رَأَى منك خَـلَّةً سَـدَّها، أو حَـسَنَةً عَـدَّها، وإن وَعَـدَكَ لم يُجْـرِضْكَ[2]، وإن كَـثُرْتَ عليـه لم يَرْفضْكَ، وإن سَأَلْتَه أعطاكَ، وإن أَمسَكْتَ عنه ابتدَاكَ.

وامتدَحَ[3] نُصَيْبٌ عـبدَ الله بن جـعفر، فـأَمَرَ له بخيلٍ وإبـلٍ وأَثَاث ودنانيرَ ودراهِمَ، فقال له رجل: أَمثْلُ هذا الأَسْوَدِ يُعْطَى مـثلَ هذا المالِ؟ فقال له عبدُ الله [ابن جعفر[4]]: إنْ كان أَسَودَ فإنَّ شعْـرَهُ لأبْيَضُ، وإنَّ ثَناءَه لَعَرَبِىٌّ، ولقد استحقَّ بما قـالَ أكثـر ممَّا نالَ، وهل أعطيناهُ إلاَّ ثيـابًا تَبْلَى، ومَالا يَـفْنَى، ومَطايا تُنْضَى، وأَعطانا مَدْحًا يُرْوَى، وثناءً يَبْقَى!

وقيل لعبد الله بن جـعفر: إنك لَتَبْذُلُ الكثيـرَ إذَا سُئِلْتَ، وتُضَيِّقُ فى القليل إذَا تُوجِرْتَ؟ فقال: إنى أَبْذُلُ مالى، وأَضَنُّ بعقلى.

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقيل ليزيدَ بن معاويةَ: ما الجـودُ؟ فقال: إعطاءُ المالِ مَنْ لا تَعْرِفُ، فإنه لا يَصيرُ إليه حتَّى يَتَخطَّى مَنْ تعرف.

وخُبِّرْتُ عن رجلٍ من الأنصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف: ما تَرَكَ لك أبوك؟ قال: تَرَكَ لى مَالاً كـثيرًا، فقال: ألا أُعْلِمُكَ شيئًـا خيرٌ لك مما تَرَكَ لك[5] أبوك؟: إنه لا مالَ لـعاجزٍ، ولا ضَـيَاعَ على حَـازمٍ، والرَّفِيقُ جَمَـالٌ وليس بمالٍ، فعليك من المالِ بما يَعُولُكَ ولا تَعُوله.

---

(١) مانك: قام بما عليك من مئونة.

(٢) يريد لم يخلف وعدك.

(٣) س: «قال أبو العباس».

(٤) تكملة من س.

(٥) كلمة: «لك» ساقطة من ر، وهى فى الأصل.

وقال معاويةُ: الْخَفْضُ والدَّعَةُ سَعَةُ المنزلِ وكثرةُ الْخَدَمِ.

وقيل لِخُرَيْمِ المرِّى ـ وهو المُنبَّزُ[1] بخُرَيْمِ النَّاعِمِ: ما النِّعْـمَةُ؟ فقال: الأمْنُ، فإنه ليس لخائف عيشٌ، والغِنَـى فإنه ليس لفقير عيشٌ، والصحَّـة فإنه ليس لسَقيمٍ عيشٌ، قيـلَ: ثُمَّ ماذَا؟ قال: لا مَزِيدَ بعدَ هذا.

وقال سَلْمُ بن قُتَيْبَةَ: الشَّبَابُ الصحةُ، والسلطانُ الغنَى، والمروءَةُ الصَّبرُ على الرِّجالِ.

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُـفْرَةَ: العَجَبُ لمن يَشـترِى المماليكَ بماله ولا يَشـترى الأحرارَ بمعـروفِهِ. وكان يقولُ لِبَـنِيهِ: إذا غَدَا عليكم الرجلُ وراح مُـسَلِّمًا، فكَفَى بذلك تَقاضِيًا.

وقال خالدُ بن عبـد الله القَسْرىُّ: مَحْضُ الْجُودِ ما لم تَسْبِقْـهُ مسألة، ومالم يَتْبَعْهُ مَنٌّ، ولم يُزْرِ به قِصَرٌ، ووافَقَ موضعَ الحاجة.

وقال بعض المُحْدَثين ـ وهو حبيب الطائىُّ:

أَسَـائِلَ نَـصْـرٍ لاَ تَسَلْـهُ فـإنه	أَحَنُّ إلى الإرْفـادِ منكِ إلى الرِّفْـدِ

وقال آخرُ ـ وهو أبو العَتَاهيَة:

لاَ تَـسْـأَلَنَّ المَـرْءَ ذَاتَ يَدَيـه	فَلَيَـحْـقِـرَنَّكَ مَنْ رَغِـبْـتَ إليـه
الْمَـرْءُ مَـالم تَرْزَهُ لك مُـكْرَمٌ	فـإذَا رَزَأْتَ المرءَ هُنْـتَ عليـه
وكـمـا يكون لَدَيْكَ مَنْ عـاشَـرْتَهُ	فكَذَاكَ فَـارْضَ بأَنْ تكـونَ لَدَيه

[النخار العذرى ومعاوية]

ودخلَ النَّخَّارُ العُذْرِى على مـعاوية فى عَبَاءَة، فاحتَقَـره معاويةُ، فرأى ذلك النَّخَّارُ فى وجهـه، فقال له: يا أَميرَ المؤمنين، ليستِ الـعباءَةُ تُكَلمكَ، إنما يكلمك مَنْ فيـها، ثم تكلمَ فَمَلأَ سَـمْعَهُ، ثم نهض ولم يَسْـأَلْهُ، فقال معـاويةُ: ما رأيتُ رجلا أَحقَرَ أَوَّلا ولا أَجَلَّ آخِرًا منه[2].

(١) المنبز: الملقب بلقب مكروه.

(١) كلمة «معاوية» ساقطة من ر.

[محمد بن كعب القرظى وسليمان بن عبد الملك]

ودخل محمدُ بن كَعْب القُرَظِىُّ على سليمانَ بن عبد الملك فى ثياب رَثَّة، فقال له سليمانُ: ما يَحْمِلُك على لُبْسِ مثلِ هذه الثيابِ؟ فقال: أكْرَهُ أن أقولَ: الزُّهْدُ، فأُطْرِىَ نفسِى، أو أقولَ: الفقرُ، فأَشْكوَ ربِّى.

[سالم بن عبد الله بن عمر وهشام بن عبد الملك]

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال: دخلَ سالمُ بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشامِ بن عبد الملك فى ثيابٍ رثَّة وعليه عمامةٌ تُخَالِفُهَا، فقال له هشامٌ: كَأَنَّ العمامةَ لَيْسَتْ من الثياب! قال: إنها مُسْتَعَارَةٌ، فقال له: كم سِنُّكَ؟ قال: ستُّونَ سنةً، قال: ما رأيتُ ابنَ ستينَ أَبْقَى كِدْنَةً منك[1]، مَا طَعَامُكَ؟ قال: الخُبزُ والزَّيتُ، قال: أَمَا تَأْجَمُهُما[2]؟ فقال: إذا أَجِمْتُهما تركتُهما حَتَّى أَشْتَهِيهما، ثم خرجَ مِنْ عندهِ وقد صُدِعَ، فقال: أَتُرَوْنَ الأَحْوَلَ لَقَعَنِى بعينه، فماتَ من تلك العِلَّة[3].

ونَظَرَ أعرابىٌّ إلى رجل جَيِّد الكِدْنَةِ فقال: يا هذا، إِنِّى لأَرَى عليك قَطِيفةً مُحْكَمةً من نَسْجِ أضراسِكَ.

[من أخبار أبى الأسود الدؤلى]

ودخل أبو الأسودِ الدُّؤَلِىُّ[4] على عُبَيد الله بن زيادٍ فى ثيابٍ رثَّةٍ، فكساه ثيابًا حسَانًا، فخرج وهو يقول:

كَسَاكَ وما استكسيتَهُ فَشكَرْتَه ... أخٌ لك يُعطيكَ الجزيلَ ونَاصرُ
وإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كنتَ مَادِحًا ... بمدحك مَنْ أَعْطَاكَ والعِرضُ وَافِرُ

---

(١) زيادات ر: «كدنة: قوة الجسم، قال ابن القوطية فى الأفعال: كدنت الشفة كدونا اسودَّت: كدن البعير: كثر شحمه».

(٢) أجم الطعام: عافه وكرهه.

(٣) زيادات ر: «قال ابن الأعرابى ثم لقع فلان فلانا بعينه، وزلقه، وزلقه (بتشديد اللام) وأزلقه، وشقذه، وشوهه، ويقول الرجل إذا أجاد فى عمله: لا تشوه عنى، أى لا تقل لى: أجدت فتصيبنى بالعين، ورجل معين، إذا أصيب بالعين، وشاه وشائه وشقذ وشقذان».

(٤) زيادات ر: «اسم أبى الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان، وقيل عمرو بن جندل بن سفيان، وأمه من بنى عبد الدار، بصرى تابعى ثقة، من أصحاب على من كتابه».

وحدثنى الرِّيَاشىُّ قال: دخل أبو الأسود الدُّؤَلى على عُـبيد الله بن زياد وقد أَسَنَّ، فقال له عُبيد الله يَهْزَأُ به: يا أبا الأسودِ، إنك لجميلٌ، فلو تَعلَّقْتَ تميمةً تردُّ عنك بعضَ العُيونِ، فقال أبو الأسود:

أَفْنَى الشَّبَابَ الذى أفنيتُ جِدَّتَهُ ... كَرُّ الْجَديدَيْنِ من آت ومُنطلق
لَمْ يتركَا لِىَ فى طُولِ اختلافِهما ... شيئًا أَخافُ عليه لَذْعَةَ الْحَدَقَ

قوله: «فلو تَعَلَّقْتَ تميمةً» هى: المَعَاذَةُ يُعلِّقُها الرجُلُ.

قال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ:

صَدَرُوا ليلَةَ انْقَضَى الحجُّ فيهمْ ... طَفْلَةٌ زانَهَا أَغَرُّ وَسِيمُ
يَتَّقِى أهلُها العيونَ عليها ... فعلَى جِيدِها الرُّقَى وَالتَّمِيمُ

وقال أبو ذؤَيْب:

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظفارَهَا ... أَلْفَيْتَ كلَّ تَمِيمَة لا تَنْفعُ

وقوله: «لَذْعَةُ الحْدَق» فهو من قولك: لَذَعَتْهُ النارُ، إذا لَفَحَتْهُ، ويقال: لَذَعَ فلانٌ فلانًا بأَدَبٍ، إذا أَدَّبَهُ أَدبًا يسيرًا، كأَنَّهُ كالمقدار الذى وصفناه من النَّارِ.

وقول ابن قيسِ الرُّقَيَّات: «زَانها أَغَرُّ وَسِيمُ»، فالأغَرُّ: الأبيضُ - يعنى الوَجْهَ، والوسِيمُ: الجميلُ، والمصدرُ الوَسَامَةُ والوَسَامُ.

[لبعض المحدثين فى الخضاب]

وقال بعضُ المحْدَثِينَ، ذكرناهُ بقولِ أبى الأسود:

قد كنْتُ أرْتاعُ للبيضاءِ فى حَلَكٍ ... فصِرتُ أرتاعُ للسَّوداء فى يَقَق[1]
مَنْ لَمْ يَشِبْ ليس مملاقًا حَلِيلَتَهُ ... وصاحبُ الشَّيْب للنِّسْوَان ذو مَلَقِ
قد كنَّ يَفْرَقْنَ منه فى شَبيبَتِه ... فصارَ يَفْرَقُ ممن كان ذا فَرَقِ
إنْ الْخِضَابَ لَتَدْليسٌ يُغَشُّ به ... كالثَّوْبِ فى السُّوق مَطْوِيًّا على حَرَقِ

ويُرْوَى: «يُطْوَى لِتَدْليسٍ على حَرَق».

---

(١) اليقق: البياض.

وشبيهٌ بهذا المعنى قولُ أبى تَمَّامٍ:

طَالَ إِنْكارِى البَيَاضَ وإن عِمِّرْتُ شيئًا أَنْكرْتُ لونَ السَّوَادِ

وحدثنى الزِّيادىُّ قال: قيلَ لأعرابىٍّ: أَلاَ تَخْضِبُ بالوَسْمَةِ، فقال: لِمَ ذاكَ؟ فقال: لتَصْبُوَ إليكَ النساءُ، فقال: أَمَّا نِساؤُنا فمَا يُرِدْنَ بنا بَدِيلا، وأَمَّا غيرُهنَّ فما نَلْتَمِسُ صَبْوَتَهُنَّ.

[للعتبى]

وقال العُتْبِىُّ:

وَقَائلَةٍ تَبَيَّضُ وَالغَوَانِى نَوَافِرُ عن مُعَالَجَةِ القَتِيرِ[1]

عَلَيْكَ الخِطْرَ عَلَّكَ أَنْ تَدَنَّى إلى بِيضٍ تَرَائِبُهُنَّ حُورِ[2]

فقلتُ لها المَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِى ولَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

[ليزيد بن المهلبى]

وقال آخر ـ وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن محمدٍ المُهَلَّبِىُّ:

صَبَغْتُ الرَّأسَ خَتْلاً للغَوَانِى كَمَا غَطَّى على الرَّيْبِ المُرِيبُ

أَعَلِّلُ مَرَّةً وأُسَاءُ أُخْرَى ولا تُحْصَى مِنَ الكِبَرِ العُيُوبُ

أُسَوِّفُ تَوْبَتِى خمسينَ عامًا وظَنِّى أَنَّ مِثْلِى لاَ يَتُوبُ

يُقَوَّمُ بِالثِّقَافِ العُودُ لَدْنًا وَلاَ يَتَقَوَّمُ العُودُ الصَّلِيبُ[3]

وقال مالكُ بن دينارٍ: جاهِدُوا أهواءَكم، كما تُجَاهِدُونَ أعداءَكم. وكان يقول: ما أَشدَّ فِطَامَ الكَبِيرِ.

* * *

وقال آخر:

دَعِى لَوْمى ومَعْتَبَتِى أُمَامَا فإِنِّى لَمْ أُعَوَّدْ أَنْ أُلاَمَا

وكيف مَلاَمَتِى إِذْ شَابَ رأسى على خُلُقٍ نَشَأْتُ به غُلاَمَا

* * *

---

(١) زيادات ر: «ويروى «معالجة»، بكسر اللام، فمن فتح اللام جعله مصدرًا، ومن كسر اللام فهى الجماعة التى تعالج ذلك الشىء».

(٢) الخطر: نبات يخضب به. (٣) الثقاف: آلة لتقويم الرماح.

وقيلَ لأعرابيٍّ: أَلاَ تُغيِّرُ شيبَك بالْخضَابِ؟ فقال: بَلَى، فَفعَلَ ذاك مرةً، ثم لم يُعَاوِدْ، فقيل لـه: لِمَ لا تُعاوِدُ الْخِضَابَ؟ فقـال: يا هَنَاهُ، لقـد شُدَّ لِحْيَاىَ فجعلتُ أَخالُنِى ميِّتًا.

[لمحمود الوراق في الشيب]

وقال بعضُ الُمحْدَثِينَ، وهو محمودٌ الورَّاقُ:

يا خاضبَ الشَّيْب الذى ... فى كلِّ ثالثة يَعُودُ
إنَّ النُّصُولَ إذَا بَدَا ... فكأنَّه شَيْبٌ جَدِيدُ
ولـه بَداهَةُ لَوْعَة ... مكروهُهَا أبدًا عَتِيدُ[1]
فَدعِ المَشِيبَ لِمَا أَرَا ... دَ فَلَنْ يَعُودَ كَمَا تُرِيدُ

وقال محمودٌ أيضًا:

أَلَيْسَ عَجِيبًا بأَنَّ الفَتَى ... يُصَابُ بِبَعْضِ الذى فى يَدَيه
فَمنْ بَيْنِ بَاكٍ لـه مُوجَعٍ ... وبَيْنَ مُعَزٍّ مُغِذٍّ إلَيْـه[2]
وَيَسْلُبُهُ الشَّيبُ شَرْخَ الشَّبَابِ ... فليس يُعَزِّيه خَنْقٌ عَلَيْه

وقال أيضًا:

يَا خَاضِبَ الشَّيْبَة نُحْ فَقْدَهَا ... فَإنَّمَا تُدْرجُهَا فى كَفنْ
أَمَا تَرَاهَا مُنْذُ عَايَنْتَهَا ... تَزِيدُ فِى الرَّأْسِ بِنَقْصِ البَدَنْ

وقال أيضًا:

اغْتَنِمْ غَفْلَةَ المنيَّة واعْلَمْ ... أَنَّمَا الشَّيْبُ للمنيَّة جَسْرُ
كم كَبِيرٍ يومَ القيامة يُقْصَى ... وصغِيرٍ له هُنَالِكَ قَدْرُ

* * *

قال أبو الحسن: يقال «جِسْرٌ وجَسْرٌ»، وهو مأخوذٌ من الناقة الكبيرة، يقال لها: «الْجَسْرُ».

---

(١) يقال: عند الشيء إذا حضر، فهو عنيد.
(٢) مغذ: مسرع».

[لأبى النجم العجلى]

وقال أعرابىٌّ[١]:

قَالت سُلَيْمَى أنتَ شَيْخٌ أَنْزَعُ[٢] فـقلتُ مَـا ذَاكَ وإنِّى أَصْلَعُ
ثم حَسَرْتُ عَنْ صَفَاةٍ تَلْمَعُ فَأَقْبَلَتْ قائلةً تَسْتَرْجِعِ

* ما رأسُ ذَا إلاَّ جَبِينٌ أَجْمَعُ *

[لرؤبة]

وقال آخرُ، وهو رُؤْبة:

قد تَرَكَ الدهرُ صَفَاتى صَفْصَفا فصارَ رأسى جَبْهةً إلى القَفَا
كأنَّه قد كان رَبْعًا فَعَفَا يُمْسِى ويُضْحِى للمَنَايا هَدَفَا

[لنصر بن حجاج وقد حلق عمر رأسه]

وكان نصرُ بن حَجَّاج بن عِلاَط السُّلَمِىُّ ثم البَهْزِىُّ جميلاً، فَعَثَرَ عليه عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمرٍ ـ اللهُ أَعلم به ـ فحَلَقَ رأسَه، وكان أَصْلَعَ، لم يَبْقَ من شَعَرْه إلاَّ حُفَافٌ[٣]، كذلك قال الأصمعىُّ فقال نصرُ بنُ حَجَّاجٍ:

لَضَنَّ ابنُ خَطَّابٍ علىَّ بجُمَّة إذَا رُجِّلَت تَهْتَزُّ مَرَّ السَّلاَسِلِ
فَصَلَّعَ رأْسًا لم يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ يَرِفُّ رَفِيفًا بعد أَسْوَدَ جَائِلِ[٤]
لقد حَسَدَ الفُرْعَانَ أَصْلَعُ لم يكُنْ إِذَا مَا مَشَى بالفَرْعِ بالمُتَخَايِلِ[٥]

قوله: «بالفَرْعِ بالمُتَخَايِلِ» ليس أَنَّهُ جعَلَ «بالفَرْعِ»، من صِلَةَ المُتَخَايِلِ فيكون ذلك معناه: بالذى يَخْتَالُ بالفَرْعِ، فيكون قَدْ قَدَّمَ الصِّلَةَ على الموصول، ولكنه

---

(١) زيادات ر: «هو أبو النجم».
(٢) أنزع، من النزع، وهو انحسار مقدم شعر الرأس من جانبى الجبهة.
(٣) حفاف: شعر حول الصلعة.
(٤) الجائل: الشعر الكثير الملتف.
(٥) الفرعان: جمع أفرع، وهو الوافى الشعر.

جَعَلَ قوله: «بالفرع» تبيينًا، فصار بمنزلة «بِكَ» التى تَقَعُ بعدَ «مَرْحبًا» للتبيين، وقد مَرَّ تفسيرُ هذا مستقصًى فى الكتاب «المُقْتَضَبِ».

***

وقال آخرُ:

تُغَطِّى نُمَيْرٌ بالعَمائم لُؤْمَهَا ... وكيفَ يُغَطى اللُّؤْمَ طَىُّ العَمائمِ
فإنْ تَضْربونا بالسِّياط فإنَّنَا ... ضَربناكُمْ بالمُرْهَفات الصَّوارمِ
وإن تَحْلِقُوا منَّا الرءوسَ فإننا ... حَلَقْنا رءوسًا باللَّهَا والغَلاصمِ[1]
وإن تَمنَعُوا منَّا السِّلاح فعندنا ... سِلاحٌ لنا لا يُشْتَرَى بالدَّراهمِ
جَلاَمِيدُ أَمْلاَءُ الأكُفِّ كأنَّها ... رءوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالمَواسِمِ

[من شعر يزيد بن الطثرية وأخباره]

وكان يزيدُ بن الطَّثْرِيَّةِ غَزِلا، وكان أخوه ثورٌ ذَا مَال، فكان يزيدُ يأتى العطَّارَ فيقولُ: ادهُنِّى دَهْنَةً بناقة من إبلِ ثَوْر، فيفعلُ ذلك، وكانَ ذا جُمَّة حَسَنَة، فإذا كَثُرَ عليه الدَّيْنُ هربَ فتَبَدَّى[2]، فإذا ذَكر حُوشِيَّةَ - وهى امرأة كانَ يُشَبِّبُ بها[3] - قَدِمَ فاقْتَطَعَ من إبلِ أخيه ما يَقْضِى به دَيْنَهَ، وفى ذلك يقولُ:

قَضَى غُرَمَائى حُبُّ أَسماءَ بعدَمَا ... تَخَوَّفَنى ظُلْمٌ لهمْ وفُجورُ
فذلك دَأْبِى ما حَيِيتُ وما مَشَى ... لثَوْرٍ علَى ظَهرِ الفَلاةِ بَعِيرُ

فاسْتَعْدَى عليه ثورُ السُّلطانَ، فأَمَر بحلق رأسه، فقال:

أقول لثَوْرٍ وهو يَحْلِقُ لِمتى ... بعَقْفَاءَ مَرْدُود عليها نِصَابُهَا
ترَفَّقْ بها يا ثَوْرُ ليس ثَوابُهَا ... بهذا ولكنْ عِندَ ربى ثَوابُهَا
أَلاَ رُبَّما يا ثَوْرُ فَرَّقَ بينها ... أناملُ رَخْصاتٌ حَديثٌ خِضَابُهَا

---

(١) اللها: جمع لهاة، وهى لحمة فى أقصى الفم، والغلاصم: جمع غلصمة، وهى لحمة ما بين الرأس والعنق.

(٢) تبدى: أقام بالبادية.

(٣) زيادات ر: «حوشية بنت أبى فديك بن قرة، ولها مع يزيد حديث طريف».

فتْـهلكُ مدْرَى العَاجِ في مُدْلَهِـمَّةٍ إذا لم تُفْرَّجْ مات غَـمًّا صؤَابُهَا[1]
فـجَـاء بهـا ثَوْرٌ ترِفٌّ كـأَنَّـهَـاً سـلاسِلُ بَـرْقٍ لينُهـا وانْسكَـابُهَـا
ورُحْتُ برأسٍ كالصُّخَـيْرَةِ أَشْرَفَتْ عليـها عُـقابٌ ثم طارتْ عُـقَابُهَـا
خُـدَارِيَّةٌ كـالشَّرْيَةِ الفَـرْدِ جَـادَهَا من الصَّيْفِ أَنواءٌ مَطِيرٌ سَحَابُهَا[2]

(١) فتهلك، قال المرصفى. «يريد تضل» والصواب: بيض القملة، والجمع صئبان.
(٢) خـدارية. وصف للمـة، وهى شـدة السـواد، والشـرية: النخلة تنبت مـن النواة، والفـردة: المنفـردة (المرصفى).

بابـ

[لقيس بن عاصم المنقرى]

قال رجلٌ من المتقدِّمين، وهو قَيْس بن عاصمٍ المِنْقَرِىُّ:

أَيَا ابْنَةَ عبدِ اللهِ وابْنَةَ مالك ... ويا ابْنَةَ ذى البُرْدَيْنِ والفرَسِ الوَرْدِ[1]
إذَا مَا أصبْتِ الزَّادَ فالْتَمسى له ... أَكيلاً فإنِّى غَيْرُ آكله وَحْدى
قَصيًّا كَرِيمًا أو قَرِيبًا فإننى ... أَخَافُ مَذَمَّات الأَحَاديث من بَعْدى
وإنِّى لَعَبْدُ الضَّيْفِ مادامَ ثَاوِيًا ... وما مِنْ خِلاَلِى غيرَهَا سِيمَةُ العَبْدِ

«غيرَها» استثناءٌ مقدَّم. وقد مضَى تفسيرُه.

وقوله: «قَصيًّا كريمًا» من طَرِيف المَعانى، وذلك أنه لم يَحْتَجْ إلى أن يَشترطَ فى نسبْته الكرَمَ، لأنه قد ضَمِنَ ذلك، واشترط فى القَصِىِّ أن يكون كريمًا، لأنه كَرِه أن يكونَ مُوَاكِلُه غيرَ كَرِيمٍ.

[لجرير يهجو بنى هزان]

وهذا ليس من البابِ الذى ذَكَره جريرٌ، حيثُ يقولُ فى هجائه بنى هِزَّانَ:

ضَيْفكُمْ جَائعٌ إذْ لم يَبِتْ غَزِلا ... وجَارُكُمْ يَا بَنِى هِزَّانَ مَسْرُوقُ
رأيتُ هِزَّانَ فى أَحْرَاحِ نِسْوَتِهَا ... رُحْبٌ وهِزَّانُ فى أخلاقِهَا ضِيقُ

[يحيى بن نوفل يهجو]

وقال آخرُ من المُحْدَثينَ، وهو يحيى بنُ نَوْفَلٍ، أَنشدَه دِعْبِل:

كنتُ ضَيْفًا بِبَرْمَنَا يَا لعبْد ... اللهِ والضَّيْفُ حقُّهُ معلومُ
فانْبَرَى يَمْدحُ الصِّيَامَ إلى أَنْ ... صُمْتُ يومًا ما كنتُ فيه أَصومُ
ثم أَنْشَا يَسْتَامُ بِرذَوْنِى الوَرْ ... دَ مُلِحًّا كمَا يُلِحُّ الغَرِيمُ

[قال الأخفش: يُرْوَى «بِرذَوْنِى الزَّرْدَ» وهو الأصفرُ]

ولَعَمْرِى إنَّ ابْنَ قَيْلَةَ إذْ يَسْتَامُ بِرْذَوْنَ ضَيْفِه لَلَئيمُ

---

(١) البردان: ثوبان لبسهما عامر بن أحيمر فى مجلس النعمان بن المنذر. والورد، لون بين الحمرة والصفرة.

[لأبى دلامة بن الجون]

وقال رجل[1]، أَنْشَدَنيه السِّجِسْتانِىُّ، يَقُولُه لابن دَعْلَجٍ، وكان ابنُ دَعْلَجٍ يَتَوَالَى بنى تَمِيمٍ:

إذا جئتَ الأَميرَ فقل سَلامٌ … عليكَ ورحمةُ اللهِ الرحيمِ
وأَمَّا بَعْدَ ذاكَ فلى غَرِيمٌ … منَ الأعْراب قُبِّحَ مِن غَرِيمِ!
لَزُومٌ ما عَلِمْتُ بِبابِ دارى … لُزُومَ الكَهْفِ أصحابُ الرَّقِيمِ
لَهُ مائةٌ علىَّ ونصفُ أُخْرَى … ونصفُ النِّصْفِ فى صَكٍّ قَدِيمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكنْ … حَبَوْتُ بها شُيوخَ بَنِى تَمِيمِ

* * *

روى[2] أبو الحسن:

أَتَوْنىَ فى العَشِيرَةَ يسألونى … ولم أَكُ فى العَشِيرة بالمليمِ

قال أبو الحسن: لم يَعْرِفْ أبو العباس هذا البيتَ الأَخيرَ، وهو صحيحٌ.

* * *

وجاورَ قَيسُ بنُ عَاصِمِ بن سنَان بنِ خالد بن مِنْقَرِ بنِ عُبيدٍ تاجراً خمَّاراً، فشرب شرابَهُ، وأَخَذَ متاعَه، ثم أَوْثَقَهُ، فقال: افْدِ نَفْسَك. وقال فى ذلك:

وتَاجِرٍ فَاجِرٍ جاءَ الإِلَه بهِ … كأَنَّ عُثْنُونَهَ أَذْنابُ أَجْمَالِى

قال ذلك، لأن ذَنَبَ البعير يَضْرِبُ إلى الصُّهْبَةِ، وفيه استواءٌ، وهو يُشْبِه اللِّحْيَةَ.

[للنمر بن تولب]

وقال النَّمرُ بنُ تولَبٍ:

إذا كنتَ فى سَعْدٍ وأُمُّكَ منْهمُ … غَرِيبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ منْ سَعْد
فإنَّ ابن أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إنَاؤُهُ … إذَا لم يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدِ

(١) قال المرصفى: «هو أبو دلامة بن الجون».
(٢) ر: «زاد».

[قيس بن عاصم وبنو منقر]

وَاسْتعْمَلَ رسولُ الله ﷺ قَيْسَ بنَ عاصمٍ على صدقات بنى سعدٍ، فتُوفِّى رسولُ الله ﷺ، فَقَسَمَهَا قيسٌ بعدُ فى بَنِى مِنْقَرٍ، وقال:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى قُرَيْشًا رسالةً ... إذا مَا أَتَتْهَا مُحْكَمَاتُ الوَدَائعِ

حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ فى العامِ مِنْقَرًا ... وَأَيْأَسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامعِ

[من أخبار أبى خراش الهذلى وشعره]

وجاور عُرْوَةُ بن مُرَّةَ أخو أبى خِراشٍ الهَذَلِىِّ ثُمالَةَ من الأَزْدِ، فجلس يومًا بفناء بيته آمنًا لا يخاف شيئًا، فاستدبره رجلٌ منهم من بنى بَلاَّلٍ بسهم، فقَصَمَ صُلْبَهُ، ففى ذلك يقولُ أبو خِراشٍ:

لَعَنَ الإِلَهُ وُجُوهَ قَوْمٍ رُضَّعٍ ... غَدَرُوا بعُرْوَةَ من بنى بَلاَّلِ

وأُسِرَ خِرَاشُ بن أبى خِرَاشٍ، أَسَرَتْهُ ثُمالَةُ، فكان فيهم مُقيمًا، فدعا آسِرُهُ يومًا رجلا منهم للمنادمة، فرأى ابنَ أبى خِرَاشٍ مُوثَقًا فى القدِّ، فَأَمْهَلَ حَتَّى قَامَ الآسِرُ لحاجة، فقال المَدْعُوُّ لابن أبى خِرَاشٍ: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا ابنُ أبى خِرَاشٍ، فقال: كيفَ دليلاك؟ قال: قَطَاةٌ، قال: فَقُمْ فاجْلِسْ وَرَائى، وألقَى عليه رداءَهُ، ورَجَعَ صاحبُهُ، فلمَّا رأَى ذلك أصْلَتَ بالسَّيْف، وقال: أسيرى، فَنَثَل[1] المُجيرُ كنانَتَهُ، وقال: والله لأرمينَّكَ إنْ رُمْتَهُ، فإنى قد أَجَرْتُهُ، فَخَلَّى عنه، فجاء إلى أبيه، فقال له: مَنْ أَجارَكَ؟ فقال: والله ما أَعْرِفه، فقال: أبو خِرَاشٍ، وقال الرُّواةُ: لاَ نَعْرِفُ أحدًا مَدَحَ مَنْ لا يَعْرِفُ غيرَ أبى خِرَاشٍ:

حَمِدْتُ إلَهى بعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا ... خراش وبعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فَوَاللهِ لاَ أنسَى قَتِيلا رُزِيتُهُ ... بجانب قَوْسَى مامَشَيْتُ على الأرضِ

بَلَى إنَّها تَعْفُو الكلُومُ وإنَّمَا ... يُوكَّلُ بالأدنى وإنَّ جَلَّ ما يَمْضِى

ولم أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عليه رداءَهُ ... عَلَى أنه قد سُلَّ عن مَاجِدٍ مَحْضِ

[ولم يَكُ مَثْلُوجَ الفُؤَادِ مُهَيَّجًا ... أضاع الشَّبَابَ فى الرَّبِيلةِ والْخَفْضِ[2]

(١) نثل كنانته: استخرج ما فيها من النبل.

(٢) البيتان بين علامتى الزيادات لم يردا فى نسخة الأصل، وهما فى ر، س. والربيلة: السمن. والخفض: الدعة ولين العيش.

ولكنه قـد لوَّحَـتـهُ مُحَـامصٌ　　على أنه ذُو مـرَّة صَـادقُ النَّهْض]
كـأنَّـهُمُ يَسْـعَـونَ فى إثْـرِ طَائر　　خفيف المُشَاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذى نَحْضِ[1]
يُبَـادرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فـهـو مُهَـابذٌ　　يَحُثُّ الْجَنَـاحَ بالتَّبَسُّطِ والـقَـبْضِ

قوله:

* قَبَحَ الإلَهُ وُجُوهَ قَوْمٍ رُضَّعٍ *

فهـو جماعةُ راضعٍ. وقـومٌ يقولون: هو توكيـدٌ للئيم كما يقـولون: جائعٌ نائعٌ، وحَسَنٌ بَسَنٌ، وعَطْشَان نـطْشَان، وأجمعُ أكْتَعُ. وقـومٌ يقولون: الراضعُ هو الذى يَرتَضِعُ من الضَّرْعِ لِئَلاَّ يَسْمعَ الضَّيفُ أو الجارُ صوتَ الْحَلَبِ فَيَطْلُبَ منه.

وتصديقُ ذلك ما أنشدَنَاه أبو عثمانَ عَمْرُو بن بَحْرٍ لرجلٍ من الأعراب يَنْسُبُ ابنَ عَمٍّ له إلى اللُّؤم والتَّوَحُّش:

أَحَبُّ شـىء إليـه أَنْ يكـونَ له　　حُلْقُـومُ وَادٍ له فـى جَـوْفـه غـارُ
لا تَعْـرفُ الرِّيحُ مَسَاهُ ومُصْبَحَهُ　　ولا يُشَـبُّ إذا أَمْـسَى لَـه نارُ
لا يَحْلبُ الضَّرْعَ لُؤمًا فى الإناء ولا　　يُرَى له فى نَـواحى الصَّحْنِ آثارُ

وقوله: كـيفَ «دلِّيلاكَ» فـهى كثـرةُ الدِّلاَلَة، و«الفعِّـيلى» إنما تُستـعمل فى الكثرة، ويقال: القتِّيتَى لكثرة النَّميمة، ويقال: الهجِّيرَى لكثرة الكلمة المتردِّدَة على لسـان الرجلِ، يقـالُ: ذكْرُكَ هـجِّيـرَاى أى هو الذى يَجْـرى على لسـانى، وفى الحديث: «كـان هجِّيرَى أبى بكر الصِّـدِّيق رحمه الله بلا إلَه إلا الله» ويقـال: كان بينهم رِمِّيًّا، لكثرة الرَّمْى، وكذلك كلُّ ما أَشْبَه هذا.

وقوله: «بجانب قَوْسَى» فهو بلد تَحلُّه ثُمَالَة بالسَّرَاة.

وقـولُه: «بلَى إنَّها تَعْفُـو الكلُومُ» فهى الجـراحُ والآثـارُ التى تُشـبهها، قال جريرٌ:

تلْقَى السَّلِيطىَّ والأبطالُ قـد كُلِموا　　وَسْطَ الرِّجَالِ سليمًا غير مَكْلُومِ[2]

---

(١) المشاش: رءوس العظام.
(٢) السليطى: نسبة إلى سليط، وهو كعب بن الحارث بن يربوع.

وينشد: «وَسْطَ الرِّجَال»، و«تَعْفُو» تَدْرُسُ.

وقولُه: «عَظْمُهُ غيرُ ذِى نَحْضٍ». النَّحْضُ: اللَّحْمُ، يقالُ: يأكلُ ويُرَوِّى الرِّجال مَحْضًا.

وقولُه: «فهو مُهَابِذٌ» يقولُ: مجتهدُ. وَهُذَيْلٌ فيها سَعْىٌ شديدٌ، وفى جماعةٍ من القبائلِ التى تَحُلُّ بأَكْنَافِ الحجاز.

[من أخبار الحطيئة وذكر المختار من شعره]

ولقى الزِّبْرِقَانُ بنَ بَدْرٍ - وهو قاصدٌ بصَدَقَات قومه إلى أبى بكر الصديق رحمه الله - الْحُطَيْئَةَ فى طريقه، فقال له الزِّبْرِقَانُ: مَنْ أنت؟ فقال: أنا أبو مُلَيْكَة. أَنَا حَسَبٌ مَوْضُوعٌ، فقال له الزِّبْرِقَانُ: إِنِّى أُرِيدُ هذا الوَجْهَ، ومالَكَ مَنزلٌ، فامْضِ إلى منزلى بهذا السَّهْمِ، فَسَلْ عن القَمَرِ ابن القَمَرِ، وكُنْ هناك حَتَّى أَعُودَ إليك، فَفَعلَ، فأَنْزَلُوه وأكرموه، فأقام فيهم فحسَدَهُمْ[1] عليه بَنُو عَمِّهم مِنْ بَنى قُرَيْعٍ، وذلك أَنَّ الزِّبْرِقَانَ من بنى بَهْدَلَةَ بن عَوْف بن كعبِ بن سعد بن زيد بن مَنَاة بن تَميم، وحاسدُوهُ بَنُو قُرَيْعِ بن عوف بن كعب بن سعد، ولم يَكُنْ لعَوْفٍ إلاَّ قُرَيْعٌ وعُطَارِدٌ وبهْدَلَةُ. وكان الذين حَسَدُوه منهم بنو لأْىِ بنِ شَمَّاس بن أَنفِ النَّاقة بن قُرَيعٍ فَدَسُّوا إلى الحُطَيْئَة: أن تحَوَّلْ إلينا نُعطكَ مائةَ ناقة، ونَشُدُّ كلَّ طُنُبٍ[2] من أَطْنَابِ بيْتكَ بجُلَّةٍ[3] بَحْوَنَة، قال: فأَنَّى لِى بذلك! قالوا: إنهم يريدونَ النُّجْعَة فإذا احتَملُوا فَتَخَلَّفْ عنهم، ثم دسُّوا إلى امرأة الزِّبرقانَ مَنْ خَبَّرَ بأنَّ[4] الزِّبْرقَانَ إنما قَدَّمَ هذا الشَّيْخَ ليتَزَوَّجَ ابنته، فقَدَح ذلك فى قَلْبِهَا، فلَمَّا تحمَّل القومُ[5] تخلَّفَ الحُطَيْئَةُ، فاحتَمَلَهُ القُرَيْعيُّونَ، فَبَنوْا لَهُ ووَقَوْا له، فلما جاء الزِّبْرقَانُ صارَ إليهم، فقال: رُدُّوا عَلَىَّ جَارِى، فقالوا: ليس لَكَ بجَارٍ وقد طَرَحْتَه، فذلك حيثُ يقولُ[6] الحُطَيْئَة:

(١) س: «فحسده».

(٢) الطنب: حبل تشد به الخيمة.

(٣) الجلة: وعاء من خوص يوضع فيه التمر.

(٤) س: «أن الزبرقان».

(٥) س: «احتمل القوم».

(٦) س: «قول الحطيئة».

وإنَّ التى[1] نَكَّبْتُهـا عن مَعاشـرٍ عَلَيَّ غضَابٍ أَنْ صَـدَدْتُ كما صَدُّوا[2]
أَتَتْ آلَ شـمَّـاسِ بـن لأْى وإنما أَتاهُمْ بهـا الأَحْـلاَمُ والحَسَبُ العِـدُّ
فـإنَّ الشـقىَّ مَنْ تُعَـادى صُـدُورُهُمْ وذا الجَدِّ مَنْ لأَنُوا إليـه ومَنْ وَدُّوا[3]
يَسُـوسُـونَ أحـلامًـا بَعيـدًا أَنَاتُهَـا وإن غَـضبُـوا جـاء الحفـيظَةُ والجِـدُّ
أَقِلُّـوا عليـهم لاَ أَبَـا لأبيـكُمُ منَ اللَّوْم أَوْسُدُّوا المكَانَ الذى سَدُّوا
أَولئك قَـومٌ إنْ بَنَوْا أَحْـسَنُوا البِنَا وإن عاهدوا أَوْفَـوْا وإن عَقَـدُوا شَدُّوا
وإن كـانت النَّعْمَـاءُ فيـهم جَزَوْا بهـا وإن أَنعَـمُـوا لا كَـدَّرُوها ولاَ كَـدُّوا
وإن قـال مَـوْلاَهُمْ على جُلِّ حَـادث من الدَّهْر رُدُّوا فَضْـلَ أَحْلامكم رَدُّوا
وتَعْـذُلُنِى أَفْنَاءُ سَـعْـدٍ عليـهمُ ومـا قلتُ إلاَّ بالذى[4] عَلِمَتْ سعدُ

قولُه «جُلَّةٌ بَحْـوَنَةٌ»، أى ضَخْمَةٌ، يقـالُ ذلك للناقَةِ والنَّخلة إِذَا استَـفْحَلَتْ وطالَتْ.

وقولُه «نكَّبْتُها» يقولُ: عَدَلْت بها.

وقولُه: «والحَسَبُ العِدُّ» معناه: الجلـيلُ الكثير، وأَصلُ ذلك فـى الماء: يقال بِئْرٌ عِدٌّ، إذا كانت ذات مادة من العيونِ لا تَنْقَطِعُ، وكلُّ ماءٍ ثابتٍ فهو عِدٌّ.

وقولُه:

* يَسُوسُونَ أحلامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا *

يقولُ: ثقـالٌ لا يُبْلَغُ آخِرُها، وأصـلُ الأنـاةِ من التـأنى والانتـظار، يقولُ: لا يُبْلَغُ آخرُها فتُسَفَّهَ.

وقولُه:

* أُولئك قَوْمٌ إنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا البُنَا *

وإِن شئتَ قلتَ «البِنا» فهما مقصـورانِ، يقال: بَنَى بِنيةً وبُنيةً فجَمْعُ بِنيةٍ بِنًى

(١) س: «الذى» تحريف.
(٢) نكبتها: عدلت بها.
(٣) س: الحظ والبخت.
(٤) س: «بالتى».

وجَمعُ بُنيةٍ بُنًى فبِـنيَةٌ وبِنًى ككسْرَة وكسَر، وبُنيةٌ وبُنًى كظُلْمـة وظُلَمٍ، فأمَّا المصدَرُ مِنْ «بنْيتُ فممدودٌ»، يقالُ: بنَيْتُه بِنَاءً حسنًا، وما أَحْسَنَ بِنَاءَكَ.

وقولُه: «وإن عاهدوا أَوْفَوْا» أَوفى، أَحْسَنُ اللغتـين، يقالُ وَفَى وأَوْفَى. قال الشاعرُ ـ فجمع [بين[1]] اللغتين:

أَمَّـا ابن بِيض فـقد أَوْفَى بـذمَّتـه ... كما وفَى بِقلاص التَّجْمِ حادِيهَا[2]

وفى القرآن: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بعَهْده﴾[3] وقال الله تبـارك وتعالى: ﴿وأَوْفُوا بعَهْدِ الله إذَا عَاهدْتُم﴾[4] وقال عزَّ وجَلَّ: ﴿والموفُونَ بعَهْدهِمْ إذَا عاهَدوا﴾[5].

فهذا كله على «أَوْفَى». وقـال رسولُ الله ﷺ فيما رُوِىَ مِنْ أنه قَـتَلَ مسلِمًا بِمُعَاهَدٍ، وقال: «أنا أَوْلَى مَنْ أَوْفَى بذِمَّته».

وقال السَّمَوءَلُ فى اللغة الأخرَى:

وفَـــــيْتُ بـأَدْرُع الكِـنْدِىِّ إنِّـى ... إذا عـاهـدتُ أقـوامًـا وَفَـيْتُ[6]

وقال المُكَعْبرُ الضبِّىُّ:

[قال أبو الحسن: حِفظِى «المُكَعْبِرُ»]:

وَفَـيْتُ وَفَـاءً لم يَرَ الـناسُ مِـثْلَه ... بتَـعْشَارَ إذْ تَحْـبُو إلىَّ الأكَـابِرُ[7]

وقولُهُ:

وإنْ كانت النَّعْمَاءُ فـيهم جَزَوْا بِهَا ... وإنْ أَنْعـمُوا لاَ كَدَّرُوهَـا ولاَ كدُّوا

يقولُ ما قالَ جريرٌ مِثْلَه:

وإنِّى لأَسَّـتَحْـيِى أخِى أَنْ أَرَى لَهُ ... علىَّ مـن الحقِّ الَّذِى لا يَرَى لِيَـا

يقولُ: أسَّتَحْيِى أَنْ أَرَى نعمتَه علىَّ ولاَ يرَى على نفسِه لى مِثْلها.

---

(1) تكملة من س.

(2) ابن بيض، بفتح الباء وكسرها: رجل تاجر مكثر، كـان لقمان بن عاد يجيـزه على خراج يؤديه إليه كل عام، فلما حضرته الـوفاة قال لولده: لا تجاورن لقمان، وسر بمالك وأهلك، فإذا صـرت إلى عقبة كذا فضع حقه عليها، فجاء لقمان فأجده وانصرف. حكاه المرصفى عن أبى زيد.

(3) سورة آل عمران ٧٦.

(4) سورة النحل ٩١.

(5) سورة البقرة ١٧٧.

(6) س: «إذا ما خان أقوات وقيت».

(7) تعشار: موضع بالدهناء.

وقـولهُ: «على جُلِّ حادثٍ» فـهـو الجليلُ من الأمـر، ويقال: فـلان يُدْعَى للجُلَّى، قال طَرَفَةُ:

* وإنْ أُدعَ لِلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا *[1]

وفيهم يقولُ الحطيئةُ[2]:

لقـــد مَـــرَيْتُكمُ لو أَنَّ درتَّـكُمْ يومًا يَجيءُ بهـا مَسْحِى وإبْسَاسِى
لَمَّا بَدَا لِىَ مـنكم غَـيْبُ أَنْفُـسكم ولم يَكَنْ لجِـرَاحِى فـيكُمُ آسِى
أَزْمَـعْتُ يَأْسًـا مُـبِينًا منْ نَوالَكُمُ ولا تَرَى طَارِدًا لِلْحُـرِّ كَـاليَـاسِ
مـا كـان ذَنْبُ بَغِـيضٍ لاَ أبا لَكُمُ فى بَائسٍ جـاءَ يَحْدُو آخـرَ النَّاسِ
جَـارٍ لقَــومْ أطَالُوا هُونَ مَـنْزِله وغـادَرُوهُ مُـقِـيـمًا بينَ أَرْمَـاسِ
مَلُّـوا قَـــرَاهُ وهَرَّتْهُ كـــلاَبُـهُمْ وجَـــرَّحُـوهُ بِأَنْـيَـابٍ وأَضْـــرَاسِ
دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لـبُـغْـيَـتِـهَـا واقْعُـدْ فإنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِى
مَنْ يَفْـعلِ الخَيـرَ لا يَعْدَمْ جَـوَازِيَهُ لا يَذْهَبُ العُـرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

قولُه: «لقد مَرَيْتُكمُ» أصل المَرْىِ المَسْحُ، يقـال مَرَيْتُ الناقـةَ، إذا مسـحت ضَرْعَـها لتَـدُرَّ، ويقالُ: مَرَى الفـرسُ والناقةُ إذا قـام أحدُهما علـى ثلاثٍ ومسَحَ الأرضَ بيده الأخرَى، قال الشاعرُ:

إِذَا حُطَّ عَنْهَا الرَّحْلُ أَلْقَتْ بِرأْسِـهَا إلى شَذَبِ العِيدَانِ أَوْصَفَنَتْ تَمْرى[3]

وهذا مِن أَحْسَنِ أوصافِها.

وقال بعض المحْدَثِينَ يَصِفُ بِرْذَوْنًا بحسن الأدَب[4]:

وإذا احْـتَـبَى قَـرَبُوسُـهُ بِـعِنَانِهِ عَلَكَ اللِّجَامَ إلى انْصِرَافِ الزَّائِرِ[5]

---

(١) تمامه:

* وإن تَأْتك الأعْدَاءُ بالجهدِ فاجْهَدِ *

(٢) كلمة «الحطيئة» ساقطة من س.

(٣) شذب العيدان: ما تفرق منها، الواحد شذبة.

(٤) زيادات ر: «الشعر لمحمد بن يزيد» من ولد مسلمة بن عبد الملك، يصف فرسه، وقبله:

عَـوَّدْتُهُ فـيـمـا أزور حـبـابـى إهمـالَـهُ وكَـذاك كلُّ مـخـاطِرِ

(٥) القربوس: حنو السرج، العنان: سير اللجَام الذى تمسك به.

ويقال: مَرَاهُ مائةَ سوط ومائةَ درهمٍ، إذا أوْصَلَ ذلك إليه، ولـ «مَرَاهُ» موضعٌ آخرُ، ومعناه مَرَاهُ حقَّهُ، إذا دَفَعَهُ عنه ومنعَهُ منه، وقد قُرِئ ﴿أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[1] أى تَدْفَعُونَهُ، و«على» فى موضع «عن» قال العَامِرِىُّ[2]:

إِذَا رَضِيَتْ علىَّ بَنُو قُشَيْرٍ لعَمْرُ اللهِ أعْجَبَنِى رِضَاهَا

وبنو كعْبِ بن رَبيعةَ بن عامرٍ يقولون: «رضى الله عليك».

وأمَّا الإبْسَاسُ فأن تَدْعُوَ الناقةَ باسمِهَا، أوْ تُلَيِّنَ لها الطريقَ إلى الحَلَب، بقول أو مَسْحٍ أو ما أشبهَ ذلك، فإذا كانت الناقةُ تَدُرُّ على الدُّعاء والمَلَقِ قيل: ناقةٌ بَسُوسٌ، وذلك مِن صفاتِها فى حُسْنِ الخُلُقِ.

وقوله:

* ولم يكَنْ لجِرَاحِى فيكُمُ آسِى *

يقول: مُدَاوٍ، الآسِى: الطبيبُ، قال الفَرَزْدَقُ يَصِفُ شَجَّةً:

إِذَا نَظَرَ الآسُونَ فيها تَقَلَّبَتْ حَمَالِيقُهُمْ مِنْ هَوْلِ أنْيَابِهَا العُصْلِ[3]

والإساء الدواءُ، ممدودٌ، وقال الحطيئةُ:

هُمُ الآسُونَ أمَّ الرَّأْسِ لَمَّا تَوَاكَلَهَا الأَطِبَّةُ والإِسَاءُ

فأَمَّا الأسى فمقصورٌ، وهو: الحُزْنُ، ومِنْ ذلك قولُ الله جلَّ ثناؤه: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[4] وقال العَجَّاجُ:

يا صَاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا قال نعم أعرفه، وأبلسا[5]

* وانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرطِ الأسَى *

فإذا قلتَ: «الأُسَى» قَصَرْتَ أيضًا، وهو جَمْعُ أُسْوة، يقالُ فلانٌ أُسْوَتى وقُدْوَتى، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُم فى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[6].

---

(١) سورة النجم ١٢.

(٢) زيادات ر: «هو القحيف العقيلى».

(٣) العصل: جمع أعصل، وهو المعوج من كل شىء فيه صلابة.

(٤) سورة المائدة ٦٨.

(٥) أبلسا، من الإبلاس وهو الهم والحزن.

(٦) سورة الأحزاب ٢١.

والرَّمْسُ: التُّراب، يقال: رُمِسَ فلانٌ فى قبره.

* * *

وأشعارُ الْحُطيئة فى هذا الكتاب كثيرةٌ، ولولاَ أَنَّهَا معروفةٌ مشهورةٌ لأَتَيْنا على آخرِها، ولكنَّا نَذْكُرُ منها شيئًا مختاراً.

فمن ذلك قولُه:

جَزَى الله خيرًا والجَزَاءُ بكَفِّه ... عَلَى خَيْرِ ما يَجْزِى الرجالَ بَغيضَا
فلو شاء إذ جئناهُ ضَنَّ فلم يُلَمْ ... وصادفَ مَنَّا فى البلادِ عَرِيضًا[1]

يقولُ: كَثُرتْ مَحَاسنُه حتى كُذِّبَ ذَامُّهُ، فاستَغْنَى عن أن يُكثِّرَ مادحه، ثقةً بأنَّ هاجيَه غيرُ مُصَدَّقٍ، فاعْتَبِرْ هذا الكلامَ، فإنك تجدُه رأسًا فى بابه.

ومن ذلك قولُهُ:

وإنِّى قد عَلِقْتُ بحَبْلِ قَوْمٍ ... أعانَهُمُ على الحسَبِ الثَّرَاءُ
إذَا نَزَلَ الشِّتَاءُ بجَارِ قَوْمٍ ... تَجَنَّبَ جَارَ بَيْتِهِمُ الشتاءُ
هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرأسِ لَمَّا ... تَوَاكَلَهَا الأَطِبَّةُ والإسَاءُ

ثم قال يخاطبُ الزِّبْرِقَان ورَهْطَهُ:

ألم أكُ نَائيًا فَدَعَوْتُمُونى ... فجاءَ بىَ المواعِدُ والدُّعاءُ
فلمَّا كنتُ جارَكُمُ أَبَيْتُمْ ... وشَرُّ مَواطِنِ الْحَسَبِ الإباءُ
ولَمَّا كنتُ جارَهُمُ حَبَوْنِى ... وفيكم كانَ لَو شئتمْ حَبَاءُ
فلمَّا أَنْ مدحتُ القَوْمَ قلتم ... هجوتَ، وهل يَحِلُّ لِىَ الهِجَاءُ!
ولم أَشْتِمْ لكم حَسَبًا ولكنْ ... حَدَوْتُ بِحَيْثُ يُسْتَمَعُ الْحُدَاءُ

ويُرْوَى أَنَّ الْحُطَيْئَةَ ـ واسمه جَرْوَلُ بن أَوْسٍ ويُكْنَى: أبا مُلَيْكَةَ ـ مرَّ بِحَسَّانِ ابن ثابتٍ وهو يُنْشِدُ:

---

(١) زيادات ر: «كذا وقعت الرواية «منا» والصواب: «منأى»، أى بعدا، مأخوذ «نأيت» إذا بعدت. ومنه النأى».

لنا الجفَنَاتُ الغُرُّ يَـلمَعنُ بالضُّحَى   وأسْـيَـافُنَا يَقْطُرْنَ من نَجْـدَةٍ دَمَـا

[ش: أدخلَه سيبويهِ رحمه الله على أَنَّ «الجَفَنَات» من الجَمْعِ الكثيرِ].

فالتفت إليه، فقال: كيفَ تَرَى فقال: ما أَرَى بَأْسًا، قال حَسَّانُ: انظرُوا إلى [هذا[1]] الأعرابىِّ يقولُ: ما أَرَ بـأسًـا، أبـو مَـنْ؟ قال: أبو مُـلَيْكَةَ، قـال حسان: ما كنتَ علـىَّ أهونَ منكَ حيثُ اكْتَنَيْتَ بـامرأةٍ! ما اسـمُكَ؟ قال: الْحُطَيْئَةُ، قال: امْضِ بسلاَمٍ.

وكان الْحُطَيْئَةُ فى حَبْسِ عُمَرَ بن الخطاب رحمه الله، باستدعاء الزِّبرْقَانِ عليه فى هذه القصة، ولعُمَرَ يقولُ:

مـاذا تقـولُ لأِفْـراَخٍ بذى مَـرَخٍ   حُمْرِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجَرُ[2]

أَلْقَيْتَ كَـاسِبَـهمْ فى قَعْرِ مُـظْلِمَةٍ   فاغْـفِرْ عليـكَ سلامُ اللهِ يا عُـمَرُ

أَنْتَ الإمامُ الذى مِنْ بَعْدِ صـاحِبه   ألقْت إليك مَـقاليـدَ النُّهَى البَشَـرُ

مـا آثَرُوكَ بهـا إِذْ قَـدَّمـوكَ لهـا   لكنْ بكَ اسْـتَأْثَرُوا إذْ كـانت الأَثَرُ

ويُروى عن أبى زيد الأنصارىِّ أنه قال: ويُروَى «الأُثَرُ» والواحدةُ أُثْرَةٌ وإِثْرَةٌ، ومعناه الاستئثارُ.

فَرَقَّ له عمر فأخرجه، فَيُرْوَى أَنَّ عمرَ رحمه الله دَعَا بكرسىٍّ فجلسَ عليه، ودَعَا بالْحُطَيْئَة فأجلسـه بيَن يديه، ودَعا بإشْفى وشَـفْرَةٍ[3]، يُوهِمُـه أنه على قَطْعِ لسانه، حتى ضَجَّ من ذاكَ، فكان فيما قال له الْحُطَيْئَةُ: يا أَميرَ المؤمنين، إنى والله قَد هَجَوْتُ أَبى وأُمِّى، وهَجَوْتُ امرأتى، وهَجَوْتُ نفسى. فَتَبَسَّمَ عمرُ رحمه الله، ثم قال: فما الذى قُلتَ؟ قال: قلتُ لأبى وأمِّى ـ والمخاطَبَةُ للأُمِّ:

ولقـد رأيتُكِ فى النسَـاءِ فَسُـؤْتِنِى   وأبَا بَنِيـكِ فـسـاءنِى فـى المَجْلِسِ

---

(١) تكملة من س.

(٢) ذو مرخ: واد بالحجاز.

(٣) الإشفى: مثقب للأساكفة يثقبون به الجلد، والشفرة: السكين العريضة.

وقلتُ لها:

تنحَّىْ فَاجلسي منِّي بَعيدًا ... أَرَاحَ اللهُ منك العالَمينَا
أغِربالا إذا استُودعتِ سِرًّا ... وكانُونًا علَى المُتحَدِّثينا[1]

وقلتُ لامرأتى:

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوِى ... إلى بيتٍ قَعِيدَتُهُ لَكاَع

فقال له عمرُ رحمه الله: فكيف هَجَوْتَ نفسكَ؟ فقال: اطَّلَعْتُ فى بئرٍ فرأيتُ وجهى فاستقبحتُه، فقلتُ:

أَبَتْ شَفتاىَ اليومَ إلاَّ تَكلُّمًا ... بسُوء فما أَدرى لمَنْ أَنَا قَائلُهْ
أَرى لِيَ وجْهاً قَبَّحَ اللهُ خَلْقَه ... فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ

[المثنى بن معروف مع أبى جبر الفزارى]

ونزَلَ أعرابىٌّ من طَيِّئ، يُقالُ له المُثَنَّى بنُ معروفٍ بأبى جَبْرٍ الفَزارىِّ، فسمعه يومًا يقول: والله لوَدِدْتُ أَنى أَبيتُ الليلةَ خاليًا بابنة عبد الملك بنِ مَرْوَانَ، فقال له المثَنى: أَحلالا أم حرامًا؟ فقال: ما أُبَالِى، فَوَثَبَ عليه فضرب رأسَه برِحَالةٍ[2]، ثم انتقلَ وهو يقولُ:

أَبْلِغْ أَمِيرَ المؤمنيَن رسالة ... عَلَى النأْىِ أَنِّى قد وَتَرْتُ أبَا جَبْرِ
كَسرتُ على اليافوخِ منه رِحَالة ... لنَصْرِ أميرِ المؤمنينَ وما يَدْرِى
على غيرِ شىءٍ غيرَ أَنِّى سَمعتُهُ ... بَنَى بنساءِ المسلميَن بلا مَهْرِ

[من أخبار الحجاج]

ويُرْوَى: أَنَّ الحَجَّاج [بن يوسفَ[3]] جلسَ لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشْعَث، فقامَ رجلٌ منهم فقال: أصلحَ اللهُ الأَميرَ! إنَّ لِىَ عَليك حَقًّا، قال: وما حَقُّكَ؟ قال: سَبَّكَ عبدُ الرحمن يومًا فرددتُ عليه، قال: مَنْ يعلمُ ذاكَ؟

---

(١) زيادات ر: «قوله: كانونا، قيل: الكانون: التنمام، وقيل: الثقيل، وقيل: الذى إذا دخل على قوم كنوا حديثهم منه، وقيل: هو المصطلى، وقيل: هو كانون النار؛ لأنه... ويحرقهن».

(٢) الرحالة: ثوب يغشى بالجلد.

(٣) تكملة من س.

قال: أَنْشُدُ اللهَ رجلاً سمعَ ذاكَ إلاَّ شَهِدَ به، فقام رجلٌ من الأَسَرَاء[1] فقال: قد كان ذاكَ أَيُّهَا الأَمير، قال: خلُّوا عنه، قال للشاهد: فما منعك أن تُنْكِر كما أَنْكَرَ؟ قال: لقَديم بُغْضى إِيَّاكَ، قال: ويُخَلَّى عنه لصِدْقِه.

* * *

وقال عمرُ بن الخطاب لرجلٍ ـ وهو أبو مريم السَّلُولىُّ ـ[2]: والله لا أُحبُّكَ حتَّى تحبَّ الأرْضُ الدَّمَ، قال: أَفَتَمْنَعُنى حقًّا؟ قال: لا، قال: فلا بأس، إنَّمَا يأسَفُ على الحُبِّ النساءُ.

* * *

وقال الحَجَّاجُ لرجلٍ من الخوارج: والله إنِّى لأُبْغِضُكُم، فقال له الخارجىُّ: أدْخلَ اللهُ أَشَدَّنَا بُغْضًا لصاحبه الجنَّة.

* * *

وأتِىَ الحَجَّاجُ بامرأة من الخوارج، فجعلتْ لا تَنْظُر إليه، وكان يزيد بن أبى مُسْلمٍ يَرَى رأى الخوارجِ ويَكْتُمُ ذاكَ[3]، فَأَقْبَلَ على المرأة فقال: انظُرى إلى الأمير، فقالت: لا أنظر إلى مَنْ لا ينظر اللهُ إليه. فكلَّمها الحَجَّاجُ وهى كالسَّاهِيَة، فقالَ لها يزيد: اسْمَعِى وَيْلَكِ من الأمير! فقالت: بل الويل لك أيها الكافرُ الرِّدِّىُّ!

قال أبو العباس: والرِّدِّىُّ عند الخوارج الذى له عَقْدُهُمْ ويُظهر خلافَه رغبةً فى الدنيا.

* * *

وكان صالحُ بن عبد الرَّحمنِ كاتب الحَجَّاجِ وصاحِبَ دواوينِ العراق. والذى قَلَبَ الدَّواوين إلى العربية، ثم كان على خَرَاجِ العراقِ أيامَ وَلِىَ يزيدُ بن

---

(١) س: «الأسرى».

(٢) زيادات ر: «وهم أبو العباس رحمه الله فى قوله: «أبو مريم السلولى، إنما هو أبو مريم الحنفى؛ وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب، وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب؛ واسم أبى مريم إياس بن صبيح، ثقة كوفى، واسم أبى مريم السلولى مالك بن ربيعة، من الصحابة، روى عنه ابنه يزيد وغيره».

(٣) س: «ذلك».

المُهلَّب [العراق[1]] فأشْجى[2] يزيدَ، وقد كان يرَى رأْى الخوارج فكايَدَهُ يزيدُ بن أبى مُسْلِمٍ مَوْلى الحَجَّاج، فأشارَ على الحَجَّاج أَنْ يأمُرَهُ بقتل جَوَّاب الضَّبِّىِّ، وهو رأسٌ من رءوسِ الخْوارجِ، وقال يَزيدُ: إِنْ فَعَلَ بَرئتْ منه الخْوارجُ وقَتَلَتْهُ، وإِنْ أَمْسَكَ قَتَله الحَجَّاجُ فقتله.

وخُبِّرْتُ أنه قال: والله ما قتلتُه رغبةً فى الحياة، ولكنِّى خِفْتُ يَسْبِى الحَجَّاجُ بَنَاتى، وكان يقول [بَعْدُ[3]]: إِنِّى حينَ أَقْتلُ جوَّابًا لَحَريصٌ على الدنيا، فلما عَذَّبه عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ فى خلافة يزيدَ بنِ عَاتِكَةَ رُمِىَ به على قِمامَةٍ، وهو لِمآبِه[4] فَسُمِعَ يُحكِّمُ عليها[5]، وحكَّمَ مالكُ بن المنذر بن الجارودِ، وهو بآخر رَمَقٍ فى سجن هشام بن عبد الملك.

* * *

ودخلَ يزيدُ بن أبى مُسلمٍ على سليمانَ بن عبد الملك، وكان دَميمًا، فلما رآهُ [سليمانُ[6]] قال: قَبَّحَ اللهُ رجلاً أجرَّكَ رَسَنَهُ[7]، وأَشْرَكَكَ فى أمانته! فقال له يزيدُ: يا أمير المؤمنين، رأيتَنى والأمْرُ لكَ وهو عَنِّى مُدْبِرٌ، ولو رأيتَنى والأمْرُ علىَّ مُقبِلٌ لاَستكبَرْتَ منِّى ما استصغرتَ، واستعظمتَ منِّى ما استحقرتَ، فقالَ: أَتُرَى الحجاجَ استَقَرَّ فى قعر الجحيم بَعْدُ! فقال: يا أمير المؤمنين، لا تَقلْ ذَلكَ [فى الحَجَّاجِ]، فإنَّ الحَجَّاج وطَّأَ لكم المنابرَ، وأذَلَّ لكم الجَبَابرَ، وهو يجىء يومَ القيامةِ عن يمين أبيكَ، وعن يسارِ أخيكَ فحيثُ كانَا كانَ.

(١) تكملة من س.
(٢) أشجاه: أحزنه.
(٣) تكملة من س.
(٤) لمآبه: لعاقبته.
(٥) يحكم، أى يقول بقول الخوارج: لا حكم إلا لله.
(٦) تكملة من س.
(٧) الرسن فى الأصل: الحبل يقاد به البعير، وأجرك: جعلك تجره، والكلام هنا على الكناية.

باب

[من تكاذيب الأعراب]

قال أبو العباس وهذا بابٌ من تكاذيب الأعرابِ.

حدثنى أبو عُمَر الجَرْمِىُّ قال: سألتُ أبا عُبيدةَ عن قول الرَّاجزِ:

أَهَدَّمُوا بيتَكَ لاَ أَبَالَكا وأَنَا أَمْشى الدَّأَلى حَوَالَكا!

فقلتُ: لِمَنْ هذا الشعرُ؟ فقال: [تقولُ العربُ[1]]: هذا يقولُه الضَّبُّ للحِسْلِ، أيَّامَ كانت الأشياءُ تتكلَّمُ.

الدألى: مَشْىٌ كَمشْيِ الذِّئب، يقالُ: هو يَدْأَلُ فى مشيَتِه، إِذَا مَشَى كَمِشْية الذِّئب، من قول امرىءِ القيسِ:

* أَقَبَّ حَثِيثَ الرَّكْضِ والدَّألاَنِ[2] *

ومَنْ قال فى بيت ابنِ عَنَمَةَ الضَّبِّىِّ:

[حَقِيبَةُ رَحْلِها بَدَنٌ وسَرْجٌ][3] تُعَارِضُهُ مُرَبَّبَةٌ دءُولُ

فإنما أرادَ هذا، ومن قال «دَءُولُ» فإنما أراد السُّرعَةَ، يقالُ: مَرَّ يَدْأَل، إذا مرَّ يُسْرِعُ.

وقولُهُ «حَوَالَكَا» يقالُ: هو يطوف حَوَالَهُ وحَوْلَهُ وحَوَالَيْه. ومَنْ قال: «حواليه» بالكسر: فقد أخْطَأَ، وفى القرآن: ﴿**نُودِىَ أَنْ بُورِكَ من فى النَّار ومَنْ حَوْلَهَا**﴾[4] وحَوَالَيْه: تثنيةُ حَوَال، كما تقولُ: حَنَانَيْه، الواحدُ حَنانٌ، قال الشَّاعرُ:

فقالتْ: حَنَانٌ ما أَتَى بكَ هاهُنا أَذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالْحَىِّ عارِفُ

والحَنَانُ: الرحمةُ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا**﴾[5]. وقال الشاعر: [وهو الْحُطَيْئَةُ[6]] لعمرَ بن الخطاب رحمه الله:

---

(١) تكملة من س.

(٢) صدره:

* عَلَى رَبِزٍ يَزْدَادُ عَفْوًا إِذَا جَرَى *

(٣) ما بين العلامتين تكملة من ر.

(٤) سورة النمل ٨.

(٥) سورة مريم ١٣.

(٦) تكملة من س.

تَحَنَّنْ عَلَىَّ هَدَاكَ المَلِيك ... فإنَّ لِكلِّ مَقَامٍ مَقَالاً

وقال طَرَفَةُ:

أبَا مُنْذرٍ أفْنَيْتَ فاسْتَبق بعضَنا ... حنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

* * *

قال أبو العباس: وحدَّثنى غيرُ واحدٍ من أصحابِنا، قال: قيلَ لرُؤْبة: ما قولُكَ:

لَوْ أَنَّنى عُمِّرْتُ سِنَّ الْحِسْلِ ... أو عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ

* والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَمِثْلِ الوَحْلِ *

ما زمنُ الفِطَحْلِ؟ قال: أيامُ كانت السِّلاَمُ رِطَابًا[1].

قولُه: «سِنَّ الْحِسْلِ» مَثَلٌ، تَضربُه العربُ فى طول العُمُرِ[2].

وأنشدنى رجلٌ من بنى العَنْبَر، أعرابىٌّ فصيح، لعُبَيْدِ بن أيوبَ العَنْبَرى:

كَأَنِّى ولَيْلَى لم يكنْ حَلَّ أهْلُنَا ... بوادٍ خَصِيبٍ والسِّلاَمُ رِطَابُ

* * *

وحدثنى سليمانُ بن عبد الله عن أبى العَمَيْثَلِ مَوْلَى العباسِ بن محمد: تَكاذَبَ أعرابيَّان فقال أحدُهما: خرجتُ مرةً على فرس لى، فإذا [أنا[3]] بظُلْمة شديدة، فَيَمَّمْتُها حتىٰ وصلتُ إليها، فإذا قطْعٌ من اللَّيْل لم تَنْتبه، فما زلتُ أَحْمِلُ بفرسى عليها حتى أنبَهتُهَا، فانجابتْ، فقال الآخرُ: لقد رَمَيْتُ ظَبْياً مَرَّةً بسهمٍ فَعَدَلَ الظَّبىُ يَمْنَةً، فعدلَ السهمُ خلفَه، فتياسرَ الظبىُ، فتَيَاسَرَ السهمُ خلفَه، ثم عَلاَ الظبىُ فعَلاَ السهمُ خلفَه، فانحَدرَ فانحدر عليه حتى أَخَذَه.

* * *

وتزعمُ الرُّواةُ أن عُرْوَةَ بن عُتْبَةَ بن جعفرِ بن كِلابٍ قال لابنَي الجَوْنِ الكِنْدِيَّيْنِ يومَ جَبَلَةَ: إن لى عليكما حَقًّا لرِحْلَتِي ووفَادَتِي، فَدَعُونى أُنْذرْ قومى من

(١) السلام: جمع سلمة، وهى الحجارة الصلبة.

(٢) زيادات ر: «ذكر ابن جنى أن الحسل يعيش ثلاثمائة سنة»، والحسل: ولد الضب.

(٣) تكملة من س.

مَوضِعِى هذا، فقالـوا: شأْنَكَ، فصَرَخَ بقومه بعد أن قالا له: شـأنَكَ، فأَسْمَعَهُمْ على مسيرةِ ليلةٍ.

* * *

ويُرْوَى عن حَمَّادٍ الرَّاوِيَة قال: قالتْ ليلَـى بنتُ عروةَ بن زَيْدِ الْخَيْل لأبيها: أرأيت قولَ أَبِيك:

بَنِي عـامـرٍ هل تَعـرفونَ إذا غَـدَا	أبو مكْنَف قـد شـدَّ عَقْـدَ الدَّوَايِرِ
بجَـيْشٍ تَضلُّ البُلْقُ فى حَـجَـرَاته	ترَى الأُكْمَ منه سُـجَّـدًا للحَوَافِـرِ
وَجَمْعٍ كَمِثْلِ الليلِ مُرْتَجِسِ الوَغَى	كَـثـيـرٍ تَوَاليـه سَـريـعِ البَـوَادرِ
أَبَتْ عـادةٌ للـوَرْدِ أَنْ يكْرَهَ الوَغَى	وحَاجَـةُ رُمْحِى فى نُمَيْرِ بن عَـامرِ

فـقلتُ لأبى: أَحَـضَرْتَ هذه الوَقْـعَـةَ؟ فقـال: نعم، فـقلت: فكم كـانت خيـلُكم؟ قال: ثلاثةُ أفـراس، أحدُها فَـرَسُه، قـال: فذكـرتُ هذا لابن أبى بكر الهُذَلِيِّ، فحـدَّثنى عن أبيه قال: حضـرتُ يوم جَبَلَةَ، قال: وكان قـد بَلَغَ مائةَ سنة، وكان قـد أَدْرَكَ أَيَّامَ الحَجَّاجِ، قال: فـكانت الخيلُ فى الفريقَين، مع مـا كان مع ابْنَيِ الْجَوْن، ثلاثين فرسًا، قال: فحدَّثتُ بهذا الحديث الخَثْعَمِى - وكان راوية أهل الكوفة - فحدثنى: أَنَّ خَثْعَمَ قَتَلَتْ رجلا من بنى سُلَيْمِ بن منصور، فقالت أختُه تَرْثِيه:

لَعَـمْرِى ومـا عَـمْرِى علىَّ بهَـيِّنٍ	لَنعْمَ الفـتَى غـادَرْتُمُ آلَ خَثْـعَمَـا
وكـان إذا مـا أَوْرَدَ الخـيلَ بيـشَـةً	إلَى جَنْبِ أَشْـرَاجٍ أَنَاخَ فَـأَلْجَـمَـا
فـأَرْسَلَـهَـا رَهْوًا رِعـالا كـأنَّهـا	جَـرادٌ زَهَتْـهُ ريحُ نَجْـدٍ فأَتْهَـمَـا

فقيلَ لها: كم كانت خيلُ أخيك؟ فقالت: اللهم إنى لا أَعْرِفُ إلا فرسَهُ.

قوله: «قد شدَّ عَقْدَ الدَّوَايِرِ» يريدُ عَقْدَ دواير الدرْع، فـإنْ الفارسَ إذَا حَمى فَعَلَ ذلك.

وقولُه: «تَضلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاته» يقولُ: لكثرته لا يُرَى فيه الأبْلَق، والأبلقُ مشهورُ المَنْظَرِ، لاختلاف لَوْنَيْه، من ذَلك قولُه:

فلَئِنْ وَقَـفْتَ لَتَـخْـطِفَنْكَ رِمـاحُنا	ولَئِن هَـرَبْتَ ليُـعْـرَفَـنَّ الأَبْلق

وحَجَرَاتُه: نواحِيه.

وقولُه:

* ترَى الأُكْمَ منه سُجَّدًا للحَوَافِرِ *

يقول: لكثرةِ الجيش تطْحن الأُكْمَ تُلْصِقُهَا بالأرضِ.

وقولُه: «كَمثْلِ الليلِ» يقول: كثْرةً، فـيكاد يسُدُّ سوادُهُ الأُفْقَ، ولذلك يقال: كَتيبةٌ خـضراءُ، أى سوداء، وكانت كَتيبةُ رسول الله ﷺ التى هو فـيها والمهاجرون والأنصارُ يقالُ لها: الْخَضْرَاءُ.

والمُرْتَجِسُ: الذى يُسْمَعُ صوتهُ ولا يَبِينُ كـلامهُ، يقال: ارتَجَسَ الرَّعْدُ، من هذا. والوَغَى: الأصواتُ.

والتَّوَالِى: اللَّواحق، يقال: تلاَهُ يَتلُوهُ، إذا اتَّبَعَهُ، وتلَوْتُ القرآنَ، أى أتْبَعْتُ بعضُه بعضًا، والمُتْلِيَةُ: التى معها أولادُها.

وقولُه: «فأرْسَلَهَا رَهْوًا»، يقول: ساكنةً، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا**﴾(1)، ويقال: عيشٌ رَاهٍ يا فتى، أى ساكنٌ.

ورِعالٌ: جـمعُ رَعِـيلٍ، وهو ما تَقَـدَّم من الخيل، يقـالُ: جاءَ فى الرَّعِـيلِ الأوَّلِ، قال عَنْتَرَةُ:

إذَ لاَ أُبادِرُ فى المَضِـيقِ فَـوَارِسِى ... وَلاَ أُوَكَّـلُ بالـرَّعِـيـلِ الأوَّلِ

وقولُه: «زَهتْهُ ريحَ نَجْد فأتْهمَا» يقول: رفعته واستَخَفَتْهُ، قال ابنُ أبى رَبيعة:

فلمـا تَوَاقَـفْنَـا وسَلَّمْتُ أَشْـرَقَتْ ... وُجُـوهٌ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَـقَنَّعـا

ومعنى أَتْهَمَ أَتَى تِهَامَةَ.

* * *

وَزَعَمَ أبو عُبَيْدَةَ [مَـعْمَرُ بنُ المُثَنَّى(2)] عَـمَّن حَـدَّثَه أَنَّ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ أرادت الغارة على قبائِل بنـى تَمِيمٍ، فقالوا: إنْ عَلِمَ بِنَا الُّسلَيك أَنْذَرَهمْ، فبعَـثُوا فارسَيْنِ

---

(1) سورة الدخان ٢٤.

(2) تكملة من س.

على جوادَيْنِ يُريغَان[1] السُّلَيْكَ، فَبَصُرَا به فَقَصَدَاهُ، وخَرج يَمْحَصُ[2] كأنه ظَبْىٌ، فَطارَدَاهُ سَحَابَةَ يومِهمَا، فقالا: هذا النهارُ، ولو جنَّ عليه اللَّيلُ لقد فَتَرَ، فَجَدَّا فى طلبه، فإذا بأَثَرِه قد بال فَرَغَا فى الأرْضِ وخَدَّهَا، فقالاَ: قاتَلَهُ اللهُ! ما أَشَدَّ مَتْنَيْه! ولعلَّ هذا كَان منْ أوَّل الليل فلما امْتَدَّ به الليلُ فَتَـرَ، فاتَّبَعَاهُ، إذا به قد عَبَرَ بأَصْلَ شَجَرة فَندَرَ[3] منها كَمكَان تلك، وانكسرتْ قوسُه، فارتزَّتْ قِصْدَةٌ منها فى الأرض فَنَشِبَتْ، فقالا: قاتَلَهُ اللهُ! واللهِ لاَ نَتْبَعُهُ بعدَ هذا، فرجَعَا عنه، وأتمَّ إلى قومِه.

* * *

ش: يُرْوَى «أَتمَّ» بألِفٍ، و«تَمَّ» بغيـر الألفِ «ونَمَّ» بالنون، ومعنى «تَمَّ إلى قومه» أى نَفَذَ.

* * *

فأنذرهم، فلم يصدِّقُوه لِبُعْد الغاية، ففى ذلك يقولُ:

يُكَذِّبنى العَمْـرَان عَمْرُو بنُ جُنْدُب ... وعمرُو بنُ كَـعْبٍ والمكَذِّب أَكْذَبُ
ثَكلْتُكمـا إنْ لم أَكُنْ قـد رأيتُـهـاً ... كَرَادِيسَ يَهْـديها إلى الحَىِّ مَوْكبُ[4]
كرَادِيسُ فـيهـا الْحَوْفَـزَانُ وحولَه ... فـوارسُ هَمَّـامٍ مَتَى يَدْعُ يَـرْكَبُـوا

فصدَّقه قومٌ فَنَجَوْا، وكذَّبه قَوْمٌ فَوَرَدَ عليهم الجيشُ فاكْتَسَحَهُمْ.

* * *

وحدثنى الـتَّوَّزِىُّ قال: سـألتُ أبا عُبـيدَةَ عن مثل هذه الأخـبارِ من أخـبارِ العرب؟ فقال لى: إن العجَم تكْذِبُ فتـقولُ: كان رجلٌ ثُلُثُهُ من نُحاسٍ، وثُلُثُهُ من رَصاصٍ، وثُلُثُه من ثَلْجٍ، فتَعارِضُها العربُ بهذا وما أشبه.

ومن ذلك قولُ مُهَلْهِل بن رَبِيعةَ:

فلو نُـشِـرَ المَقَـابِرُ عن كُـلَيْب ... فَـتُـخْـبِـرَ بالذَّنَـائب أىُّ زِيرِ!
بيَـوْمِ الـشَّـعَـثَـمْيْنِ لقَـرُ عَـيْنًا ... وكَـيفَ لِـقَـاء مَنْ تحتَ القُـبُـورِ

---

(١) يريغان: يطلبان.

(٢) يمحص: يعدو عدوا شديدا.

(٣) ندر: سقط.

(٤) الكراديس: جمع كردوس، وهو القطعة العظيمة من الخيل.

كـــأَنَّـا غُـــدْوَةً وبَنـى أَبِينَا ... بِجَنْـبِ عُنَيْـزَةٍ رَحَـيَـا مُـدِير
كـأنَّ رِمَـاحَـهـم أشْطَانُ بِئْـرٍ ... بَعِـيـدٍ بَيْـنُ جَـالَيْـهَـا جَـرُورِ (١)
فلولاَ الرِّيحُ أَسْـمِعَ مَنْ بِحَـجْـرٍ ... صَلِيلَ الـبِـيضِ تـقـرعُ بالذُّكـورِ

* * *

[قال أبو الحسن: يقالُ فلانٌ: زيرُ نسَاء، وطِلْبُ نسـاء، وتِبْعُ نساء، وخِلْوُ نساء، إذا كـان صاحبَ نساء؛ وذلك أن مُـهَلْهِلا كان صـاحبَ نساء، فكانَ كُلَيْبٌ يقولُ: إنَّ مهلهلا زيرُ نساء ولا يُدرِكُ بثَأْرٍ، فلمَّا أَدْرَكَ مهلهلٌ بثأر كليبٍ، قال: أَيُّ زِير! فَـرَفعَ «أيا» بالابتـداء، والخبرُ مـحـذوفٌ، فكأنه قـال: أَيُّ زِيرٍ أنا في هذا اليوم!].

قال أبو العباس: وحدثني عـمرُو بن بَحْر قال: أتيتُ أبا الربيع الغَنَوي وكان من أفصح الناس وأبلغهم، ومعي رجلٌ من بني هاشم، فقلتُ: أأبو الرَّبيع هاهنا؟ فخرجَ إليَّ وهو يقولُ: خَرَجَ إليك رجلٌ كريمٌ فلمَّا رأى الهاشميَّ استحيًا من فَخْرِه بحضـرته، فقال: أكْـرَمُ الناس رَدِيفًا، وأشرفُـهم حَلِيفا، فـتحدثنـا مَلِيًّا، فنهض الهاشـميُّ، فقلتُ لأبي الرَّبيع: يا أبا الرَّبيعِ مَنْ خَـيْرُ الخلقِ؟ فـقال: النَّاسُ والله. فقلتُ: مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قال: العربُ والله، فقلتُ: فَمَنْ خيرُ العربِ؟ قال: مُضَرُ والله، قلتُ: فَمَنَ خَـيْرُ مُضَرَ؟ قال: قَـيْسُ والله، قلتُ: فَمَنْ خَيْرُ قـيـسٍ؟ قال: يَعْصُـرَ والله، قلتُ: فَمَنْ خيـرُ يَعْصُرَ؟ قـال: غَنِيٌّ والله، قلتُ فمن خـيـرُ غَنِـيٍّ؟ قال: المُخَـاطَبُ لك والله، قلتُ: أَفَأَنْتَ خيـرُ النَّاسِ؟ قال: نَعَمْ إي والله، قلتُ: أَيَسُـرُّكَ أَنَّ تَحتَك بِـنتَ يَزِيدَ بن المُهَلَّبِ؟ قـال: لا والله، قلتُ: ولك ألفُ دينار؟ قـال: لا والله، قلتُ: فـألفَـا دينار؟ قـال: لا والله، قلتُ: ولك الجَنَّةَ! فـأطرقَ [مَلِيًّا(٢)] ثم قال: على ألاَّ تَلِدَ مِنِّي، وأَنْشَدَ:

تَأْبَى لأَعْـصُـرَ أَعْـرَاقٌ مُـهَـذَّبَةٌ ... مِنْ أَنْ تُناسِبَ قـومًا غـيـرَ أَكفـاء
فـإن يَكُنْ ذاكَ حَـتْمًـا لا مَـرَدَّ لَهُ ... فَـاذْكُـرْ حُـذَيْفَ فـإِنِّي غـيـرُ أَبَّاء

وقولُهُ: «أكرمُ الناسِ رديفًا» فإن أبا مَرْثَدٍ الغَنَويَّ كانَ رديفَ رسولِ الله ﷺ.

---

(١) أشطان البئر: حبالها. (٢) تكملة من س.

وقولُه: «وأشرفُهم حَليفًا»، كانَ أبو مَرْثَدٍ حليفَ حمزةَ بن عبد المطَّلب.

وقوله: «فاذكُـرْ حُذَيْفَ»، أرادَ حُذَيْفَةَ بن بَدْرٍ الفَـزارىَّ، وإنما ذَكره مِنْ بين الأشراف لأنه أقربُهم إليـه نسبًا، وذاكَ يَعْصُرَ بنُ سـعد بن قيسٍ، وهؤلاء بنو رَيْث ابن غَطَفَانَ بن سعد بن قـيسٍ، وقد قال عُيَيْنَةَ بنُ حِصْنٍ يَهْـجُو وَلَدَ يَعْصُرَ، وهُمْ غَنِىٌّ وباهِلةُ والطُّفَاوَةُ:

أَبَاهِلَ مـا أَدْرى أَمِنْ لُؤْمِ مَنْصِبى ... أُحِـبُّكُمُ أَمْ بى جُنـونٌ وأَوْلَقُ[1]
أُسَـيِّدُ أَخْـوَالِى ويَعْـصُرُ إخْـوَتى ... فَـمَنْ ذَا الَّذى مِنِّى معَ اللُّؤْمِ أَحْمَقُ!

فقال الباهلىُّ يُجيبُهُ:

وكيف تحبُّ الدهرَ قـوماً هُمُ الأولَى ... نَوَاصيكُمْ فى سـالفِ الدَّهْرِ حَلَّقوا
أَلَسْتَ فَـزَارِيًّا عـليك غَـضَـاضَـةٌ ... وإن كنتَ كِـنْدِيًّا فـإنك مُـلْصَقُ

* * *

وتحَدَّثَ الرواةُ بأنَّ الحَجَّـاجَ رَأَى محمدَ بن عـبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّـقَفىَّ، وكان يَنْسبُ بزينبَ بنتِ يوسفَ، فارْتَاعَ مِن نظرِ الحَـجَّاجِ [إليه[2]] فَدَعَاً به، فَلمَّا عَرَفَهُ قالَ مُبْتَدِئًا:

هاكَ يَدِى ضـاقتْ بىَ الأرضُ رَحْبُها ... وإن كنتُ قـد طَوَّفْت كـل مكَان
ولو كنتُ بالعَنْقـاءِ أَوْ بِيَـسُومِهَـا ... لَخِلْـتُكَ إِلاَّ أَنْ تَصُـدَّ تَرانى[3]

ثم قال: واللهِ إنْ قلتُ إلاَّ خيرًا، إنما قلتُ:

يُخَـبِّـئنَ أطرافَ البَنَانِ مِنَ التُّـقَى ... ويَخْـرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْـتَجِـرَاتِ

قال: أَجَلْ، ولكن أخبرنى عن قولكَ:

ولَمَّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْـرِىِّ أَعْرَضَتْ ... وكُنَّ مِنْ أن يَـلْقَـيْنَـهُ حَـذِرَاتِ

فى كَمْ كُنْتَ؟ قال: واللهِ إنْ كنتُ إلاَّ عـلى حمارٍ هزيل، ومـعِى رَفيق على أَتانٍ مثلهِ.

* * *

(١) الأولق: الجنون. (٢) تكملة من س. (٣) يوم: جبل بعيد.

ومن ذلك ما يَحكُونَ فى خبر لُقْمانَ بن عَاد، فإنهم يَصفُونَ أنَّ جاريةً له سُئِلَتْ عمَّا بَقِىَ منْ بَصَرِه، لدخوله فى السِّنِّ؟ فقالَتْ: والله لقد ضَعُفَ بَصرُه، ولقد بَقِيَتْ منه بقيَّةٌ، إنَّهُ لَيَفْصِلُ بين أَثَرِ الأُنثى والذَّكر من الذَّرِّ إذا دَبَّ على الصَّفَا، فى أشياءَ تُشَاكِلُ هذا من الكَذِب.

* * *

وحُدِّثْتُ أَنَّ امرأةَ عِمْرَان بن حِطَّانَ السَّدُوسيِّ قالت له: أمَا حَلَفْتَ أَنَّكَ لا تَكْذِبُ فى شعرٍ؟ فقال لها: أَوَكانَ ذاكَ؟ قالت: نعَم، قلتَ:

فكذاكَ مَجْزَأَةُ بنُ ثوْ ... ر كانَ أَشْجَعَ من أُسَامَهْ

أيكونُ رجلٌ أَشْجَعَ من أَسَدٍ! فقال لها: ما رأيتُ أسدًا فَتَحَ مدينةً قطُّ، ومَجْزَأَةُ بن ثَوْرٍ قد فَتَح مدينةً(١).

* * *

ومرَّ عِمرَانُ بن حِطَّانَ بالفرزدقِ وهو يُنْشِدُ، فوقف عليه فقال:

أَيُّها المادحُ العِبادَ لِيُعْطَى ... إنَّ لله ما بأيدى العِبادِ

فاسأل اللهَ ما طلبتْ إليهم ... وارجُ فضلَ المقَسِّمِ العَوَّادَ

لا تَقُلْ لِلْجَوَادِ ما ليس فيه ... وتُسَمِّ البَخِيلَ باسْمِ الجَوادِ

وأنشدنى الحسنُ بن رَجَاء لرجلٍ من المُحْدَثِينَ لم يُسَمِّه(٢):

أبا دُلفٍ يا أكْذَبَ الناسِ كُلِّهِمْ ... سِوَاىَ فإنِّى فى مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

* * *

وأنشدنى آخرُ لرجلٍ من المُحْدَثِينَ:

إنىّ امتَدَحْتُكَ كاذبًا فأَثَبْتَنى ... لَمَّا امتَدَحْتكَ ما يُثَابُ الكاذبُ

قال الأصمعىُّ: قلتُ لأعرابىٍّ كنت أعرفُه بالكذبِ: أَصَدَقْتَ قَطُّ؟ قال: لولا أَنِّى أخافُ أنْ أَصْدُقَ فى هذا لقلتُ لَكَ: لا.

* * *

---

(١) زيادات ر: «مجزأة بن ثور، جعل له عمر رحمه الله رياسة بكر، فلما أسن مجزأة فعل عثمان بن عفان رضى الله عنه ذلك مع ابنه شقيق بن مجزأة، وقتل رحمه الله على شتر، هو والبراء بن مالك، وكانا من أبطال المسلمين». (٢) زيادات ر: «وهو بكر بن النطاح فى أبى دلف».

وتَحَدَّثوا مِن غير وجه أَنَّ عَمْرَو بن مَعْدى كَرِبَ كان معروفًا بالكذب، وقيلَ لِخَلَفِ الأحمرِ - وكانَ شديدَ التعصُّبِ لليَمَنِ: أكان عَمْرُو بن معدى كرب يكذبُ؟ فقال: كان يكذبُ فى المَقال، ويَصْدُقُ فى الفعَال.

وذَكَرُوا من غيرِ وجهٍ أنّ أهلَ الكوفة من الأشراف كانوا يَظْهَرُونَ بالكنَاسة فَيَتحدَّثُونَ على دوَابِّهم، إلى أن يَطْرُدَهم حَرُّ الشَّمسِ، فوقفَ عمروُ بن معدى كربَ وخالدُ بن الصَّقْعب النَّهْدىُّ، فأقبلَ عمروٌ يُحَدِّثه، فقال: أَغَرْنَا مرَّةً عَلَى بنى نَهْد، فخرجوا مُسْتَرْعفينَ بخالد بن الصَّقْعَب، فحملتُ عليه فطعنتُه فأذريته(١)، ثم ملْتُ عليه بالصَّمْصَامَة، فأخذتُ رأسهُ، فقالَ له خالدٌ: حلاًّ أبا ثور، إنَّ قَتيلَكَ هو المُحَدَّثُ. فقال: يا هذا، إذا حُدِّثْتَ فاستَمِعْ، فإنما نَتَحَدَّثُ بمثلِ ما تَسمعُ لِتُرْهَبَ به هذه المَعَدِّيَّةُ(٢).

قولُه: «مُسْتَرْعفينَ» يقولُ: مُقَدِّمين له، يقال: جاء فلانٌ يَرْعُفُ الجيش ويَؤُمُّ الجيشَ، إذا جاءَ متقدِّمًا لهم، ويقالُ فى الرُّعاف: رَعَف يَرْعُفُ، لا يقال غير «رَعَفَ»، ويجوز «يرْعَفُ» من أَجْلِ العَيْنِ، وليس من الوَجْه. وسنذكرُ هذا البابَ بعدَ انقضاء هذه الأخبارِ، إن شاء الله.

وقولُه: «حِلاًّ أبا ثَوْرٍ» يقول: استَثنِ، يقال: حَلَفَ ولم يَتَحَلَّلْ، أى لم يَسْتَثْنِ.

* * *

وخُبِرْتُ أَنَّ قاصًّا كان يُكْثِرُ الحديث عن هَرِمِ بن حَيَّانَ(٣) فاتفق هرمٌ [مرةً](٤) معه فى مسجد وهو يقول: حَدَّثَنا هرِمِ بن حيان، مرةً بعدُ مرة، بأشياءَ لا يعرفُها هرمٌ، فقال لَهُ: يا هذا، أَتَعرِفُنى؟ أنا هرِمُ بنُ حيان، [والله] مَا حدثْتُكَ من هذا بشىء قطُّ، فقال له القاصُّ: وهذا أيضًا من عجائبك، إنَّه لَيُصَلِّى معنا فى مسجدنا خمسةَ عَشَرَ رجلا، اسمُ كلِّ رجلٍ منهم هَرِمُ بنُ حَيَّانَ، كيفَ تَوهمتَ أنه ليس فى الدنيا هرمُ بن حيانَ غيرُك!

---

(١) أذريته: رميته. (٢) المعدية: المنسوبون إلى معد.

(٣) زيادات ر: «الهرم: الضب، يقال إنه فى الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج، قال الشاعر:

* كما أكبَّ على ذى بطنه الهرِم *

قيل إن هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين: ولذلك سمى هرما».

(٤) من س.

وكان بالرَّقَّة قاصٌّ يُكْنَى أبا عقيلٍ، يُكْثِرُ التحدثَ عن بنى إسرائيلَ فيُظَنُّ به الكذبُ، فقال لـه يومًا الحَجَّاجُ بن حَنْتَـمَةَ: ما كان اسمُ بقرة بنـى إسرائيلَ؟ قال: حَنْتَمَةُ، فقال له رجلٌ من ولد أَبـى موسى الأشعرىِّ: فى أَىِّ الكتبِ وَجَدْتَ هذا؟ قال: فى كتاب عَمرو بن العاصِ.

وقال القَـيْنِىُّ: أَنَا أَصْدُقُ فى صغيـرِ مَا يَضُرُّنى،ليجـوزَ كَذِبِى فى كبيـر ما ينفعُنى.

وأنشد المازِنىُّ للأعشى - وليس مما رَوَتِ الرواةُ متَّصلا بقصيدة:

فَـصَـدَقْـتُـهُمْ وكَـذَبْتُـهُمْ ... والمَرْءُ يَـنْفَـعُـهُ كِـذَابُهْ

* * *

ويروى أَنَّ رجـلا وَفَدَ على رسـول الله ﷺ، فسـأله [عن بعضِ شىء][1]، فكَذَبَهُ، فقـال له رسول الله ﷺ: أأسألك فَـتكْذِبُنى؟ لولا سَخاءٌ فـيكَ وَمِقَكَ اللهُ عليه لَشَرَّدْتُ بِكَ مِنْ وافدِ قَوْمٍ.

معنى «وَمِقَكَ» أَحَبَّـكَ، يقال وَمِقْتُهُ أَمِقُهُ، وهو على «فَـعِلْتُ أَفْعِلُ» ونظيرُه من هذا المُعْتَلِّ وَرِمَ يَرِمُ، ووَلِىَ يَلِى. وكذلكَ وَسِعَ يَسَعُ، كـانت السِينُ مكسورةً، وإنما فُـتِحَت للعينِ، ولو كـان أصلُهـا الفتح لـظَهَرَت الواوُ، نحـو وَجِلَ يَوْجَلُ، ووَحِلَ يَوْحَلُ. والمصدرُ «مِقةٌ» كقولك: وَعَدَ يَعِدُ عِدَةً، ووَجَدَ يَجِدُ جِدَةً.

ويُروى: أَنَّ رجـلا أَتى رسـولَ الله ﷺ فأسلم، ثم قـال: يَا رسـولَ الله، [إنى][1] إنما أُوخَذُ من الذُّنُوب بما ظهرَ، وأنا أَسْتَـسِرُّ بخلاَلٍ أربعٍ: الزنا والسَّرَق[2] وشرْبِ الخـمرِ والكذب، فـأَيَّهُنَّ أَحْبَبَتَ تركتُ لَـكَ سِرًّا، فقـال رسولُ الله: دَعِ الكَذِبَ، فلما تولَّى مِنْ عند رسول الله ﷺ هَمَّ بالزنا، فقال: يسألنى رسولُ الله، فـإِنْ جَـحَدْتُ نَقَـضْتُ مـا جَـعلتُ له، وإن أقـررتُ حُـدِدْتُ، فلم يزل، ثم هَمَّ بالسَّرَق[2]، ثم هَمَّ بشرب الخمرِ، ففكَّرَ فى مثل ذلك، فرجَعَ إلى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، قد تَركتهنَّ جُمَع.

* * *

(١) تكملة من س.

(٢) السرق: السرقة.

وشهـدَ أعرابىٌّ عند مـعاويةَ بشـهادة، فقـال له معـاويةُ: كذبتَ، فـقال له الأعرابىُّ: الكاذبُ مُتزَمِّلٌ فى ثيابكَ، فقال معاويةُ: هذا جزاءُ مَنْ عَجَّلَ.

وقال معاويةُ يومًا للأحْنَف ـ وحدَّثهُ حـديثًا: أتكذِبُ؟ فقال: والله مَا كذبتُ مُذْ علمتُ أَنَّ الكذبَ يَشِينُ أهلَهُ.

* * *

ودخلَ عبد الله بن الزبير يومًا على معاوية، فقال: اسمع أبياتًا قُلْتهُنَّ ـ وكان واجدًا عليه، فقال معاويةُ: هَات، فأنشدَهُ:

إذا أنتَ لم تُنْصفْ أَخـاكَ وجَـدتَهُ على طَرَفِ الهِجْـرَان إنْ كان يَعْقلُ
ويركبُ حَدَّ السَّيْفِ مَنْ أَنْ تَضيمَهُ إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيفِ مَزْحَلُ

فقال له معاويةُ: لقد شَعُرتَ بعدنَا يا أبا بكر، ثم لم يَنْشَب معاوية أنْ دَخَل عليه مَعْنُ بن أَوْسٍ المزَنىُّ، فقال له: أَقُلْتَ بعدَنا شيئًا؟ قال: نَعَمْ، فأنشدَهُ:

لَعَـمْـــرُكَ مـا أَدْرى وإنِّى لأَوْجَل علـى أَيِّنا تَعْـــدُو المَـنِيَّـــةُ أَوَّلُ

حتى صارَ إلى الأبيات التى أَنْشَدَها ابنُ الزبير، فقال له معاوية: يا أبا بكر، أمَا ذَكَرْتَ آنـفًا أنَّ هذا الشِّعرَ لك؟ قـال: أنا أَصْلَحْتُ مَعَانِيَهُ، وهو أَلْفَ الـشعرَ، وهو بَعْدُ ظِئرى، فما قالَ منْ شىءٍ فهو لِى.

وكان عبدُ الله بن الزُّبَيْر مُسْتَرْضَعًا فى مُزَيْنَةَ.

* * *

وحُدِّثْتُ أن عُمرَ بن عبد العزيز [بن مَرْوانَ(١)] كَتَبَ فى إشْخاص إِيَاس بن معاويةَ الُمزنـىِّ وعَدىِّ بن أرْطأةَ الفَزَارىِّ أمير البَـصْرَة وقاضيـها يومَئذ، فـصار إليه عدىٌّ، فَقَرَّبَ أن يُمزِّنَهُ عند الخليفة، فقـال: يا أبا واثلَةَ، إنَّ لنا حقًّا ورَحمًا، فقال إياسٌ: أَعَلَى الكذب تريدُنى؟ والله ما يَسُرُّنى أَنِّى كَذَبْتُ كَذْبةً يغفرُها اللهُ ولا يَطَّلعُ عليها إلاَّ هذا ـ وأَوْمأَ إلى أبيه ـ ولِى ما طَلَعَتْ عليه الشمسُ.

[قـال أبـو الحسن(١): «التَّمْـزِينُ» المَـدحُ، ولم أَسْـمَعْ هـذه اللفـظةَ إلاَّ مـن

---

(١) تكملة من س.

أبى العباس، وهى عندى مشتقَّةٌ من «المازِنِ» وهو بيض[1] النَّمْلُ، وبهذا سُمِّيَتْ «مازنٌ» كأنه أرادَ منه أن تُكَبِّرَهُ.

ويروى يُكَثِّرَه. قال القُتَبِىُّ: المَازِنُ: بَيْضُ النَّمل.

قال الشيخُ: قولَهُ: «أن يُمزِّنَهُ عند الخليفة»، أى كأنه يَجْعلهُ سيِّدَ مُزَيْنَةَ، لأنه كان مُزَنِيًّا، والصوابُ: «يَمَزِّرَهُ» قال المَوْصلىُّ:

* وَإِنِّىَ مَعْ ذَا الشَّيْبِ حُلْوٌ مَزِيرُ *

ولم يَكنْ فى القُضَاة، وإنَّمَا كان أميرًا على البصرة... إن مات عمرو...

وكتب عُمَرُ إلى عَدِىٍّ: اجْمعْ ناسًا مِّمْن قَبلكَ وشاورْهُمْ فى إياس بن معاويةَ والقاسِم بن رَبيعةَ، واسْتَقْضِ أَحَدَهما، فَوَلَّى عَدِىٌّ إياسًا[2]].

* * *

ويُرْوَى أَنَّ أخا إياسٍ صارَ إلى ابن هُبَيْرَةَ فقال: طَرَقَنِى اللصوصُ فحارَبْتهم فهَزَمْتُهم، وظفرْتُ منهم بهذا المغْوَل[3]، فجعله ابن هُبَيرةَ تحتَ مُصَلاه، ثم بعثَ إلى الصِّياقلَة فأحضرَهم، فقالَ: أَيَعْرِفُ منكم الرجلُ عملَه؟ قالوا: نعم، فأخرج المغْوَلَ فقالَ: من عَمَل أَيِّكُمْ هذا[4]؟ فقال قائلٌ منهم: أنا عملتُ هذا، واشتراهُ مَنِّى هذا أَمْس.

---

(١) كلمة «بيض» ساقطة من ر، س، وهى فى الأصل.

(٢) ما بين العلامتين زيادة فى نسخة ر، وذكر المصحح أنها من إحدى النسخ التى رجع إليها، وموضع النقط مقطوع من الأصل المنقول عنه، وهذه الزيادة ليست فى الأصل، وليست فى س أيضا.

(٣) زيادات ر: «المغول سيف صغير».

(٤) س: «أيكم عمل هذه».

بابـ

[ما يجوز فيه «يَفْعَلَ» فيما ماضيه «فَعَلَ» مفتوح العين]

اعلم أَنَّ كلَّ فعْلٍ على «فَعُلَ» فهو غيرُ مـتعدٍّ إلى مفعول، لأنَّه فعْلُ الفاعِلِ فى نفسه، وتأويلُه الانتقالُ، وذلك قولكِ: كَرُمَ عبدُ الله، وظَرُفَ عبدُ الله.

وتأويلُ قولى: «الانتقالَ»، إنما هو انتقالٌ من حال إلى حال، تقولُ: ما كَان كريمًا ولقـد كَرُمَ، وما كان شـريفًا ولقد شَرُفَ، فـهذا تأويلُه، فأمَّا قـولهم: كِدْت أَكادُ، فإنما كِدْتُ معترضَةٌ على أكادُ.

وما كَـان من «فَعِلَ» [من][1] الصحـيحِ فإنهُ «يَفْعَلُ» نحو: شَـرِبَ يَشْرَبُ، وعَلِمَ، وفَرِقَ، ويكونُ متعديًا وغيرَ متَعدٍّ، تقولُ: حَذِرْتُ زيدًا، وعَلِمْتُ عبدَ الله، ويكون فيه مـثلُ سَمِنْتُ، وبَخِلْتُ، غيرَ مـتعدٍّ، وكلُّه على «يَفْعَلُ» نـحو يَسْمَنُ، ويَبْخَلُ، ويعلَمُ، ويَطْرَبُ.

فـأمَّا قـولهم فى الأربعـة من الأفـعال: «يَحْـسِبُ»، و«يَيـئِسُ»، و«يَنْعِمُ»، و«ييبِسُ»، فهى مـعترِضةٌ على «يَفْعِلُ» تـقولُ فى جميعـها: «يَحسَبُ»، و«يَنْعَمُ»، و«ييْئَسُ»، و«ييْبَسُ».

ومـا كان على «فَـعَلَ» فَبـابُه «يَفْـعِل» و«يَفْعل» نـحو قَـتَل يقتُل، وضَـرَبَ يضربُ، وقَعَد يقعُـد، وجلس يجلسُ، فقد أنبأْتُكَ أن يكونُ متعديًا وغـيرَ متعدٍّ. فأمَّا يَأْبَى، ويَقْلَى فلهما عِلَّةٌ تُبيِّنُ عندَما أَذْكرُهُ لكَ إن شاء اللهَ.

ولا يكونَ «فَـعَلَ يَفْـعَلُ» إلاَّ أن يكُونُ يعرض له حـرفٌ من حـروف الْحَلَقِ الستة فِى موضعِ العيِن أو موضعِ اللام، فإن كان ذلك الحرفُ عينًا فَتَحَ نَفْسَه، وإن كَان لامًا فتح العينَ.

وحروفُ الحَلْقِ: الهمزةُ، والهاءُ، والعيُن، والحاءُ، والغيُن، والخاءُ.

وذلك قولهم: قَـرأَ يَقْرأُ قَرْأً، يَا فـتَى، قراءَة، وسأَلَ يَسْـأَلُ، وجَبَهَ يَجْـبَهُ، وذَهَبَ يَذْهَبُ، وتقولُ: صَنَعَ يصنَعُ، وظَعَنَ يَظْعَنُ، وصَبَـحَ يَصْبَحُ، وكذلك فَرَغَ يَفْرَغُ، وسَلَخَ يَسْلَخُ.

---

(١) من س.

وقد يجوزُ أَنْ يجيء الحرفُ على أصله وفيه أحدُ السِّتة، ويجوزُ: زَأَرَ يَزْئِرُ، وفَرَغَ يفْرَغُ، وصَبَغَ يَصْبُغُ، إلاَّ أَنَّ الفتحَ لا يكونُ فيما ماضيه «فَعَلَ» إلاَّ وأَحَدُ هذه الحروف فيه.

وأما «يأْبَى» فله علَّةٌ، وأما «يَقْلَى» فليس يَثْبُتُ. وسيبويه يذهبُ فى «يَأْبَى» إلى أنه إنما انفتَح مِن أجلِ أَنَّ الهمزةَ فى موضع فائِه، والقولُ عندى على ما شَرَحْتُ لك، من أنه إذا فُتِحَ حَدَثَ فيه حرفٌ من حروف الحلق، فإنما انفتح لأنهُ يصيرُ إلى الألف، وهى من حروف الحلق، ولكن لم نَذْكرها لأنها لا تكون أصلا، إنما تكونُ زائدةً أو بَدَلا، ولا تكونُ متحركةً، فإنما هى حرفٌ ساكنٌ، ولا يَعْتَمِدُ اللِّسان به على موضعٍ، فهذا الذى ذكرتُ لك مِن أَنَّ يَسَعُ، ويَطَأُ، حَدُّهما «فَعِلَ يَفْعِل» فى المعتلِّ، كحسبَ يَحْسِب، من الصحيح، ولكنْ فَتَحَتْهما العينُ والهمزةُ، كما تقول: وَلَغَ الكلبُ، يَلَغَ، والأصلُ «يَلِغُ» فحرفُ الحلقِ فَتَحَهُ.

بابـ

[من أخبار عبد الله بن العباس وابنه]

يُرْوَى عن عليٍّ بن أبى طالب رحمةُ الله عـليه أنه افْتَقَدَ عبـدَ الله بنَ العباس رحمه الله [فى وَقْت صلاة الظُّهْرِ[1]]، فقال [لأصحابه[1]]: ما بَالُ أبى العباسِ لم يَحْضُرْ؟ فقـالوا: وُلِدَ له مولودٌ، فلما صلَّى عليٌّ رحمه الله قـال: امضُوا بنَا إليه، فأتاه فَهَنَّأَه، فقال: شَكَرْتَ الواهبَ، وبُورِكَ لك فى الموهوب، ما سَمَّيْتَهُ؟ قال: أَوَ يَجُوزُ لى أَنْ أُسَمِّيَه حتى تُسَمِّيَه! فـأَمَرَ به فَأُخْرِجَ إليه، فأخذَه وحَنَّكَه ودعَا له، ثم رَدَّه إليه، وقال: خُذْه إليك أبا الأمْـلاَك، قد سَمَّيْتُه عليًّا، وكَنَّيـتُهُ أبا الحسنِ، فلما قام معاويةُ قال لابن عباسٍ: ليس لكم اسمُه وكنيتُه، فقد كَنَّيْتُهُ أبا محمدٍ، فَجَرَتْ عليه.

* * *

وكان عليٌّ سيـدًا شريفًا بليغًـا، وكان له خَمْسُمـائَة أصل زَيْتُونٍ، يصلى فى كل يومٍ إلى كلِّ أصلٍ ركعتين، فكان يُدْعَى ذَا الثَّفِنَاتِ[2].

* * *

وضربَ بالسَّوْطِ مـرتين، كلتاهُما ضربَهُ الوليد، إحداهُمـا: فى تَزَوُّجِه لبَابَةَ بنتَ عبد الله بن جعفرٍ، وكانت عـندَ عبدَ الملك، فَعَضَّ تُفَّـاحَةً ثم رَمَـى بها إليها ـ وكان أبْخَرَ ـ فَدَعَتْ بسكينٍ، فـقال: ما تَصنعِينَ به؟[3] قالتْ أُميطُ عنها الأذى، فطلَّقَهـا، فتزوَّجهـا عليُّ بنُ عبد الله، فضـربه الوليدُ، وقال: إنما تَتزوَّجُ بـأُمَّهات الخلفاء لتَضَعَ منها، لأن مَرْوَانَ بن الحكَمِ تَـزوَّجَ أمَّ خالد بن يزيد بن معاوية ليَضَعَ منه، فقـال عليٌّ بن عبد الله: إنما أرادتِ الخـروج من هذه البَلْدَة، وأنا ابنُ عَمِّـها فتزوجتُها لأكُونَ لها مَخْرَجًا.

وأمَّا ضـربُه إيَّاه فى المرَّة الثانية فـإنَّا نرويه من غَيْرِ وَجْـه، ومن أَتَمِّ ذلك ما حَدَّثنيـه أبو عبـد الله محـمدُ بن شُجَـاعٍ البَلْخِيُّ[4] فى إسنادٍ له مُـتَّـصِلٍ، لستُ

---

(١) من س.

(٢) الثفنات: جمع ثفنة، وهى من كل ذى أربع ما يصيب الأرض منه.

(٣) أى بالسكين، والسكين تذكر وتؤنث.

(٤) زيادات ر، «هو محمد بن شجاع الثلجى، كذا صوابه».

أَحفظُه، يقولُ فى آخر ذلك الإسناد: رأيتُ عليًّا مضروبًا بالسَّوْط يُدَارُ به على بعيرٍ ووجههُ مما يَلِى ذَنَبَ البعيرِ، وصائحٌ يَصيحُ عليه: هذا علىُّ بن عبد الله الكذابُ! قال: فأتيتُه فقلتُ: ما هذا الذى نَسَبُوكَ فيه إلى الكذب؟ قال: بلَغهم قولى: إنَّ هذا الأَمْرَ سيكونُ فى ولدى. والله ليكونَنَّ فيهم حتى يَمْلكَهُمْ عَبيدُهم الصِّغَارُ العيونِ، العِرَاضُ الوُجُوهِ، الذين كأَنَّ وجوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ.

* * *

ومع هذا الحديث آخَرُ شَبِيهٌ بإسناده، أن علىَّ بن عبد الله دخلَ على سليمانَ ابن عبد الملك، ومعه ابنَا ابْنه، الخليفتان: أبو العباسِ، وأبو جعفر - قال أبو العباس: وهذا غَلَطٌ، لمَا أَذْكُرُه لك، إنمَا ينبغى أن يكونَ دخلَ على هشامٍ - فأَوْسَعَ لَهُ على سَرِيره، وسأله عن حاجته، فقال: ثلاثون أَلْف درهمٍ علىَّ دَيْنٌ، فَأَمَر بقضَائهَا، قال له: وتَسْتَوصى بابْنَىَّ هذين خيرًا، ففعلَ، فشكَرَهُ، وقال: وَصَلَتْكَ رَحمٌ، فلما ولَّى علىٌّ قال الخليفةُ لأصحابه: إنَّ هذا الشيخَ قد اختَلَّ وأسَنَّ وخلطَ فصار يقول: إن هذا الأمْرَ سينتقلُ إلى وَلَده، فَسَمعَ ذلك علىٌّ فالتفت إليه فقال: والله ليكونَنْ ذَاكَ، ولَيَمْلِكَنَّ هذان.

* * *

قال أبو العباس: أَمَّا قولى: «إن الخليفة فى ذلك الوقت لم يكن سليمانَ»، فلأنَّ محمد بن على بن عبد الله كان يُمْنَعُ من تَزَوُّج الحارثيَّةَ، للحديث المَرْوِىِّ، فلما قام عمرُ بن عبد العزيز جاءهُ محمدٌ، فقال له: إنى أَردتُ أن أتزوج بنتَ خالِى من بنى الحارث بن كَعْبٍ، أَفتأْذَنُ لى [يا أَمِيرَ المؤمنين[1]]؟

فقال عمرُ: تَزَوَّجْ - رحمكَ اللهُ - مَنْ أحببتَ، فتزوَّجَها، فأَوْلَدَها أبا العباسِ أميرَ المؤمنين، وعُمَرُ بعدَ سليمانَ، فلا ينبغى أن يكون تَهَيَّأَ له أن يدخل على خليفةٍ حتى يتَرَعْرَعَ.

[ش: كذا وقعَ فى الأُمِّ والروايةِ، والصحيحُ «لهما أن يدخلاَ على خليفةٍ حتى يترعرع»].

فلا يَتِمُّ مِثلُ هذا إلاَّ فى أيامِ هشامٍ.

* * *

---

(١) تكملة من س.

وكان عبدُ الملك يُكْرِمُ عليًّا ويقدِّمُه، فحدثنى التَّوَّزِىُّ، قال: قال علىٌّ بن عبد الله: سايَرْتُ يومًا عبد الملك، فما جاوَزنا إلاَّ يسيرًا حتى لَقِيَهُ الحَجَّاجُ قادمًا عليه، فلما رآه تَرَجَّلَ ومَشَى بين يديه، فخَبَّ عبدُ الملك، فأسرع الحَجَّاجُ، فزادَ عبدُ الملك، فَهَرْوَلَ الحَجَّاجُ، فقلتُ لعبد الملك: أبِكَ مَوْجِدَةٌ على هذا؟ فقال: لا، ولكنَّه رَفَعَ مِنْ نَفْسِهِ، فأحببتُ أن أَغُضَّ منه.

* * *

وحدَّثنى جعفرُ بن عيسى بن جعفر الهاشمىُّ، قال: حضر علىٌّ عبَد الملك وقد أُهْدِىَ له من خُراسانَ جاريةٌ وفَصٌّ وسيفٌ، فقال: يا أبا محمد، إنَّ حاضرَ الهديَّة شَريكٌ فيها، فاخْتَرْ منَّ الثلاثة واحدًا، فاختارَ الجاريةَ، وكانت تُسَمَّى سُعْدَى، وهى من سَبْىِ الصُّغْدِ[1] من رَهْطِ عُجَيْف بن عَنْبَسَةَ، فأولدها سليمانَ وصالحًا ابنَىْ علىٍّ.

* * *

وذَكَرَ جعفرُ بن عيسى أنه لَمَّا أَوْلَدَهَا سليمانَ اجتنبَتْ فِرَاشَه، فمرض سليمان من جُدَرِىٍّ خرج عليه، فانصرفَ علىٌّ مِنْ مُصَلاَّهُ، فإذا بها على فراشه، فقال: مرحبًا بك يا أُمَّ سليمانَ، فوَقَعَ بها، فأولدها صالحًا، فاجتنبت بَعْدُ، فسألهَا عن ذلك؟ فقالت: خفْتُ أن يَموتَ سليمانُ فينقطع النَّسَبُ بينى وبين رسول الله ﷺ، فالآنَ إذْ وَلَدْتُ صالحًا فَبِالْحَرى إنْ ذهبَ أحدُهما أن يَبْقَى الآخَرُ، وليس مثلى اليومَ مَنْ وطِئَهُ الرجالُ.

وزَعم جعفرٌ أنه كانت فيه رُتَّةٌ.

فالرُّتَّةُ: تعَذُّرُ الكلام إذا أراده الرجلُ، فهى الآن معروفةٌ فى ولدِ سليمان وولدِ صالحٍ.

* * *

وكان علىٌّ يقولَ: أَكره أن أُوصِىَ إلى محمد ـ وكان سَيِّدَ ولده ـ خوفًا من أن أَشِينَهُ بالوصيةِ، فأَوْصَى إلى سليمان، فلما دُفِنَ علىٌّ جاء محمدٌ إلى سُعْدَى

(١) الصغد: كورة قصبتها سمرقند.

[ليلا[1]] فقال [لها][1]: أَخْرِجي إليَّ وصيةَ أبى، فقالت: إن أباكَ أَجَلُّ من أن تُخْرَجَ وصيتُه ليلا، ولكنَّها تأتيك غدًا، فلمَّا أصبحَ غَدَا بها عليه سليمانُ، فقال: يا أبى ويا أخى، هذه وصيةُ أبيك، فقال محمدٌ: جزاكَ اللهُ من ابنٍ وأخٍ خيرًا، ما كنتُ لأُثَرِّبَ على أبى بعدَ موتِه، كما لم أُثَرِّبْ عليه فى حياتِه.

* * *

قال أبو العباس: التَّمْتَمَةُ: التردُّد فى التَّاء، والفأْفأَةُ: التردُّدُ فى الفاء، والعُقلَةُ: التواءُ اللسان عندَ إرادة الكلام، والحُبْسَةُ: تعَذُّرُ الكلامِ عند إرادته، واللَّفَفُ: إدخالُ حرف فى حرف، والرُّتَّةُ: كالرَّتَجِ تَمنعُ أوَّل الكلامِ، فإذا جاء منه شىءٌ اتَّصلَ. والغَمْغَمَةُ: أن تَسمع الصوتَ ولا يَتَبَيَّنَ لك تقطيعُ الحروف. والطُّمْطُمَةُ: أن يكونَ الكلام مُشْبِهًا لكلامِ العجمِ. واللُّكْنَةُ: أن تَعْتَرِضَ على الكلامِ اللغة الأعجميةُ. وسَنُفَسِّرُ هذا بحججه حرفًا حرفًا، وما قيل فيه، إن شاء الله. واللُّثْغَةُ: أن يُعْدَل بحرف إلى حرف. والغنَّةُ: أن يُشْرَبَ الحرفُ[2] صوتَ الخَيْشُومِ. والخُنَّةُ: أشدُّ منها. والتَّرْخِيمُ: حَذْفُ الكلامِ، يقالُ: رجلٌ فأفاءٌ يا فَتَى! تقديرُه «فَاعَالٌ» ونظيرُه من الكلامِ: سَاباطٌ وخاتام، قال الراجزُ:

يامَىَّ ذاتَ الجَوْرَبِ المُنْشَقِّ   أَخَذْتِ خَاتَامِى بِغَيْرِ حَقِّ[2]

[لربيعة الرقى يمدح يزيد بن حاتم]

وقال رَبيعة الرَّقِّىُّ فى مَدْحه يزيدَ بنَ حاتِم بن قَبِيصةَ بن المُهَلَّب وربيعةُ احتجَّ به الأصمعىُّ ـ وذَمِّه يزيدَ بنَ أُسَيْدٍ السُّلَمِىَّ:

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ اليزيدَيْن فى النَّدَى   يزيدُ سُلَيْمٍ والأغرُّ بنُ حاتمِ
فَهَمُّ الفَتَى الأزْدِىِّ إتْلافُ ماله   وهَمُّ الفتى القَيْسِىِّ جمعُ الدَّراهمِ
فلا يَحْسبِ التَّمْتَامُ أنِّى هَجَوْتُه   ولكنَّنِى فَضَّلْتُ أهلَ المَكارِمِ

---

(١) تكملة من س.

(٢) زيادات ر: كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى، والصحيح أنه بالهمز على «فعلال» مثل «خضخاض»، و«قمقام»، فالذى حكى أبو العباس غلط؛ لأن سيبويه رحمه الله قال: ليس فى الصفات «فاعال». قال أبو الحسن. يقال: «خانم» على وزن «دانق» و«خاتم» على وزن ضارب، و«خيتام» على وزن «ديان» و«خاتام» على وزن «ساباط».

وقال آخرُ أيضًا:

ليس بفَأْفَاءٍ ولا تَمْتَامِ ولا مُحِثَّ سَقِطِ الكلامِ

وقال الشاعرُ:

وقد تَعْتَرِيه عُقْلَةٌ فى لسانه إذا هُزَّ نَصْلُ السيفِ غَيْرَ قريبِ

وزعم عمرُو بن بحرِ الجاحظُ عن محمد بن الجهْمِ قال: أقبلت على الفكْرِ فى أيامِ محاربة الزُّطِّ، فاعترَتْنى حُبْسةٌ فى لسانى، وهذا يكونُ لأنَّ اللسانَ يَحْتَاجُ إلى التَّمْرِينِ على القولِ، حتى يَخفَّ له، كما تحتاج اليد إلى التمرينِ على العملِ، والرِّجْلُ إلى التمرينِ على المَشْى، وكما يعانيه مُوَتِّرُ القَوْسِ ورافعُ الحجر ليَصْلُبَ ويشتدُّ، قال الراجزُ:

كأنَّ فيه لَفَفًا إذا نَطَقْ مِنْ طُولِ تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأرَقْ

وقال ابنُ المُقفَّع: إذا كَثُرَ تقليبُ اللسان رَقَّتْ جوانبُه ولانَت عَذَبَتُهُ.

وقال العتَّابىُّ: إذا حُبِسَ اللسانُ عن الاستعمالِ اشتدت عليه مَخارِجُ الحروف.

وأما الرُّتَّةُ فإنها تكونُ غَرِيزة، قال الراجزُ:

* يأَيُّهَا الخَلِّطُ الأرتُّ *

ويقال: إنها تكثُر فى الأشْرَافِ، ولم تُوجدْ تَخْتَصُّ واحدًا دون واحد.

وأما الغَمغمةُ فقد تكونُ من الكلامِ وغيرِه، لأنه صوتٌ لا يُفْهَمُ تقطيعُ حروفِه.

[أفصح الناس]

وحدثنى مَنْ لا أُحْصى من أصحابنا عن الأصْمَعىِّ عن شُعبة عن قتادةَ، قال: قال معاويةُ يومًا: مَنْ أَفْصَحُ الناسِ؟ فقام رجلٌ من السِّماط فقال: قومٌ تَباعَدُوا عن فُرَاتِيَّة العراق، وتَيَامَنُوا عن كَشْكَشَة تَميم، وتَيَاسَرُوا عن كَسْكَسَة بكْرٍ، ليس فيهم غَمْغَمَةُ قُضاعةَ، ولا طُمْطُمَانيَّةُ حَمْيَرَ. فقال له معاويةَ: مَنْ أُولئكَ؟ فقال: قَوْمى يا أَميرَ المؤمنين، فقال له معاويةُ: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا رجلٌ من جَرْمٍ. قال الأصمعىُّ: وجَرْمٌ من فُصَحَاءِ الناسِ.

قولُه: «تَيامَنُوا عن كشكشة تَميمٍ»، فإنَّ بنى عَمرِو بنِ تَميمٍ إذا ذَكرتَ كَافَ المؤنَّث فوقفتْ عليها أبْدَلَتْ منها شينًا، لقرْبِ الشين من الكاف فى المَخْرَج، وأنها مهموسةٌ مثلَها، فأَرادُوا البيانَ فى الوقف، لأنَّ فى الشِّين تَفَشِّيًا، فيقولون للمرأة: جَعَلَ اللهُ لكِ البركةَ فى دَارِشْ، وَيْحَكِ مالَشْ، والتى يُدْرِجُونها يَدَعُونَهَا كافًا، والتى يَقِعُون علَيها يُبْدِلونها شِينًا.

وأما بَكْرٌ فتختلفُ فى الكسكسة، فقومٌ منهم يُبْدِلون من الكاف سينًا، كما يفعلُ التميميون فى الشين، وهم أقلُّهم، وقَوْمٌ يُبَيِّنُونَ حركة كاف المؤنَّثِ فى الوقْفِ بالسين، فيزيدونَها بعدَها، فيقولون: أَعْطَيْتُكِسْ.

أما الغمغمةُ فما ذكرتُ لك.

وقال الهاربُ[1] لامرأته يومَ الْخَنْدَمَة، وذاكَ أنها نَظَرَتْ إليه يَحُدُّ حَرْبَةً فى يوم فتح مكةَ، فقالتْ: ما تَصْنَعُ بهذه؟ قالَ: أَعْدَدْتُها لمحمد وأصحابه، فقالت: والله إنْ أَراهُ يقومُ لمحمدٍ وأصحابِه شيءٌ، فقال لها: إنِّى لأرْجو أن أُخْدِمَكِ بعضهم، وأنشأ يقولُ:

إنْ تُقْبِلُوا فَمَا بِىَ عِلَّه هذا سِلاحٌ كامِلٌ وأَلَّهْ

* وذُو غِرارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّهْ *

الأَلَّةُ: الْحَرْبَة، والغَرارُ هاهنا: الْحَدُّ، يعنى «بذى غرارين» السَّيْفَ.

فلمَّا لقِيَهم خالدٌ يَوْمَ الْخَنْدَمَة انهزَم الرجلُ، فَلاَمَتْهُ امرأتُه، فقال:

إنَّك لو شَهِدْت يومَ الخَنْدَمَهْ إذْ فَرَّ صَفْوَانُ وفَرَّ عِكْرِمَهْ
ولحِقَتْنا بالسُّيُوف المُسْلِمَهْ يَفْلِقْنَ كلَّ سَاعِد وَجُمْجُمَهْ
ضَرْبًا ولا تَسْمَعُ إلاَّ غَمْغَمَهْ لهم نَهِيتٌ[2] حولَنا وَحَمْحَمَهْ

* لم تَنْطِقِى فى اللَّوْمِ أَدْنى كَلِمَهْ *

---

(١) زيادات ر: «الهارب هو أبو عثمان الهذلى»، ويقال له الرعاش، ويقال إن الرجز المذكور بعد هذا لحماس ابن قيس أخى بنى بكر بن عبد مناة، أنشده له أبو إسحاق، والخندمة: جبل دخل منه النبى ﷺ مكة يوم الفتح، وقيل: الخندمة مشى فيه إسراع، فأضيف إلى اليوم لما كثر فيه.

(٢) النهيت: صوت الأسد دون زئيره.

وأما الطُمْطُمَانيَّةُ، ففيها يقولُ عَنْترةُ:

تبْرِى لـه حُـولُ النَّعَـامِ كـأنَّهَـا ... حِـزَقٌ يمـانيـةٌ لأَعْـجَـمَ طِمْطِمِ

وكـان صهُـيَبٌ أبو يحـيى صـاحِبَ رسول الله ﷺ يرتَضِخُ لُـكْنَةً رُوميَّـةً، ويَذْكرون أنَّ نَسَبَهُ فى النَّمرِ بين قاسط صحيحٌ.

وقد قـال رسولُ الله ﷺ: «صُهَـيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ، وسلْمَانُ سـابِقُ الفُرْسِ، وبِلال سابقُ الحَبَشَة».

وقال عمـرُ لصهيْبٍ فى قوله: إنه من النَّمـرِ بن قاسط: قد سمـعتَ ما قال رسولُ الله ﷺ فيـمن انْتَمى إلى غيرِ نَسَـبِه، فقال صهـيبٌ: أنا مِنْ القَوْمِ، ولكِنْ وَقعَ علىَّ سِباءٌ.

وكان عَبْدُ بَنِى الحَسْحَاسِ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً حبشيةً، فلما أَنشدَ عمرَ بن الخَطَّاب:

عَـمْيـرةَ وَدِّعْ إنْ تَجَـهَّزْتَ غـاديَا ... كفى الشيبُ والإسـلامُ للمرءِ ناهيَا

فـقال عـمرُ: لو كنتَ قَـدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّـيبُ لأَجزْتُكَ، فـقال: مـا سَعَرْتُ، يريدُ: ما شَعَرْتُ.

وكان عُـبَيْدُ الله بن زِيَادٍ يرتضخُ لُكنةً فـارسية، وإنما أَتَتْه مِنْ قِـبَلِ زوج أمه شيرَوَيْهِ الإِسْوَارِىِّ.

ويقالُ: إن عليًّا عليه السلام عادَ زيَادًا في منزل شيرَوَيْه، فقال عبيدُ الله يومًا لرجل كلَّمه فَظنَّ به رَأْىَ الخوارجِ[1]: أهَرُورِىٌّ مُنْذ اليومِ؟ يريدُ: أَحَرُورِىٌّ، وهذه الهاء تَشْتَرِك فى قلبها من الحاء أصنافٌ من العجَم.

وكان زيادٌ الأعْـجَمُ - وهو رجلٌ من عَبْدِ القَـيْسِ - يَرْتَضِخُ لُكْنةً أعجمـيَّةً، يذهبُ فيها إلى مذهبِ قَوْمٍ بأعيانهم من العجم.

وأنشدَ المُهلَّبُ بن أبى صُفْرةَ فى مَدْحه إياهُ:

فتًى زَادَه الـسُّلْتَانُ فى المدحِ رَغْـبة ... إذا غَـيَّـرَ السُّلْتـانُ كل خـليلِ

---

(١) زيادات ر، «الرجل الذى كلمه عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخوارج هانىء بن قبيصة».

يريد «السلطان»، وذلك أن بين التــاء والطاء نَسَبًــا، فلذلك قَلَبَــها تاءً؛ لأن التاء من مخرج الطاء، فقال: «السُّلْتَان».

أمَّا الغُنَّةُ، فَتُسْـتَحْسَنُ من الجارية الحديثة السِّنِّ، لأنهــا مالم تُفْرِطْ تَمِيلُ إلى ضَرْبٍ من النَّغْمَةِ، قال ابنُ الرِّقَاعِ العامليُّ يصفُ الظَّبْيَةَ وولدَها:

تُزْجِــي أغَنَّ كــأَنَّ إِبْرَةَ رَوقِــهِ ... قَلَم أصــابَ من الدَّوَاة مِــدَادَهَا

بابـ

[لمحمد بن عبد الله الثقفي]

قال محمدُ بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفيُّ:

لم تَرَ عَينْى مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ ... خَرَجْنَ من التَّنْعيم مُعْتَجِرات
مَرَرْنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عَشيَّةً ... يُلَبِّينَ للرَّحمن مُؤْتَجِرَات
تَضوَّعَ مسكًا بَطْنُ نعْمانَ أنْ مَشَتْ ... به زينبٌ فى نسوة عَطِرات
وقامتْ تَراءى يَوْمَ جَمْعٍ فأَفتَنَتْ ... برؤيتها مَنْ راحَ منْ عَرفات
ولَمَّا رأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعرضتْ ... وكنَّ منَ أنْ يَلْقَيْنَهُ حَذرات
دَعَتْ نسوةً شُمَّ العَرانين بُدَّنًا ... نَوَاعِمَ لا شُعْثًا ولا غَبِرَات[1]
فأَدْنَيْنَ لَمَّا قُمْنَ يَحجُبْنَ دونَها ... حِجابًا من القَسِّيِّ والْحَبَرَات
أَحِلَّ الَّذى فوقَ السَّمَاوات عرشُهُ ... أَوَانِسَ بالبَطْحاء مُعْتَمِرَات
يُخَبِّئنَ أطرافَ البَنَانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ جُنْحَ الليلِ مُخْتَمِرات

قولُه: «مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ»، هو القطْعة من النِّساءِ، أو من الظِّباءِ، أو من البقَرِ، أو من الطَّير، كما قال:

لم تَرَ عَينْى مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ ... خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ واقِفِ

فهذا يعنى نساء[2]، ويقالُ: مَرَّت بنا سُرْبةٌ من الطَّير، فى هذا المعنى، قال ذُو الرُّمَّةِ:

سِوَى ما أصاب الذِّئْبُ منه وسُرْبةٌ ... أطافتْ به مِنْ أُمَّهَات الجوَازِلِ

ويقالُ: فلانٌ واسعُ السِّرْبِ، يعنى بذلك الصَّدْرَ، ويقال: خلِّ لفلان سَرْبَهُ، أى طريقَه الذى يَسْرُبُ فيه، ويقالُ للإبل كذلك بالفتح: لأذْعَرَنَّ سَرْبَكَ.

ويقالُ: حَذِرات، وحَذرَاتٌ، ويَقِظٌ، ويَقُظٌ، قال ابنُ أَحْمَرَ:

هل يُنْسِئَنْ يَوْمِى إلى غَيْرِهِ ... أنى حَوَالِيٌّ وأنِّى حَذِرُ

---

(١) زيادات ر، «ولا غفرات»، بالفاء أخت القاف، من الغفر وهو الشعر الذى ينبت فى اللحيين؛ يقال: غفرت المرأة إذا نبت لها ذاك الشعر».

(٢) زيادات ر، «القطيع من السباع يقال له سرب، قاله ابن جنى، وكذا من الماشية كلها».

وقوله:

* وكنَّ مِنَ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرات *

الأصلُ «مِنَ أن يلقينه» ولكنَّ الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ وقبلَها ساكنٌ ليس من حروف اللِّين الزوائد، فتخفيفُها ـ متصلة كانت أو منفصلةٌ ـ أن تُلْقى حركتَها على على ما قبلَهَا وتَحْذفَها، تَقول: مَنَ ابوكَ؟ فتفتحُ النُّونَ وتحذفُ الهمزةَ، ومَنِ اخْوَانُك؟، ومَنُ أمُّ زيد؟ فَتضُمُّ النونَ وتكسرُها وتَفتحُها، على ما ذكرتُ لك، وتقولُ: ﴿الَّذى يُخْرِجُ الْخَبَ فى السَّموَات﴾[1] وفلانٌ له هَيَةٌ، وهذه مَرَةٌ، إذا خَفَّفْتَ الهمزةَ فى «الْخَبْء» و«الهَيْئَة» و«المرأة»، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿سَلْ بَنى إسْرائيلَ﴾[2] لأنهَا كانت «اسأَل» فلمَّا حُرِّكَتْ السينُ بحركةِ الهمزةِ سَقَطَتْ ألفُ الوصْلِ، لتَحَرُّك ما بعدها، وإنما كان التخفيفُ فى هذا الموضع بحذف الهمزة؛ لأن الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ قَرُبَتْ من الساكنِ، والدليلُ على ذلك أنها لا تُبْتَدَأُ إلاَّ مُحَقَّقَةً، كما لا يُبْتَدَأُ إلاَّ بمتحرِّك، فلما الْتَقَى الساكنُ وحروفٌ تجرى مَجْرَى الساكنِ حَذَفْتَ المعتلَّ منها، كما تَحْذف لالتقاء الساكنَيْن.

وقولُه: «دعَتْ نسوةً شُمَّ العَرانين»، الشماء السائغَةُ الأنفِ والمصدرُ الشَّمَمُ.

وقال أحد الشعراء يمدحُ قُثَمَ بنَ العبَّاس:

نَجَوْتِ منْ حِلٍّ وَمِنْ رِحْلَةَ	يَا نَاقَ إنْ قَرَّبْتنى مِنْ قُثَمْ
إنَّك إنْ قَرَّبْتَنِيهِ غَداً	عَاشَ لَنا اليُسْرُ وَمَاتَ العَدَمْ
فى باعِهِ طَولٌ وفى وجهِهِ	نُورٌ وفى العِرْنَيْنِ منهُ شَمَمْ
لم يَدْرِ مَا «لاَ» و«بَلى» قَدْ دَرَى	فعافَها واعْتَاضَ منه «نَعَمْ»

قال أبو الحسن: أنشدنيه أبى لسليمانَ بن قَتَّةَ، وزادنى:

أَصَمُّ عن ذكْرِ الْخَنَا سَمْعُهُ	ومَا عَنِ الْخَيْرِ به مِنْ صَمَمْ

والعرنينُ والمَرْسِنُ والأنْفُ واحدٌ، لِمَا يُحيط بالجميع.

والبُدَّنُ: واحدُها بادنٌ كقولك: شاهدٌ وشُهَّدٌ، وضامرٌ وضُمَّرٌ، وهو العظيمُ

(١) سورة النمل ٢٥.

(٢) سورة البقرة ٢١١.

البَدَن، يقالُ: بَدُنَ فلانٌ، إذا كثر لحمُه، وبَدَّنَ، إذا أَسنَّ. وفى الحديثِ عن رسول الله ﷺ: «إنى قد بَدَّنْتُ، فلا تَسبِقُونى بالركوع والسجود[1]».

والأشْعَثُ والشَّعْثَاءُ: الخاليانِ من الدُّهْنِ، وكان عمرُ بن عبد العزيز يَتَمَثَّلُ:

مَنْ كان حينَ تَمَسُّ الشمسُ جبهتَه ... أو الغُبَارُ يخَاف الشِّينَ والشَّعَثا
ويَأْلَفُ الظِّلَّ كَىْ تَبْقَى بَشَاشَتُه ... فسوفَ يَسكُنُ يومًا راغِمًا جَدَثَا

[قال أبو الحسن، وزادَنى أَبى:

فى بَطْنِ مُظْلِمَةٍ غَبْرَاءَ مُقْفِرةٍ ... كَيْما يُطيل بها فى بطنها اللَّبَثَا
تَجَهَّزِى بجَهَازٍ تَبْلُغِينَ به ... يا نَفْس واقْتَصِدِى لم تُخْلَقِى عَبَثَا]

[لعمر بن أبى ربيعة فى أم عمر بنت مروان]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبِيعة[2]: ونَظَرَ إلى أُم عمرَ بنت مَرْوانَ بن الحكَمِ، وكانتْ صارتْ إليه متنكِّرَة، فَرَأَتْهُ وقَضَتْ من مُحادثته وَطَرًا، ثم انصرفتْ، فلما رجعَتْ منْ منَى عرفَهَا، فعلمتْ ذلك، فبعثَتْ إليه: لا تَرْفَعْ بى صوتًا، وأهدتْ له ألفَ دينار، فاشتَرَى بها عطْرًا وبزًّا وأهداهُ لها، فأَبَتْ أن تَقْبَله، فقال: إِذًا والله أُنْهِبَهُ فيكونَ أَذْيَعَ له فقَبِلَتْه، وفى ذلك يقولُ:

وكَمْ منْ قَتيلٍ لا يُبَاءُ به دَمٌ ... ومن غَلَقٍ رَهْنًا إذا ضَمَّهُ منىَ
وكَمْ مَالىءِ عينيه منْ شَىْءِ غيْرِه ... إذا راح نَحوَ الجَمرَةِ البيضُ كالدُّمَى
يُجَرِّرْنَ أذيالَ المُرُوط بأَسْوُقٍ ... خِدَالٍ إذا ولَّيْنَ أعجازُها روَى
أوانسُ يَسلُبْنَ الحَليمَ فُؤَادَهُ ... فَيَا طولَ ما حزْنٍ ويا حُسْنَ مُجْتَلَى!
فلمْ أرَ كالتَّجْميرِ مَنْظَرَ ناظرٍ ... ولا كَلَيَالِى الْحجِّ أفتَنَّ ذا هوَى

وفيها أيضًا يقول:

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابْتكارا ... قد قَضَى من تِهامَة الأوْطارَا
ليْتَ ذا الحَجِّ كان حَتْمًا علينا ... كلَّ شَهْرَيْنِ حَجَّةً واعْتِمارَا

---

(١) زيادات ر: «من رواه: «بدنت»، بضم الدال فقد أخطأ؛ لأن «بدن» بمعنى ضخم، ولم يكن من صفته عليه السلام أنه ضخم الجسم، ولكنه الرجل بين الرجلين، ومعنى «بدن» بالتشديد، أسن.

(٢) ر: «عمر بن أبى ربيعة» وما أثبته عن الأصل، س.

قوله:

* وكَمْ مِنْ قَتيلٍ لا يُباءُ به دَمٌ *

يقولُ: لا يُقادُ به قاتلُهُ، وأصلُ هذا أنه يقال: أبَأْتُ فلانًا بفلان، فباء به، إذا قتلْتَه به، ولا يكادُ يُستعملُ هذا إلاَّ والثانى كُفء للأوَّل، فمن ذلك قولُ مُهَلْهِلِ ابن ربيعةَ، حيثُ قَتَلَ بُجَيْرَ بنَ الحارث بن عُبَاد، فقيلَ للحارث ـ ولم يكنْ دَخَلَ فى حربهم: إنَّ ابنَك قُتِلَ، فقال: إنَّ ابنَى لأعظَمُ قتيلٍ بركةً، إذْ أَصْلَحَ اللهُ به بَيْنَ ابْنَى وَائِلٍ، فقيلَ له: إنه لَمَّا قُتِلَ قالَ مُهَلْهِلٌ: بُؤْبِشسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ[1]، فعندَ ذلك أدْخل الحارثُ يدَه فى الحرب، وقال:

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ منِّى | لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ[2]
لا بُجَيْرٌ أغْنَى قَتِيلاً ولاَ رَهْـ | ـطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عن ضَلاَلِ
لم أكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللهُ | وإنِّى بِحَرِّهَا اليومَ صَالِى

وقالت لَيْلَى الأخْيَلِيَّةُ:

فإنْ تكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فإنكم | فتًى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بن عَامِرِ

وقال التَّغْلَبِىُّ[3]:

ألا تَنْتَهِى عَنَّا مُلُوكٌ وتَتَّقِى | مَحَارِمَنَا لا يَبْؤُ الدَّمُ بالدَّمِ

ويقالُ: بَاءَ فلانٌ بذَنْبِهِ، أى. بَخَعَ به وأقرَّ، قال الفرزدقُ لمعاوِيةَ:

فلو كان هذا الحكمُ فى غير مُلْكِكُم | لبُؤْتُ به أوْ غَصَّ بالماء شَارِبُه

ويقالُ: باءَ فلانٌ بالشىء، من قولٍ أو فعلٍ، أى احتمله فصَارَ عليه.

وقال المفسِّرون فى قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿**إنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بإثْمِى وإِثْمِكَ**﴾[4]، أى يَجتمعَا[5] عليك فَتَحْمِلهما.

---

(١) الشسع: الزمام الذى يكون بين الإصبع الوسطى والتى تليها.
(٢) مربط: اسم مكان الربط، والنعامة: اسم فرسه.
(٣) هو جابر بن حنى؛ وفى ر: «عمر بن حبى»، وهو خطأ صوابه من الأصل، س.
(٤) سورة المائدة ٢٩.
(٥) كذا فى الأصل، ر، وفى س: «يجتمعان».

وأما قولُه: «ومنْ غَلَق رَهْنٍ[1]» فَمنَ جَرَّ فهــو مِن قولهم: رَهْنٌ غَلَق، فلما قَدَّمَ النعــتَ اضطراراً أَبْدَلَ منه المنعوتَ، ولو قــال: «ومِنْ غَلَقٍ رَهْنًا» فنصَبَ على الحال من المعرفة بَقِيَ الاسمُ المضمرُ فى «غَلَقٍ».

وقولُه: «إذا ضَمَّهُ منِّى» فإنما سُمِّــيَتْ «منًى» لما يُمْنَى فيها من الدَّم، يقالُ فى المنىِّ ـ وهى النُّطْفَة ـ مَنَى الرجلُ وأمْنَى، والقراءةُ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾[2]. ويقالُ: مَذَى الرجلُ وأَمْذَى، ووَدَى وأَوْدَى، فقولهم: وَدَى، يعنى البِلَّةَ[3] التى تكونُ فى عَقِبِ البَوْلِ كالَمْذِى، وأمَّا المذى فيَعْتَرِى من الشَّهْوَةِ والْحَرَكَة.

وقال علىٌّ بن أبى طالب رحمه الله: كلُّ فَحْلٍ مَذَّاءٌ.

ومن كلامِ العَــرب: كلٌّ فحلٍ يَمْــذِى وكلُّ أُنْثَى تَقْذِى، وهو أن يكــونَ منها مثلُ المَذْى، والـ «مَنَى» موضعٌ آخرُ، يقالُ: مَنَى اللهُ لك خيرًا، أى قدَّر لك خيرًا، ويقال: مَنَى اللهُ أَنْ أُلْقَى فلانًا، أى قَدَّرَ،والمَنِيَّةُ منْ ذَا، يقال: لَقِىَ فلانٌ مَنِيَّتَه، أى ما قُدِّرَ له من الموت، فأمَّا المَنِيئَةُ (بالهمز) فهى المَدْبَغَةُ، وهى المكانُ الذى يُدْبَغُ فيه.

وقولُه:

* إذا راح نحوَ الجَمرَةِ البِيضُ كالدُّمَى *

الجمرةُ إنما سُمِّيَتْ لاجتماعِ الْحَصَى فيها، ومنْ ثَمَّ قيلَ: لا تجمِّرُوا المسلمين فتَـفْتِنُوهم وتَفْتِنُوا نســاءَهم، أى لا تجْمَعُــوهم فى المَغَازى، والتَّجــميرُ التَّجْـميعُ. وكذلَك قـيل فى جَـمَرات العرب. وهم: بنو نُمَيْر بـن عامـر بـن صَعْصَـعَةَ، وبـنو الحارث بن كعب بن عُلَةَ بن جَلْد، وبنو ضَــبَّةَ بن أدِّ بن طَابخَةَ، وبنو عَبْسٍ ابن بغيض ريْث. لأنهم تجَمَّعُوا فى أنفسهم ولـم يُدْخلُوا معهم غيرهم. وأبو عُبيدةَ لم يعْدُدْ فيهمَ عَبْسًا فى كتاب «الديبـاجِ»ولكنه قال: فَطَفِئَتْ جَمْرَتان،وهما بنو ضَبَّةَ ـ لأنها صــارَتْ إلى الرِّباب فحــالفَتْ ـ وبنو الحارث،لأنها صــارَتْ إلى مَذْحجٍ، وبَقِيَتْ بنو نُمَيْر إلى الساعة، لأنها لم تُحالفْ، وقالَ النُّمَيرىُّ يُجيبُ جريرًا:

نُمَيْــرٌ جَمْــرَةُ الـعَـرَبِ التى لم ... تَزَلْ فى الحـرب تلْتَـهب الْتِـهَابَا
وإنِّى إذْ أسُـبُّ بهــا كُـلَيْـبًــا ... فَـتَحْـتُ عليـهمُ لِلْخَسْـفِ بَابَا

(١) رسمت فى ر، وتحتها كسرتان وفوقها فتحتان.

(٢) سورة الواقعة ٥٨.

(٣) زيادات ر: «بكسر الباء رواية عاصم، وبفتحها رواية ابن سراج».

وقال في هذا الشعرِ:

ولولا أنْ يقالَ هَجَا نُمَيْراً ... ولم تَسْمَعْ لشاعرِها جَوابَا
رَغِبْنَا عن هِجَاءِ بني كُلَيْبٍ ... وكيفَ يُشَاتِمُ الناسُ الكِلاَبَا!

[لعمر بن أبي ربيعة في الثريا بنت علي]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبي رَبيعَةَ:

لَيْتَ شِعرى هلْ أقُولَنْ لرَكْبٍ ... بفَلاَةٍ هُمْ لديها هُجُوعُ
طالما عَرَّسْتُمُ فاسْتَقِلُّوا ... حَانَ من نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلوعُ
إنَّ هَمِّى قد نَفَى النَّومَ عَنِّى ... وحديثُ النفسِ شيءٌ وَلُوعُ
قال لى فيها عَتيقٌ مَقالاً ... فَجَرَتْ مِمَّا يقولُ الدُّمُوع
قال لى: ودِّعْ سُلَيْمَى، ودَعْهَا ... فَأجابَ القَلْبُ: لا أسْتَطِيعُ
لا تَلُمْنِى فى اشْتِيَاقِى إليها ... وابْكِ لى مِمَّا تُجِنُّ الضُّلوعُ

قولَه:

* حَانَ مِن نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلوعُ *

كنايةٌ، وإنما يريدُ الثُّرَيَّا بنت عليٍّ بن عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّةَ الأصغر، وهُم العَبَلاَتُ، وكانت الثريا وأختُها عائشةُ أَعْتَقَتَا الغَرِيضَ المُغَنِّىَ، واسمُه عبدُ الملك، ويُكْنَى أبا يزيدَ، ويقولُ إسحاق بن إبراهيمَ المُوصِليُّ: إنما سُمِّىَ الغَرِيضُ بالطَّلْع؛ لأن الطَّلْعَ يقالُ له الإغريضُ، وليس هو عندى كما قال، وإنما سُمِّىَ الغَرِيضَ لطَرَاءَته، يقال: لَحْمٌ غَرِيضٌ. وكانت الثُّرَيَّا موصوفة بالجَمال، وتَزَوَّجها سُهَيْل بن عبد الرحمن بن عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ، فَنَقَلَها إلى مصرَ، فقال عمرُ، يَضْرِبُ لهما المَثَلَ بالكَوْكَبَيْن:

أَيُّهَا المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً ... عَمْرَكَ اللهَ، كيفَ يَلْتَقِيَان!
هى شَامِيَّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ ... وسُهَيْلٌ إذا اسْتَقَلَّ يَمَانِى

وقولُه:

* قال لى فيها عَتيقٌ مَقالاً *

يَزْعُمُ الرواة أَنَّ كلَّ شيءٍ ذَكَرَ فيه عَتيقًا أو بكْرًا فإنما يَعْنِى ابنَ أَبى عَتِيقٍ.

[طرف من أخبار ابن عتيق]

وكان ابنُ أبي عتيق من نُسَّاكِ قريشٍ وظُرَفائهم، بل كان قد بَذَّهُمْ ظَرْفًا، وله أخبارٌ كثيرةٌ، سيَمُرُّ بعضُها فى الكتابِ، إنْ شاء اللهُ.

***

فَمِنْ طَرِيفِ أَخباره أَنهُ سَمِعَ وهو بالمدينة قولَ ابن أبى ربيعةَ:

فَمَا نِلْتُ منها مَحْرَمًا غيرَ أَنَّنَا ... كِلانَا من الثَّوْبِ المُطَرَّفِ لابِس

فقال: أَبِنَا يَلْعَبُ ابنُ أبى ربيعةَ! فأَىُّ مُحَرَّمٍ بَقِىَ! فركبَ بغلتَه متوجهًا إلى مكة، فلما دَخَلَ أنْصَابَ الحَرَم، قِيل له: أَحْرِمْ، قال: إن ذا الحاجة لا يُحْرِم، فَلَقِىَ ابنَ أبى ربيعةَ فقال: أَمَا زعمتَ أنك لم تَرْكَبْ حرامًا قَطُّ! قال: بَلَى، قال: فما قولُك:

* كِلانَا من الثَّوْبِ المُطَرَّفِ لابِس *

فقال له: إذًا أخْبِرُكَ! خرجَتْ بعلَّة المسجد، فصرنا إلى بعض الشعَاب، فأخذَتْنا السماء، فأَمَرْتُ بمُطْرَفِى فَسَتَرَنَا الغِلْمانُ به، لئلاَّ يَرَوْا بها بلَّةً فيقولوا: هلاَّ اسْتَتَرْت بسقائفِ المسجدِ! فقال له ابنُ أبى عتيق: يا عَاهِرُ! هذا البيتُ يَحْتَاجُ إلى حاضِنَةٍ.

***

وهو الذى سَمِع قولَ عمر بن أبى ربيعةَ:

مَنْ رَسُولِى إلى الثُّرَيَّا بِأَنِّى ... ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتَابِ !

فلبسَ ثيابَه وركبَ بغلتَه وأَتَى بابَ الثُّرَيَّا، فاستأذنَ عليها، فقالتْ: والله ما كنتَ لنا زَوَّارًا، فقال: أَجَلْ، ولكنِّى جئتُ برسالةٍ، يقولُ لكِ ابنُ عمِّكِ عُمَرُ بن أبى ربيعةَ:

* ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتَابِ *

فلامَهُ عمرُ، فقال له ابنُ أبى عَتِيق: إنما رأيتك مُتَلَدِّدًا تلتمسُ رسولا، فخففْتُ فى حاجَتِك، فإنما كان ثوابى أن أشكرَ.

***

ومن طَرِيفِ أخبارِه أن عائشةَ بنتَ طلحةَ عَتَبَتْ على مُصْعَبِ بن الزُّبير فَهجَرَتْهُ، فقال مصعبٌ: هذه عشرَةُ آلافِ درهمٍ لمنِ احتَال لى أن تُكلِّمَنى، فقال له ابنُ أبى عتيق: عدِّلِ المال، ثم صار إلى عائشةَ، فجعلَ يَسْتَعْتِبُها لمصعب، فقالت والله ما عزْمِى أن أكلمه أبدًا. فلما رَأَى جدَّها قال لها: يا بنتَ عَمٍّ، إنه قد ضمنَ لى إِنْ كلَّمْتِه عشرَةَ آلافِ درهمٍ. فكلِّميه حتَّى آخذَها، ثم عُودِى إلى ما عوَّدَكِ اللهُ.

* * *

ومن أخبارِه أَنَّ مَرْوانَ بنَ الحكَمِ قال يومًا: إِنِّى لَمَشغُوفٌ ببغلةِ الحسنِ رحمهما الله، فقال له ابنُ أبى عتيقٍ: إن دَفَعتُها إليك، أتقْضى لى ثلاثين حاجةً؟ قال: نعم، قال: إذا اجْتَمعَ الناسُ عندك العَشيَّةَ إنى آخُذُ فى مَآثِر قُرِيش، ثم أُمْسِك عن الحسنِ، فَلمْنى على ذلك، فلمَّا أَخذَ الناسُ مجالسَهم أَخَذَ فى مآثرْ قريش، فقال له مروانُ: ألا تَذْكُرُ أوَّلِيَّةَ أبى محمد، وله فى هذه ما ليسَ لأحَدَ؟ فقال: إنما كُنَّا فى ذكْرِ الأشراف، ولو كُنَّا فى ذكر الأنبياء لقَدَّمْنَا ما لأبى محمدً! فلمَّا خرجَ الحسنُ ليركبَ تَبِعَهُ ابن أبى عتيق، فقال له الحسنُ - وتبَسَّمَ -: أَلَكَ حاجةٌ؟ فقال: ذكرتُ البغلة، فنزل الحسنُ ودفعَها إليه.

* * *

ومنْ طَرِيفِ أخبارِه أَنَّ عثمانَ بنَ حَيَّانَ المرىَّ لَمَّا دخلَ المدينةَ واليًا عليها اجتمعَ الأشرافُ عليه من قريشٍ والأنصارُ، فقالوا له: إنك لا تَعْمَلُ عملا أَجْدَى ولا أَوْلَى من تحريمِ الغنَاء والرِّثاء، فَفعَلَ، وأجَّلَهُم ثلاثًا، فقَدمَ ابنُ أبى عتيق فى الليلة الثالثة، فَحَطَّ رَحْلَه بباب سَلاَمةَ الزَّرْقاء، وقال لها: بَدَأْتُ بك قبل أن أصيرَ إلى منزلى، فقالت: أَوَ ما تَدْرِى ما حَدثَ؟ وأخبرَتْه الخبرَ، فقال: أقيمى إلى السَّحَرِ حَتَّى ألقاه، فقالت: إنا نخافُ ألا تُغنِّىَ شيئًا ونُنْكَظَ[1]، فقال: إنه لا بأسَ عليكِ، ثم مَضَى إلى عثمانَ فاستأذنَ عليه، فأخبره أَنَّ أَحَبَّ ما أَقْدَمَهُ عليه حُبُّ التسليم عليه، وقال له: إنَّ منْ أفضلِ ما عَملْتَ به تحريم الغنَاء والرِّثاء. قال: إنَّ أَهلَكَ أشاروا علىَّ بذلك، قال: فإنك قد وُفِّقْتَ، ولكنِّى رسولُ امرأَة إليكَ تقول: قد كانت هذه صِنَاعَتِى فتُبْتُ إلى الله منها، وأنا أسألك أيها الأميرُ ألا تحُولَ بينها

(١) زيادة ر: «تعنى تنالنا شدة».

وبينَ مجاورةِ قبرِ النبيِّ ﷺ، فقال عثمانُ: إذَنْ أَدَعَها لك، قال: إذَنْ لا يَدَعها الناسُ، ولكن تَدْعُو بها فنَنْظُرُ إليها، فإن كان ممَّنْ يُتْرَك تَرَكْتَها، قال: فادْعُ بها، قال: فأمرَها ابن أبى عتيق فتقشَّفت، وأَخَذَتْ سُبْحَةً فى يدها، وصارتْ إليه، وحَدَثَتْهُ عن مآثر آبائه، فَفَكَهَ لها. فقال لها ابنُ أبى عتيق: اقرئى للأمير، ففعلتْ، فأُعْجِب بذاك، فقال لها: فاحْدى للأميرِ، فَحرَّكه حُدَاؤُها، ثم قال لها: غنِّى للأمير، فجعل يُعْجَبُ بذلك عثمانُ، فقال له ابنُ أبى عتيق: فكيفَ لو سمعتَها فى صناعتها! فقال: قُلْ لها فَلْتَقُلْ، فأمَرَها فتَغَنَّتْ:

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لَمَّا دَخَلْنَه ... بكلِّ لَبَانٍ واضِحٍ وجَبِينِ

فنزل عثمانُ بن حَيَّانَ عن سريرِه حَتَّى جلس بين يديها، ثم قال: لا والله، ما مِثْلُكَ يُخْرَجُ عن المدينة! فقال له ابنُ أبى عتيق: إذَن يقولُ الناسَ أَذِنَ لِسَلامَةَ فى المَقَامِ ومَنَعَ غيرَها! فقال له عثمانُ: قد أذنتُ لهم جميعًا.

[لابن نمير الثقفى]

وقال ابنُ نُمَيْرٍ الثَّقَفىُّ:

أَشَاقَتْكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بانُوا ... بذى الزِّىِّ الجميلِ من الأثَاثَ
ظعائنُ أُسْلِكَتْ نَقْبَ المنَقَّى ... تَحُثُّ إذا ونَتْ أَىَّ احْتِثَاثَ
كأنَّ على الظَّعائنِ يَوْمَ بَانُوا ... نعَاجًا تَرْتَعى بَقْلَ البِرَاثَ
يُهَيِّجُنى الحَمَامُ إذا تَغَنَّى ... كما سَجَعَ النَّوائحُ بالمَرَاثى

قولُه: «الظعائنُ» واحدتها ظَعينةٌ، وإنما قيلَ لها: ظَعينةٌ، وهم يريدون مَظْعُونًا بها، كقولك: قتيلٌ، فى معنى مقتول، ثم استُعمل هذا وكَثُرَ حتى قيل للمرأة المقيمة: ظعينةٌ.

وقوله:

* بِذى الزِّىِّ الجميلِ من الأثَاث *

هى الروايةُ الصحيحة، وقد قيلَ بذى «الرِّىِّ الجميلِ» واستَهْوَاهُمْ إليه قولُ الله جلَّ ثناؤه: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِيًّا﴾[1] فالأثاثُ مَتاعُ البيت، والرِّى ما ظَهَرَ من

(١) سورة مريم ٧٤.

الزِّينة، وإنما أُخِذَ من قـولك: رَأَيْتُ، فالرِّئُّ غيـرُ الأثاث والزِّىِّ من الأثاثِ، فمن هاهنا غلطوا.

وقولُه: «أُسْلَكَتْ نَقْبَ المنقَّى»، فالمُنَقَّى مـوضعٌ بعينه، والنَّقب: الطريقُ فى الجبل، والخلُّ: الطَّريقُ فى الرَّمْلِ، فإن اتَّسَعَ الطريقُ فى الجبل وعَلاَ فهو ثَنِيَّةٌ، قال ابنُ الأيهَمِ التَّغْلَبِىُّ:

وتَرَاهُنَّ شُـزَّبًـا كـالسَّـعَـالِى ... يتـطَلَّعْنَ مِـن ثَنايـا النِّقَـابِ[1]

وقولُه:

* نعَاجًا تَرْتَعِى بَقْلَ البِراثِ *

فالنعجةُ عند الـعرب البقرةُ الوَحْشِيَّةُ، وحُكْمُ البـقرةِ عندَهم حُكْمُ الضَّائنةِ، وحُكْمُ الظَّبية عندهم حُكْمُ الماعِزَةِ، والعـربُ تَكْنى بالنعجة عن المرأة وبالشاة، قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هذَا أَخِي لهُ تِسعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[2] وقال الأعْشَى:

فَـرَمَـيْتُ غَـفْلَةَ عَـينه عن شـاته ... فـأصبت حَـبَّةَ قلـبهـا وطِحَالهَـا

يريد المرأة، وأمَّا البَـرَاثُ، فهى الأماكنُ السَّـهلةُ من الرَّمْلِ، واحدُها بَرْثٌ، مفتوحُ موضعِ الفاء من الفعْل، وتقديرُها: كلْبٌ وكِلاَبُ، والسَّجْعُ من الكلام: أَنْ تأتَلفَ أواخرُه على نَسقٍ، كما تأتلفُ القـوافِى، وهو فى البهائِمِ: مُوالاَةُ الصَّوْتِ، قال ابنُ الدُّمَيْنَة:

أَأَنْ سَجَعَتْ وَرْقَاءُ فى رَوْنَقِ الضُّحَى ... على فَنَنٍ غَضِّ النَّبَاتِ من الرَّنْد[3]

[لعمر بن أبى ربيعة]

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ:

قـال لِى صـاحـبى لِيَـعْلَمَ مَـابى ... أَتُحبُّ الـقَـتـولَ أُخـتَ الرَّبَاب؟

قلتُ: وَجْـدى بهـا كوَجْـدكَ بالما ... ءِ إذَا مَـا مُـنعْتَ بردَ الـشَّـرَابِ

مَن رَسـولِـى إلى الثُّـرَيَّـا بأنى ... ضِـقْتُ ذَرْعًـا بهجـرِها والكتـابِ

---

(١) الشذب: الضوامر.

(٢) سورة ص ٢٣.

(٣) زيادات ر: «الرند»: صغار الآس.

سَلَبتْنى مُجاجةُ المسْك عَقْلى ... فسَلُوها بما تحلُّ اغْتصابى[1]؟
أَزْهَقَتْ أمُّ نوفَلٍ إذْ دَعَتْها ... مُهجَتى ما لقَاتلى من متَابِ
حين قالتْ لها أَجيبى فقالتْ ... مَنْ دعَانى؟ قالت أبو الخطّاب
فاستجابتْ عندَ الدُّعاء كما لَبَّى ... رجالٌ يرْجُونَ حُسْنَ الثَّواب
أبرَزُوها مثلَ المَهاة تَهادَى ... بيْنَ خَمْسٍ كَواعبٍ أتْراب
وَهْىَ مكْنُونةٌ تحيَّرَ منها ... فى أديم الخَدَّيْن ماءُ الشَّباب
ثم قالوا: تحبُّها؟ قلتُ: بَهْرًا ... عَددَ النَّجْم والحَصَى والتُّرَاب
دُمْيَةٌ عندَ راهبٍ ذِى اجتهادٍ ... صَوَّرُوها فى جَانبِ المحراب

قوله:

* قلتُ: وَجْدى بها كوَجْدكَ بالماء *

معنًى صحيحٌ، وقد اعْتَوَرَهُ الشعراءُ، وكلُّهم أجادَ فيه.

وقوله:

* إذَا مَا مُنعْتَ بردَ الشَّرَاب *

يريد: عندَ الحاجَة، وبذلك صَحَّ المعنَى. ويُرْوَى عن على بن أبى طالب رحمه الله أنَّ سائلاً سأله، فقال: كيفَ كان حُبُّكم لرسول الله ﷺ؟ فقال: كانَ والله أَحَبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمَّهاتنا ومن الماء البارد على الظَّمأ.

وقال آخرُ ـ وأحْسَبُه قَيْسَ بن ذَرِيحٍ:

حلفت لها بالمشعرين وزمزمٍ ... وذُو العرش فَوْقَ المُقْسِمينَ رَقيبُ[2]

[قال أبو الحسن: ويُرْوَى: «واللهُ فوقَ المُقْسمينَ»، وهو أحبُّ إلىَّ].

لَئِنْ كان بَرْدُ الماءِ حَرَّانَ صَادِيًا ... إلىَّ حبيبًا إنَّها لحبيبُ

وقال القُطَامىُّ:

يَقْتُلْنَنَا بحديث ليس يَعْلَمُه ... مَنْ يَتَّقينَ ولا مَكنُونُه بَادى
فهنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَولٍ يصِبْنَ به ... مَوَاقِعَ الماءِ مِن ذى الغُلَّة الصَّادى

والقولُ فيه كثيرٌ.

(١) قال المرصفى: مجاجة المسك: ومجتها التى تنفح رائحة المسك.
(٢) أراد بالمشعرين، المشعر الحرام فثناه، وهو موضع بالمزدلفة، قاله المرصفى.

وقولُهُ:

* ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتابِ[1] *

قوله: «والكتابِ» قَسَمٌ.

وقولُهُ:

* أَزْهَقَتْ أمُّ نوْفَلٍ إذْ دَعَتْها مُهْجَتِى *

تأويلُه: أَبْطَلَتْ وأَذْهَبَتْ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[2] ولِلزَّاهِقِ موضع آخرُ، وهو السَّمِين المُفْرِطُ، قال زُهَيْرٌ:

القـائد الخـيل منكوبا دوائرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم[3]

وقولُهُ: «ما لِقَاتِلى من مَتاب» يقولُ: من توبة، والمصدَرُ إذا كان بزيادة الميم من «فَعَلَ يَفْعُلُ» فهو على «مَفْعِل» قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾[4]، وأما قولُهُ جلَّ ذكره: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[5] فيكونُ على ضَرْبَيْنِ، يكونُ مصدرًا، ويكون جِمَاعًا. فالمَصدرُ قَوْلُك: تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا، كقولك: قال يقولُ قولا.

والجمعُ تَوْبَةٌ وتَوْبٌ، مثلُ تَمْرةٍ وتَمْرٍ، وجَمْرَةٍ وجَمْرٍ.

وقولُهُ:

* أَبْرَزُوها مثلَ المَهاةِ تَهَادَى *

المَهَاةُ: البقرةُ فى هذا الموضعِ، وتُشَبَّهُ المرأةُ بالبقرة من الوَحْشِ لِحُسْنِ عينيها ولِمشْيَتِها، والبقرة يقالُ لها: العَيْنَاءُ، والجِماعُ، العِينُ، وكذلك يقالُ للمرأةِ. وتكونُ المَهَاةُ البِلَّوْرَةَ فى غير هذا الموضعِ.

وقولُه: «تَهَادَى» يريدُ: يَهْدِى بعضُها بعضًا فى مِشْيَتِها، ومِشْيَة البقرةِ تستَحْسَنُ، قال ابنُ أبى ربيعةَ:

---

(١) الذرع: الطاقة.

(٢) سورة الأنبياء ١٨.

(٣) قال المرصفى: منكوبا، من نكبت الحجارة الحافر تنكب أصابته فأمسته.

(٤) سورة الفرقان ٧١.

(٥) سورة غافر ٣.

أبْصَـرْتُهَـا لَيْلَةَ ونِسْـوَتَهَـا ... يَمْـشِينَ بين المَقَـامِ والْحَـجَـرِ
يَمْـشِينَ فى الـرَّيْطِ والمُرُوطِ كـمـا ... تَمشِى الهُـوَيْنَى سـواكِنُ البَـقَـرِ

وقولـه: «كواعب» الواحـدةُ كاعِبٌ، وهى التى قـد كَعَّبَ ثَدْيَاهَا للنُّـهُود. أتْرَابٌ أقرانٌ، ويقال: تِرْبُ فلانٍ.

والممْكورَةُ: المكتَنِزَة.

وقولُه:

* ثم قالوا: تحِبُّها؟ قلتُ: بَهْرًا *

قال قومٌ: أراد بقوله: «تُحِبُّهَا» الاستفهامَ، كما قال امرؤ القَيْسِ:

* أحارِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ *

فحذَفَ ألفَ الاسـتفهام، وهو يريدُ «أتَرَى»، وقالوا: أرادَ «أتُحِـبُّها»، وهذا خَطأ فاحشٌ، إنما يجوز حذفُ الألفِ إذا كان فى الكلامِ دليلٌ عليها، وسنفسرُ هذا ونذكُرُ الصَّوابَ منه إن شاء الله.

قوله: «تُحِبُّهَا» إيجـابٌ عليه، غيرُ استفهامٍ، إنما قـالوا: أَنْتَ تُحبها، أى قد علمنا ذاكَ، فهذا معنًى صحيحٌ لا ضرورَةَ فيه.

وأمَّا قولُ امرؤ القيسِ فإنما جازَ لأنه جعَلَ الألف التى تكونُ للاستفهام تنبيهًا للنِّداء، واسْتَغْنَى بها، ودلَّتْ على أَنَّ بعـدها ألفًا منويَّةً، فحُذفَتْ ضرورةً، لدلالَة هذه عليهـا، ونظيرُ قولِ امـرئ القيسِ: «أحَـارِ تَرَى بَرْقًا» فاكـتفى بالألفِ عَن أن يُعيدَها فى «تَرَى» قولُ ابنِ هَرْمَةَ:

وَلاَ أرَاهــا تَــزَالُ ظَــالمــةً ... تُظْهِــرُ لى قَــرحَــةً وتَنْـكَؤُهَا

اسْتَغْنَى بلا الأولى عن إعادتها، كما قال التَميمىُّ، وهو اللَّعينُ المِنْقَرىُّ:

لعَـمْرُكَ مـا أَدْرى وإنْ كنتُ داريًا ... شُعَيْثُ بْنُ سَـهْمٍ أم شُعَيْثُ بنُ مِنْقرِ

يريدُ «أَشُعَيْث» فدَلَّتْ «أمْ» على ألفِ الاستفهام، وقال ابن أبى ربيعةَ:

لَعَـمْرُكَ مـا أَدْرى وإنْ كنتُ دَارِيًا ... بِسَبْعٍ رَمَـيْنَ الْجَـمْـرَ أَمْ بثَـمـانِ

مثل ذلك: وبيتُ الأخْطَلِ فيه قَوْلَانِ، وهو:

كَـذَبَتْكَ عَيـنُكَ أمْ رأيتَ بِواسِطٍ ... غَلَسَ الظَّلَامِ مِـن الرَّبَابِ خَيَـالاَ

قال: أراد: «أكَذَبَتْكَ عينُكَ» كما قلنا فيما قبلَه، وليس هذا بالأجوَد، ولكنَّه ابْتَدَأ مُتَيَقنًا ثم شَكَّ، فأدخلَ «أم» كقولك: «إنها لإبِلٌ» ثم تَشُكُّ فتقولُ: «أمْ شاءٌ» يا قَوْمِ.

وقولُه: «قلتُ بهرًا» يكونُ على وجهين: أحدُهما: حُبًّا يَبْهَرُنى بَهْرًا.

أى يَمْلَؤُنى، ويقالُ للقمر ليلةَ البدرِ: بَاهِرٌ، أى يَبْـهَرُ النُّجوم، يمْلَؤُها، كما قال ذو الرُّمَّة:

* كما يَبْهَرُ البدرُ النُّجومَ السَّوَارِيَا *

وقال الأعشَى:

حَكَّمْـتُـمُـوهُ فَـقَـضَى بـينَكُمْ أبْلجُ مِـثلُ القـمـرِ البـاهِرِ

والوجهُ الآخرُ: أن يكونَ أرادَ «بَهْرًا لكم» أى: تَبًّا لكم حيث تلومونَنِى على هذا، كما قال ابن ميادة[1]:

تَفَاقَـدَ قَوْمِى إذْ يبـيعـونَ مُهْـجَتِى بجـارِيةٍ بَهْـرًا لهـم بَعْـدَهَا بَهْـرَا

وقولُه:

* عَدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرَابِ *

فيـه قولان: أحـدُهما أنه أراد بالنَّجم النـجومَ، وَوَضَعَ الواحدَ فـى موضعَ الجمع، لأنه للجنس، كما تقولُ: أهْلَكَ الناسَ الدرهمُ والدينارُ، وقد كَثُرَت الشَّاة والبعـيرُ، وكما قـال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**إنَّ الإنْسَـانَ لَفِى خُسْـرٍ * إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[2].

وقال الشاعر:

فبـاتَ يَعُدُّ الـنَّجمَ فى مُسْـتحِـيرَةٍ سـريعٍ بأيدى الآكـلين جُـمـودُها

يريدُ النجومَ، ويعنى بالمستحيرة إهالةً[3]. والوجهُ الآخـرُ أن يكونَ النجمُ ما نَجَمَ من النَّبْـتِ، وهو مـالم يَقُمْ على سـاقٍ، والشـجـرُ مـا يقـومُ على سـاقٍ.

---

(١) فى ر، س: «ابن مفرع» وصوابه من الأصل.

(٢) سورة العصر ٢، ٣.

(٣) الإهالة: ما أذيب من الشحم.

واليَقطينُ: ما انتشر على وجه الأرض. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[1]، وقال الحرث بن ظالمٍ، للأسوَد بن المُنْذِر بن ماء السماء:

أَخُصْيَىْ حِمَارٍ بات يَكْدِمُ نَجْمةً ... أيُؤْكَلُ جيرانى وجارُكَ سالِمُ !

ومن طريف شعره وله:

فلمَّا فَقَدْتُ الصَوْتَ منهم وأُطْفِئَتْ ... مَصَابيحُ شُبَّتْ بالعشاء وأنْؤُرُ
وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَهُ ... وروَّحَ رُعْيَانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ
وَنَفَّضْتُ عنِّى العينَ أقبلتُ مِشْيَةَ الْـ ... ـحُبَابِ ورُكْنى خيفةَ القَوْمِ أَزْوَرُ
فَحَيَّيْتُ إذْ فاجَأْتُها فَتَوَلَّهَتْ ... وكادتْ بمكنونِ التَّحِيَّة تَجْهَرُ
وقالت وَعَضَّتْ بالبَنَان: فَضَحْتَنى ... وَأَنْتَ امْرُؤٌ ميسورُ أمرِكَ أَعْسَرُ
أَرَيْتَكَ إذْ هُنَّا عليكَ ألم تَخَفْ ... رَقيبًا وَحَوْلى من عَدُوِّكَ حُضَّرُ
فوالله ما أدْرى أَتَعْجيلُ حاجة ... سرَتْ بكَ أم قد نامَ مَنْ كنتَ تَحْذَرُ
فقلتُ لها: بل قادَنى الشَّوْقُ والهَوى ... إلَيْكِ ومَا عَيْنٌ من الناس تَنْظُرُ
فَيالَكَ من ليلٍ تَقَاصَرَ طُولُهُ ... ومَا كانَ لَيلى قبلَ ذلك يَقْصُرُ
ويا لَكَ من مَلْهًى هُناكَ وَمَجْلسٍ ... لَنَا لم يُكَدِّرْهُ علينا مُكَدِّرُ
يمجُّ ذَكِىَّ المسك منها مُفَلَّجٌ ... رقيقُ الْحَوَاشى ذو غُرُوبٍ مُؤَشَّرُ
يرفُّ إذا يَفْتَرُّ عنه كأنَّه ... حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُوَانٌ مُغَوِّرُ
وتَرْنو بعينيها إلىَّ كما رنَا ... إلى رَبْرَبٍ وَسْطَ الخَميلَة جُؤْذَرُ
فلما تَقَضَّى اللَّيلُ إلا أَقلَّهُ ... وكادتْ تَوَالى نجمه تَتَغَوَّرُ
أَشارتْ بأَنَّ الحىَّ قد حَانَ منهمُ ... هُبُوبٌ ولكنْ مَوْعِدٌ لَكَ عَزْوَرُ
فما رَاعَنى إلاَّ مُنَادٍ برِحْلَة ... وَقد لاحَ مَفْتُوقٌ من الصُّبْحِ أشْقَرُ
فلمَّا رأتْ مَنْ قَدْ تَثَوَّرَ منهمُ ... وَأَيْقَاظَهُمْ قالت أشِرْ كيفَ تأمُرُ
فقلت: أُبَاديهم فإمَّا أَفُوتهمْ ... وإمَّا يَنَالُ السيفُ ثَأْرًا فَيَثْأَرُ
فَقَالتْ: أتحقيقًا لمَا قال كاشِحٌ ... علينا، وتَصْديقًا لمَا كانَ يُؤْثَرُ !
فإن كانَ مالا بُدَّ منه فغَيْرُه ... من الأمرِ أَدْنَى للخفاء وأسْتَرُ
أقُصُّ عَلَى أُخْتَىَّ بَدْءَ حديثنا ... وَمَالِىَ من أَنْ تَعلمَا مُتَأَخَّرُ

---

(١) سورة الرحمن ٦.

لَعَلْهُمَا أَنْ تَبْغِيا لَكَ مَخْرَجا ... وَأَنْ تَرْحُبا سَرْبًا بما كُنْتُ أَحْصَرُ
فقامت كَئيبًا ليس فى وجهها دَمٌ ... من الحزن تُذْرى عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ
فقالت لأخْتَيْهَا: أعينَا على فتًى ... أتىَ زائرًا والأمْرُ للأمر يُقْدَرُ
فأقْبَلَتَا فارتَاعَتَا ثم قالتَا: ... أَقلىِّ عليك الهَمَّ فالْخَطْبُ أيْسَرُ
يَقُومُ فَيَمْشى بيننا مُتَنَكِّرًا ... فَلا سِرُّنَا يَفْشو ولا هُوَ يَظْهَرُ
فكان مَجَنِّى دُونَ مَنْ كنت أتَّقى ... ثلاثُ شُخُوص كاعبَان وَمُعْصِرُ
فلمَّا أجزْنَا ساحةَ الحَىِّ قُلْنَ لى: ... أَلَم تَتَّقِ الأعداءَ وَاللَّيلُ مُقْمِرُ!
وَقُلْنَ: أهذا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سَادِرًا ... أمَا تَسْتَحِى أو تَرْعَوِى أو تُفَكِّرُ!

* * *

قوله «شبَّتْ» يقول: أُوقدَتْ، يقالُ: شَبَبْت النار والحرْبَ، أى أوْقَدْتُهما.

وقوله: «وأنْؤُر» إنْ شئتَ همزْتَ، وإن شئتَ لم تهمْزِ، وإنما الهمزُ لانضمامِ الواوِ، وقد مضى تفسيرُ هذا.

وقوله: «قُمَيرٌ»، إنما صَغَّره؛ لأنهُ نَاقصٌ عن التَّمام، وهذا فى أول الشهر، وكذلك يُصَغَّرُ فى آخر الشهر؛ لأن النقصانَ فيهما واحدٌ، قال عُمَرُ:

وقُمَيرٌ بَدَا ابنُ خَمْسٍ وعشريـ ... ـنَ له قالت الفَتَاتَان قُوما

وقوله: «رُعْيَانٌ» يريد جمعَ الرَّاعِى، ومثلُه: راكبٌ ورُكْبانٌ، وفارِسٌ وفُرْسانٌ.

والسُّمَّرُ: جمعُ السَّامِرِ، وهم الجماعةُ يتحدَّثون ليلاً.

والحُبَابُ: حَيَّةٌ بعينه.

وقوله: «ونَفَّضْتُ عَنِّى العَيْنَ» يقول: احترستُ منها وأمِنْتُها، والنَّفَضَة: أمَامَ العَسْكرِ: القومُ يتقدَّمون فيَنْفُضُونَ الطريقَ.

وقوله: «أزْوَرُ»، يعنى متجافيًا، يقال: تزاور فلانٌ، إذا ذهبَ فى شقٍّ.

وقوله: «ذُو غُرُوبٍ»، غَرْبُ كلِّ شيءٍ: حَدُّه، وإنما يعنى الأسنانَ.

وقوله: «مُؤَشَّرٌ» يعنى له أُشرٌ، وهو تشْريرُ الأسْنانِ فى قول الناس جميعًا، يقال: لأسنانه أُشُرٌ، فهذا الشائعُ الذائعُ، وأمَّا الشَّنَبُ، فهو عندهم جميعًا بَرْدٌ فى الأسنان.

وحدَّثنى الرِّيَاشِىُّ عن ابنِ عائشــةَ قال: أخذَ أبى حَبَّةَ رُمَّانٍ بين إصبْـعَيْه فإذا هى تَرِفُّ، فقال: هذا الشَّنَبُ.

وقولُه:

* وكادتْ تَوَالى نجمه تَتَغَوَّرُ *

التَّوالِى: التوابعُ، وتَتَغَوَّرُ: تَغُورُ فتَذْهَبُ، وهو مأخوذ من الغَوْرِ.

وقوله: «أَشارتْ بأَنَّ الحىَّ قــد حَانَ منهمُ هُبُوبٌ» يقول: انتبـاهٌ، يقال: هَبَّ من نومه يَهُبُّ، قال عمرُو بن كُلْثُومٍ:

أَلاَ هُبىِّ بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ولا تُبـقِى خـمــورَ الأنْـدَرِينا

وقال الآخرُ:

هَبَّتْ تلُومُ وليستْ ساعةَ اللاَّحِى هَلا انتظرتِ بهـذا اللَّومِ إِصْبـاحِى

وعَزْوَرُ: موضع بعينه.

وقوله: «وأَيْقَاظَهُمْ» جمعُ يَقُظ.

وقوله: «فقــالتْ أتَحْقِيقًا» أى أَتَفْـعلُ هذا تَحقيقًــا، ومن كلام العربِ: أَكُلَّ هذا بخْلاً! وذاكَ أنهُ رآهُ يفعلُ شيئًا أنْكَرَهُ فقال: أتفعلُ كلَّ هذا بخلاً!

وقوله: «أبادِيهِمْ» أظْهَرُ لهم، غيرَ مهمــوز يقال. بَدَا يَبْدُو، غيرَ مهموزٍ، إذا ظَهر، وبَدَأْتُ بهذا مهموزٌ، إِذَا أردتَ به معنى الأَوَّلِ.

وقوله: «بَدْءَ حديثِنا» يريد أوَّلَ حديثِنا.

وقوله: «أَنْ تَرْحُبا» يريد: أن تَتَّسِعَــا أى تَتَّسِعَ صدورُهما، من قولهم: فلانٌ رَحيبُ الصَّدْرِ.

وقوله: «أَحْصَرُ» أضيقُ به ذَرْعًا، قد مضى تفسيرُه.

وقول: «مِجَنِّى» يريد تُرْسِى.

وقوله: «ثَلاَثَ شُخُوصٍ» والوجهُ «ثلاثةَ أشْخُصٍ» ولكنه لَمَّا قَصَدَ إلى النساء أَنَّثَ على المعنى، وأبانَ ما أرادَ بقوله: «كاعِبَانِ ومُعْصِرٌ».

ومثلُه قولُ الشاعرِ:

فـــإنَّ كِـلابًا هذه عَـــشْـــرُ أبْطُنٍ   وأنتَ برىءٌ من قَـبـائلها الـعشْـرِ

فقال: «عـشْرُ أبْطُنٍ»؛ لأن البطنَ قبيلةٌ، وأبانَ ذلك فى قوله: «من قـبـائلها العَشْرِ»، وقال الله جلَّ وعزَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَة فَلَهُ عَشْـرُ أمْثَالِهَا﴾[1] لأن المعنى حسناتٌ.

ويُرْوَى أن يزيدَ بن مـعاوية لَمَّا أرادَ توجـيهَ مُسْلم بـن عُقْبَـةَ المرِّىِّ إلى المدينة اعترضَ الناسَ، فمرَّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْسٌ قبيحٌ، فقال له: يا أخا أهلِ الشأم، مَجِنُّ ابن أبى ربيعةَ أحسنُ من مَجِنِّكَ! يريدُ قولَ ابن أبى ربيعة:

فكانَ مَــجنِّى دونَ مَــنْ كنتُ أتقِى   ثلاثَ شخُـوصٍ كاعِـبَانِ ومُعْـصِرِ

وقوله: «أما تستحى»، يريد: «تستحيى» وله تفـسير يبعد فى العربية قليلا، وسنذكره بعد هذا، إن شاء الله.

---

(١) سورة الأنعام ١٦٠.

بابـ

[عمر الوادي والعبد الأسود]

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ أن عُمَرَ الوَادِيَّ قال: أَقبلتُ من مكةَ أُريدُ المدينةَ، فجعلتُ أَسيرُ فى صَمْدٍ[1] من الأرضِ، فسمعتُ غناءً من القَرارِ[2] لم أَسمعْ مثلَه، فقلتُ: واللهِ لأتوصَّلَنَّ إليه ولو بذهابِ نفسى، فانحدرتُ إليه، فإذَا عبدٌ أَسْوَدُ، فقلتُ له: أَعِدْ علىَّ ما سمعتُ، فقال لى: واللهِ لو كان عندى قِرًى أَقْرِيكَ ما فعلتَ، ولكنِّى أجعلُه قِرَاكَ، فإنِّى [واللهِ[3]] رُبَّمَا غَنَّيْتُ هذا الصوتَ وأنا جائعٌ فأشْبَعُ، وربما غنيتُه وأنا كَسْلانُ فأنْشَطُ، وربما غنيتُه وأنا عطشانُ فأَرْوَى، ثم انبرَى يُغَنِّينى[4]:

وكنتُ إذا ما زُرْتُ سُعْدَى بأَرْضِها ... أَرَى الأرض تُطْوَى لى ويَدْنُو بَعيدُها
مِنَ الخَفِرَاتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيسُهَا ... إذا ما انقضت أُحْدُوثَةٌ لو تُعِيدُهَا[5]

[وبعدَهُ:

تُحَلِّلُ أَحْقَادى إذا مَا لَقِيتُها ... وتَبْقَى بلا ذَنْب علىَّ حُقُودُها
وكيفَ يُحِبُّ القَلْبُ مَن لاَ يُحِبُّهُ ... بَلَى قد تريدُ النَّفْسُ مَنْ لا يُرِيدُها][6]

قال عمرُ: فحفظتُه عنه، ثمَ تَغَنَّيْتُ به على الحالاتِ التى وَصَفَ، فإذَا هو كما ذكَرَ.

[خالد صامة والوليد بن يزيد]

وتَحدَّثُ الزبيْرِيونَ عن خالد صَامَةَ أنهُ كَانَ منْ أَحسنِ الناسِ ضربًا بعُودٍ[7]، قال: فَقَدِمْتُ على الوَلِيد بن يزيدَ، وهو فى مجلسٍ ناهيكَ به مجلسًا! فألفَيْتُه على سَرِيره، وبين يديه مَعْبدٌ، ومالكُ بن أبى السَّمْحِ، وابنُ عائشَةَ، وأبو كامل غُزَيِّلٌ الدِّمَشْقِيُّ، فجعلُوا يُغَنُّونَ، حتى بلغتِ النَّوْبَةُ إلىَّ فَغَنَّيْتُهُ:

(١) الصمد: المكان المرتفع من الجبال، وفى ر: «صرد».
(٢) القرار: المطمئن من الأرض.
(٣) تكملة من س. (٤) س: «يغنى».
(٥) ر: «إذا ما قضت أحدوثة».
(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر.
(٧) كذا فى الأصل، ر، وفى س: «بالعود».

سَرَى هَمِّى وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِى ... وغَارَ النَّجْمُ إلاَّ قِيدَ فِتْرِ
أُرَاقِبُ فى المَجَرَّةِ كلَّ نَجْمٍ ... تَعَرَّضَ أَوْ عَلَى المَجْرَاةِ يَجْرِى
لِهَمٍّ مَاأَزالُ له قَرِينًا ... كأنَّ القلبَ أُبْطِنَ حَرَّ جَمْرِ
عَلى بَكْرٍ أخِى فَارَقْتُ بَكْرًا ... وأىُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرِ!

فقال لى: أَعِدْ يا صامُ[1]، ففعلتُ، فقال لى: مَنْ يقولُ هذا الشعرَ؟ فقلتُ: هذا يقولُه عُرْوَةُ بن أُذَيْنَةَ يرثى أَخَاهُ بَكْرًا، فقال لى الوليدُ:

* وأىُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرِ *

هذا العيش الذى نحنُ فيه، واللهِ قد تَحَجَّرَ واسِعًا على رَغْمِ أَنْفِهِ.

وحُدِّثْتُ أن سُكَيْنَةَ بنت الحسين أُنْشِدَتْ هذا الشعرَ، فقالت: ومَنْ بَكْرٌ؟ فوُصِفَ لها، فقالت: أَذَاكَ الأُسَيِّدُ الذى يَمُرُّ بنا؟ واللهِ لقد طاب كلُّ شىءٍ بعدَ ذاكَ، حَتَّى الخبزُ والزيتُ.

[من أخبار يزيد بن عبد الملك]

ورَوى أصحابُنا أن يزيدَ بنَ عبد الملك - وأُمُّهُ عاتكَة بنتُ يزيدَ بن معاويةَ، وإليها كان يُنْسَبُ - قال يومًا: يقالُ: إنَ الدنيا لم تَصْفُ لأحد قَطُّ يومًا، فإذا خَلَوْتُ يومى هذا فاطْوُوا عَنِّى الأخبار، ودَعُونى ولَذَّتى وما خَلَوْتُ له، ثم دعا بحَبَابَةَ، فقال: اسْقِينى وغَنِّينى، فَخَلَوَا فى أطيب عَيْشٍ، فتناولتْ حَبَابَةُ حَبَّةَ رُمَّان، فوضعتها فى فيها، فَغَصَّتْ بها فماتت، فَجَزِعَ يزيدُ جَزَعًا أَذْهَلَه ومَنَعَ من دَفْنِهَا، حتى قال له مشايخُ بنى أُمَيَّةَ: إن هذا عيبٌ لا يُسْتَقالُ، وإنما هذه جيفة، فأَذِنَ فى دفنها، وتَبِعَ جنازَتَهَا، فلمَّا وَارَاها قال: أَمْسَيْتُ واللهِ فيكِ كما قال كُثَيِّرٌ:

فإن تسْلُ عنك النفسُ أو تَدَعِ الهَوَى ... فباليأسِ تَسْلو عنك لا بالتَّجَلُّدِ
وكلُّ خليلٍ راءَنِى فهو قائلٌ ... من اجْلِكِ: هذا هَامَةُ اليومِ أو غَدِ

فَعُدَّ بينهما خمسةَ عشرَ يومًا.

(١) صام، بالترخيم.

وقوله: «رأَنِى» يريد «رآنى»، ولكنه قَلَبَ، فأَخَّرَ الهمـزةَ. ونظيرُ هذا من الكلامِ «قِسِىٌّ» فى جمعِ «قَوْسٍ» وإنما الأصلُ «قووسٌ» ولَمَّا أَخَّرَ الواوَيْنَ أَبْدَلَ منهما ياءَيْنِ، كمـا يجب فى الجمعِ، وتقولُ دَلْوٌ ودُلِىٌّ، وعات وعُـتِىٌّ وإن شئتَ قلتَ: عِتِىٌّ ودِلِىٌّ من أجل اليـاء، فإن كان «فُعُـول» لواحد قلتَ: عُتُـوٌّ. ويجوز القلبُ، والوجهُ فى الواحـد إثباتُ الواو، كما تقـولُ: «مَغْزُوٌّ» و«مَدْعُوٌّ» ويجـوز «مَغْزِىٌّ» و«مَدْعِىٌّ» وفـى القرآن ﴿**وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا**﴾[1] وقال: ﴿**أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا**﴾[2] وقال: ﴿**ارجعى إلى ربِّك راضيةً مَرْضِيَّةً**﴾[3] والأصل «مَرْضُوَّةٌ» لأنه من الوَاو، من الرضـوان، ومن القلبِ قولُـهم: «طَأمن» ثم قالُوا: اطْمَـأَنَّ، فأَخَّـرُوا الهمزةَ وقَدَّمُوا الميمَ، ومثلُ هذا كثيرٌ جداً.

وقولُه: «هذا هَامَةُ اليومِ أو غَدٍ»، يقول: مَيِّتٌ فى يومـه أو فى غَدِه، يقالُ: إنما فلانٌ «هامـة» أى يَصِيرُ فى قبـرِه، وأصلُ ذلك شىءٌ كانت العربُ تقـوله، قد مَضَى تفسيرُه.

[إسحاق الموصلى والرشيد]

وحدثنى عبـدُ الصمد بنُ المُعذَّل قال: سمـعتُ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ المَوْصِلىَّ يتحدَّثُ قال: حَجَجْتُ مع أمير المؤمنينَ الرشيد، فلمَّا قَفَلْنَا فنزلنا المدينةَ آخَيْتُ بها رجلا كان له سنٌّ ومـعرفةٌ وأدبٌ، فكان يُمتِـعُنى، فَإِنِّى ذاتَ ليلة فى منزلى إذا أنَا بصوته يَسْتَأْذِنُ علىَّ، فظننتُ أمـرًا قد فَدَحَهُ ففزِعَ فيه إلىَّ، فـأسرعتُ نحوَ الباب، فقلت: ما جـاك بك؟ فقال: إذَنْ أُخبِـرَكَ، دعانى صديقٌ لى إلى طعامٍ عـتيد[4]، وشرابٍ قد الْتَقَى طَرَفَاهُ، وشواءٍ رَشْرَاشٍ، وحديثٍ مُمتِعٍ، وغنَاء مُطْرِبٍ، فأجبتُه، وأقمتُ معه إلى هذا الوقت، فأخذت مِنِّى حَـمَيَّا الكأسِ مأخذَهَا، ثم غَنَّيتُ بقولِ نُصَيْبٍ:

بزينبَ أَلْمِمْ قَـبْـلَ أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ وقل إنْ تَمَلِّينـا فَـمَـا مَلَّكِ القَلْبُ

فكدت أُطيرُ طَرَبًا، ثم وجـدتُ فى الطرب نَقْصًا إذ لم يكن مـعى مَنْ يفْهَمُ هذا كمـا فهمتُـه، ففَزِعْتُ إليك لأصفَ لك هذه الحالَ، ثم أَرْجِعُ إلى صـاحبى، وضَرَبَ نَعْلَيْهِ مُوَلِّيًا عَنِّى! فقلتُ: قِفْ أُكَلِّمكَ، فقال: ما بى إلى الوقوفِ إليكَ من حاجةٍ.

---

(١) سورة الفرقان ٢١. (٢) سورة مريم ٦٩.
(٣) سورة الفجر ٢٨. (٤) عتيد: معتد.

[من أخبار حسان بن ثابت]

وحدثني غيرُ واحد من أصحابنا عن أبي زيد سَعيد بن أَوْسٍ الأنصاري، يُسْنِدُهُ، قال: كانت وَليمةٌ في أَخْوَالنَا، وهم حَيٌّ يقال لهم بَنُو نُبيْط من الأنصار، قال: فحضَرَ الناسُ وجاء حَسَّانُ بن ثابت وقد ذَهَب بصرُه، ومعه ابنُه عبد الرحمن يقودُه، فَلمَّا وُضِعَ الطعامُ وَجِيءَ بالثُّرِيدِ قال حَسَّانُ لابنه: يا بُنَيَّ، أَطعَامُ يَدٍ أَمْ طَعَامُ يَدَيْنِ؟ فقال: بل طعامُ يد، فأَكَلَ ثم جِيءَ بالشواء، فقال: أطعامُ يدٍ أم طعامُ يَدَيْنِ؟ فقال: طعامُ يدين، فأمسك، وفي المجلس قَيْنتان تُغَنِّيان بشعر حسانَ:

انْظُرْ خليلي بِبَابِ جلَّقَ هَلْ ... تؤنِسُ دُونَ البَلْقَاءِ مِنْ أَحَدِ؟[1]

قال: وحَسَّانُ يبكي، يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب، وعبد الرحمن يُومِئ إليهما أَنْ زيدَا قال أبو زيد: فَلأعْجبني ما أعجبهُ من أن تُبْكِّيا أباهُ.

يقول: عَجبْتُ ما الذى اشتهى من أن تُبْكِّيا أباهُ، فقوله: «أَعْجَبَنى» أى تركنى أَعْجَبُ، ومثله قولُ ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّات:

أَلاَ هَزِئتْ بنا قُرَشِيَّـ ... ـةٌ يَهْتَزُّ مَوكِبُهَا
رأتْ بى شَيبَةً فى الرأْ ... سِ عَنِّى مَا أُغَيِّبُهَا
فقالتْ: أَبنُ قَيسٍ ذَا؟ ... وبعضُ الشَّيبِ يُعْجِبُهَا

أى تتعجب منه.

[خليلان الأموى يغنى لأمير البصرة]

وحدثنى عبدُ الصمد بنُ المُعَذَّل، قالَ: كان خَليلانُ[2] الأُمَوِيُّ يتغنَّى، ويَرَى ذاك زائدًا فى الفُتُوَّة، وكان خَليلانُ شريفًا وذا نعمة واسعة، فحضرَ يومًا منزلَ عُقْبَةَ بْنِ سَلْمٍ الهُنَائِيِّ وهو أميرُ البصرة، وكان عاتيًا جبَّارًا، فلما طَعمَا وخلَوَا نَظَرَ خَلِيلاَنُ إلى عودٍ موضوعٍ فى جانب البيت، فَعَلِمَ أنه عُرِّضَ له به، فأخذه فتَغَنَّى:

(١) جلق: إحدى قرى دمشق.

(٢) خليلان، كان يعرف به خليل بن عمرو، مولى بنى عامر بن لؤى، كان يؤدب الصبيان ويعلم الجوارى الغناء فى موضع واحد. (رغبة الآمل).

بابنةِ الأزْدِيِّ قلبي كَئيبٌ مُسْتهامٌ عندها ما يؤُوبُ
ولقد لاموا فقلتُ: دَعُوني إنَّ مَنْ تَلْحَوْن فيهِ حَبيبُ

فَجَعَلَ وَجْهُ عُقْبَةَ يَتَغيَّرُ، وخليلانُ في سَهْو عمَّا فيه عقبةُ، يَرَى أنه محسن. ثم فَطِنَ لتغيُّر وجهِ عُقبةَ، فعلم أنه كارهٌ[1] لِمَا تَغَنَّى به، فَقَطَعَ الصَّوْتَ، وجَعَلَ مَكَانَهُ:

أَلاَ هَزِئَتْ بنَا قُرَشيةٌ يهتزُّ مَوْكِبُهَا

فَسُرِّيَ عن عُقْبَة، فلما انقضى الصوتُ وَضَعَ خليلانُ العودَ، و وكَّدَ على نفسه الْحِلفَ أَلاَّ يُغنِّيَ عِنْدَ مَنْ يَجُوزُ أَمْرُه عليه أبدًا.

[غضب الرشيد لشعر مدح به أخوه]

وحُدِّثْتُ أن رجلا تَغَنَّى بحضرة الرشيد بشعرٍ مُدِحَ به عليُّ بْنِ رَيْطَةَ، وهو عليُّ بْنُ أمير المؤمنين المَهْديِّ، وتَغَنَّاهُ الْمُغَنِّى على جهلٍ، وهو:

قُلْ لِعَلِّي: أَيَا فَتَى العَرَب وخَيْرَ نَام وخَيْرَ مُنْتَسب
أَعْلاك جَدَّاكَ يا عليُّ إذَا قَصَّرَ جَدٌّ في ذِرْوة الْحَسَب

ففَتَّشَ عن المغني فوجده لم يَدْرِ فيمن الشِّعْرُ، فَبُحِثَ عن أول مَنْ تَغَنَّى فيه، فإذا هو عبدُ الرحيم الرَّقَّاص، فأمر فضُرِبَ أربعمائة سوط.

[معاوية وابنه يزيد]

وحُدِّثْتُ أن معاويةَ استمعَ على يزيدَ ذاتَ ليلة، فسمع منْ عنده غنَاءً أعجبه، فلما أصبح قال ليزيد: مَنْ كان مُلْهيكَ البارحة؟ فقال له يزيدُ: ذاكَ سائبُ خاثِر، قال: إذًا فأَخْثِرْ له من العطاء.

[معاوية عند عبد الله بن جعفر]

وحُدِّثْتُ أن معاويةَ قال لعمرو: امْضِ بنا إلى هذا الذى قد تَشَاغَلَ باللهو وَسَعَىَ في هدم مُروءته، حتَّى نَنْعَى عليه، أى نَعيبَ عليه فعله - يريدُ عبدَ الله بنَ جعفر بن أبى طالب - فدخلاَ إليه، وعنده سائبُ خاثر، وهو يُلْقي على جَوار لعبدِ الله، فأمر عبدُ الله بتنحيةِ الجواري لدخول معاوية وثبتَ سائبٌ مكانَه، وتَنَحَّى

(١) كلمة «كاره» ساقطة من ر، وهى فى الأصل، س.

عبدُ الله عن سريره لمعاوية، فرفَع معاويةُ عمرًا فأجلسه إلى جانبه، ثم قال لعبد الله: أعدْ ما كنتَ فيه، فأمر بالكراسيِّ فأُلقيَت، وأخْرجَ الجوارِي، فتغَنَّى سَائبٌ بقولِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ:

دِيارُ التى كَادَتْ ونحنُ عَلَى منًى ... تَحُلُّ بِنَا لولاَ نَجَاءُ الرَّكَائب

ومِثلك قد أصْبَيْتُ ليست بكَنَّةٍ ... ولا جَارَةٍ ولاَ حَليلَةِ صَائبِ[1]

ورَدَّدَهُ الجوارِى عليه، فحرَّكَ معاويةُ يديه وتحرَّك فى مجلسه، ثم مَدَّ رجليه، فجَعَلَ يضربُ بهما وجه السرير. فقال له عمرٌو: اتَّئدْ يا أميرَ المؤمنين، فإن الذى جئتَ لتَلْحاهُ أحسنُ منكَ حالا وأقلُّ حركةً. فقال معاويةُ: اسكُتْ لا أبَالك! فإن كلَّ كريمٍ طَرُوبٌ.

[سفيان بن عيينة وجاره السهمى]

وحُدِّثْتُ منْ غير وجه أن سفيانَ بن عُيَيْنَةَ قال لجلسائه يومًا: إنِّى أرَى جارَنا هذا السَّهْمِيَّ قد أثْرَى وانْفَسَحَتْ له نعمةٌ. وصار ذا جاه عند الأمراء، ووافدًا إلى الخلفاء، فَمِمَّ ذاكَ؟ يَعنى يحيى بنَ جَامعٍ، فقال له جلساؤُه: إنه يَصِيرُ إلى الخليفة فيَتَغَنَّى له، فقال سفيانُ: فيقولُ ماذا؟ فقال أحدُ جُلَسائه: يقول:

أَطوفُ نَهَارِى معَ الطائفِينَ ... وأَرْفَعُ من مِئزَرِى المسْبَلِ

فقال سفيانُ: ما أحسنَ ما قال! فقال الرجلُ:

وأَسْهَرُ لَيْلِى معَ العَاكِفينَ ... وأَتلُو مِنَ المُحْكَمِ المُنْزَلِ

قال: حَسَن والله جميلٌ، قال: إنَّ بعدَ هذا شيئا، قال سفيانُ: وما هو؟ قال:

عَسَى فارِجُ الكَرْبِ عن يوسُفٍ ... يُسَخِّرُ لى ربَّةَ المحْمَلِ

فزَوَى سفيانُ وجهَهُ، وأومأ بيده أنَّ كُفَّ، وقال: حلالاً حلالاً!

[ابن أبجر يغنى لعطاء بن أبى رباح]

ولَقِى ابنُ أَبْجَرَ عَطَاء بنَ أبى رباحٍ وهو يطوفُ، فقال: اسمعْ صوتًا للغَرِيضِ، فقال له عَطاءٌ: يا خَبيثُ، أفى هذا الموضعِ! فقال ابن أَبْجَرَ: وربِّ هذه البَنِيَّةِ لَتَسْمَعَنه خُفْيَةً، أو لأُشِيدَنَّ به، فوقف له، فتَغَنَّى:

---

(١) الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

عُـوجِى عـلينا ربَّـةَ الهَـودَجِ ... إنَّك إلاَّ تَفْـعَلى تَحْـرَجِى[1]

أنِّى أُتيـحَـتْ لى يَمـانيَـةٌ ... إحْـدَى بنى الحـارث من مَـذْحِجِ

تَلْبَثُ حَـولا كـامـلا كـلَّهُ ... لا نَلْتَـقى إلاَّ عَـلَى مَنْهَـجِ

فى الحَجِّ إن حَـجَّتْ، ومـاذا مِنًى ... وأَهْلُـهُ إن هِىَ لَم تَـحْـجُجِ !

فقال له عطاء: الكثيرُ الطَّيِّبُ يا خبيثُ!

[سليمان بن عبد الملك فى عسكره]

وسَمِعَ سليمان بن عبد الملك مُتَغَنِّيًا فى عسكره، فقال: اطْلُبوه، فجاءوا به، فقـال: أَعِدْ مـا تغنيتَ، فتَـغَنَّى واحْتَـفَلَ، وكانَ سليـمانُ مُـفْرِطَ الغَـيْرَة، فـقال لأصحابه: والله لكأنَّها جَرْجَرَةُ الفَحْلِ فى الشَّوْلِ[2]، وما أَحْسِبُ أُنْثى تَسمعُ هذا إلاَّ صَبَتْ. ثم أمَرَ بِهِ فخصِىَ.

[الفرزدق يسمع الأحوص يغنى بشعر جرير]

وحُدِّثْتُ أن الفرزدقَ قَدِمَ المدينةَ فنزل على الأَحْوَصِ بن محمد بن عبد الله ابن عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَحِ، فقال له الأحوصُ: أَلاَ أُسْمِعُكَ غِناءً من غِناءِ القرَى؟ فأتاه بمغَنٍّ فجعل يُغَنيه، فكان مما غَنَّاه:

أتَنْسَى إذ تُـوَدِّعُنـا سُلَيْـمى ... بفَـرْعِ بَشَامَـة، سُقِىَ البَشَـامُ![3]

ولو وَجَـدَ الحـمامُ كـمـا وَجَـدْنا ... بسُلْمـانَيْنِ لاَ كْـتـأَبَ الحَـمـامُ[4]

فقال الفرزدق: لِمَن هذا [الشعرُ]؟ فقالوا: لجريرٍ، ثم غنَّاه:

أَسْرَى لخـالدةَ الخيـالُ ولا أَرَى ... شيـئـا أَلَذَّ مـنَ الخـيـال الطَّارِق

إنَّ البَلِـيَّـةَ مَنْ تَملُّ حـديثَـه ... فانْقَعْ فُؤَادَكَ من حديثِ الوَامِقِ[5]

(١) تحرجى: من الحرج وهو الإثم.

(٢) الجرجرة: هدير الفحل، والشول: جمع شائلة، وهى من الإبل التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها به.

(٣) سلمانين: واديا فى جبل لغنى.

(٤) تكملة من س.

(٥) الوامق: المحب.

فقال: لمن هذا؟ فقيل: لجرير، ثم غنَّاه:

إنَّ الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا ... وَشَلا بعَيْنِكَ مايَزَالُ مَعِينَا
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهنَّ وَقُلْنَ لِى ... ماذَا لَقِيتَ من الهوَى ولَقِينَا؟

فقال: لمن هذا؟ فقالوا: لجرير، فقال الفرزدق: ما أَحْوَجَهُ مع عَفافِهِ إلى خُشونة شِعْرِى، وأَحْوَجَنى مع فسُوقِى إلى رِقَّة شِعرِه!

[الأحوص ومعبد عند عقيلة المغنية]

وقال الأحوصُ يومًا لِمَعْبَد: امْضِ بِنَا إلى عَقِيلَة حتى نتحدَّثَ إليها، ونسمعَ من غنائها وغناء جواريها. فَمضيَا، فأَلْفَيَا على بابها مُعاذًا الأنصاريَّ، ثم الزُّرَقِىَّ، وابنَ صائد النَّجَّارِى، فاستأْذَنُوا عليها جميعًا، فأذنتْ لهم إلاَّ الأحوصُ، فإنها قالت: نحنَ غِضَابٌ على الأحوصِ، فانْصَرفَ الأحوصُ وهو يَلُومُ أصحابهِ على استبدادهم، فقال:

ضَنَّتْ عَقِيلةُ لَمَّا جِئتُ بالزادِ ... وآثرَتْ حاجةَ الثَّاوِى على الغَادِى
فقلت: والله لولا أن تقولَ له ... قد باح بالسِّرِّ أعدائى وحُسَّادِى
قلنا لمنزِلها: حُيِّيتَ من طَلَلٍ ... وللعَقِيق: أَلاَ حُيِّيتَ من وَادِى!
إنِّى جعلتُ نَصِيبى من مَوَدَّتِها ... لِمَعْبَدٍ ومُعاذٍ وابنِ صَيَّادِ
لابنِ اللَّعِين الذى يُخْبَا الدُّخانُ له ... وللمُغَنِّى رسولَ الزُّور قَوَّادِى
أمَّا مُعاذٌ فإنى لستُ ذَا كَرَهٍ ... كذاكَ أجدادُهُ كانوا لأَجدادِى

قال الزُّبيرىُّ: وكان مُعاذٌ جَلْدًا، فخافَ الأحوصُ أن يضربَه، فحلف مَعْبَدٌ أَلاَّ يكلِّمَ الأحوصَ ولا يَتَغَنَّى فى شعره، فشقَّ ذلك على الأحوص، فلما طالتْ هَجْرتُه إياه رَحَلَ نَجِيبًا له وجعلَ طِلاَءً[1] فى مِذْرَعٍ[2] فى حقيبة رَحْله، وأَعَدَّ دَنانيرَ، ومضَى نحوَ معبد فأناخَ ببابه ـ ومعبدٌ جالسٌ بفنائه ـ فنزل إليه الأحوص فكلَّمه، فلم يكلمه معبدٌ، فقال: يا أبا عَبَّاد، أَتَهْجُرُنى! فخرجت إليه امرأتُهُ أُمُّ كرْدَم، فقالت: أَتهجرُ أبا محمد! والله لتكلِّمَنَّهُ، قال: فاحتملَهُ الأحوصُ فأدخله البيتَ، وقال: والله لا رِمْتُ هذا البيتَ حتى آكُلَ الشِّوَاء وأشرب الطِّلاءَ واسمعَوا

(١) الطلاء: اسم لما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه.

(٢) حاشية ر: «والمذرع: فزق سلخ حين سلخ مما يلى الذراع».

الغناء، فقال له معبدٌ: قد أَخزَى اللهُ الأبْعَدَ هذا الشَّواء أكَلْتَهُ، والغناء سمعتَه، فأنَّى لَكَ بالطِّلاء! قال: قُمْ إلى ذلك المِذْرَعِ ففيه طلاءٌ ومعه دنانيرُ، فأَصْلِحْ بها ما نُريدُ من أمرِنا، ففعل كلَّ ما قال، فقالت أُمُّ كَرْدَم لمعبد: أَتَهْجُرُ مَنْ إن زارنا أَغْدَرَ(١) فينا فَضْلا ونَيْلا، وإن فارَقَنَا خَلَّفَ فينَا عَقْلا ونُبْلا! فانصرفَ الأحوصُ مع العصر، فمرَّ بيْن الدارَيْنِ وهو يَميلُ بين شُعْبَتَيْ رَحْلِه.

[هجاء الأحوص لسعد بن مصعب]

وحُدِّثْتُ أن سعدَ بن مُصْعَبِ بن الزُّبير اتُّهِمَ بامرأةٍ في ليلة مَناحة أو عُرْسٍ، وكانت تحته ابنةُ حمزةَ بن عبد الله بن الزبير، فقال الأحوصُ ـ وكان بالمدينةِ رجلٌ يقال له: «سَعْدُ النَّار»:

ليس بسَعْدِ النَّار مَنْ تَذْكرونَه	ولكنَّ سَعْدَ النَّار سَعْدُ بن مُصْعَبِ
ألم تَرَ أَنَّ القَومَ ليلَةَ جَمْعِهِم	بَغَوْهُ فألفوهُ لَدَى شَرِّ مَرْكَبِ
فما يَبْتَغِي بالشَّرِّ لا دَرَّ دَرُّهُ	وفي بيتِهِ مِثْلُ الغزالِ المَرَبَّبِ

فأمر سعدُ بن مصعب بطعامٍ فَصُنِعَ، ثم حُمِلَ إلى قِباب العرب، وقال للأحوصِ ـ وكان له صديقًا: تعالَ نَمْضِي فنُصِيب منه، فلما خلاَ به أَمَرَ به فَأُوثِقَ، وأرادَ ضَرْبَه، فقال له الأحوصُ: دَعْني، فلا واللهِ لا أهجُو زُبَيْرِيًّا أبدًا، فَحَلَّهُ، ثم قال: إني واللهِ ما لُمْتُكَ على مَزْحِكَ، ولكنِّي أنكرتُ قولَكَ:

* وفي بيتِهِ مِثلُ الغزالِ المَرَبَّبِ *

* * *

وحُدِّثْتُ أن ابنَ أبي عَتيقٍ ذُكِرَ له أن المُخَنَّثين بالمدينة خُصُوا، وأنه خُصِيَ الدَّلاَلُ فيهم، فقال: إنَّا لله! أمَا واللهِ لئن فُعِلَ ذلك بهِ لقد كان يُحْسِنُ:

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجيشِ أَمْسَى دَارِسًا خَلَتَا

ثم استقبلَ ابنُ أبي عَتيقٍ القبلةَ يصلِّي، فلما كبَّر سَلَّمَ، ثم التفتت إلى أصحابِهِ، فقال: اللهم إنهُ كان يُحْسِنُ خَفيفَهُ، فأمَّا ثقيلهُ فَلاَ ـ اللهُ أكبَرَ!

---

(١) أغدر: ترك.

[شفاعة]

وحُدِّثْتُ أن مَدَنِيًّا كان يصلِّي مُذْ طلعت الشمسُ إلى أن قارب النهارُ أن يَنْتَصِفَ، ومن ورائه رجلٌ يَتَغَنَّى، وهما فى مسجد رسول الله ﷺ، فإذا رجلٌ من الشُّرْطة قد قَبَضَ على المُغَنِّى، فقال: أَتَرْفَعُ عقيرتَكَ بالغناء فى مسجد رسول الله ﷺ؟ فأخذهُ، فانفتَلَ المدنيُّ من صلاته، فلم يَزَلْ يَطْلُبُ إليه فيه حتى اسْتَنْقَذَهُ، ثم أقبلَ عليه فقال: أتدرى لِمَ شَفَعْتُ فيك؟ فقال: لا والله، ولكن إخالُكَ رحمتَنى، قال: إذًا فلا رحمنى اللهُ! قال: فأَحْسبُكَ عرفتَ قَرَابةً بيننا؟ قال: إذًا فقَطَعَهَا الله! قال: فَلِيَد تَقَدَّمَتْ منِّى إليك؟ قال: لا والله، ولا عَرَفْتُكَ قبلَهَا، قال: فَخَبِّرْنى، قال: لأنى سمعتُكَ غَنَّيْتَ آنفا، فأَقَمْتَ وَاوَاتِ مَعْبَدٍ، أَمَا والله لو أسأتَ التأديةَ لكنتُ أحدَ الأعوانِ عليكَ!

والصوتُ الذى يُنْسَبُ إلى واوات معبدٍ شعْرُ الأعشى الذى يعاتبُ فيه يَزيدَ ابن مُسْهِرٍ الشَّيْبَانىَّ، وهو قولُه:

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإنْ لامَ لائمُ … غَداةَ غَدٍ أَمْ أَنْتَ لِلبَيْنِ وَاجِمُ
لقد كان فى حَوْلٍ ثَواءٍ ثَوَيْتُهُ … تُقَضَّى لُبَانَاتٌ وَيَسْأَمُ سَائمُ

قوله: «هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وَإنْ لامَ لائمُ» منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ، تفسيرُه «وَدِّعْهَا» كأنه قال: «وَدِّعْ هريرةَ»، فلمَّا اخْتَزَلَ الفعلَ أظهرَ ما يدلُّ عليه، وكان ذلك أجود من أَلاَّ يُضْمرَ؛ لأن الأمرَ لا يكون إلاَّ بفعل، فأضمرَ الفعلَ إذْ كان الأمرُ أحقَّ به، وكذلك «زيدًا اضْرِبْهُ» و«زيدًا فأَكْرِمْهُ» وإن لم تُضْمِرْ ورفعْتَ جاز، وليس فى حُسْنِ الأوَّل، تَرْفَعُهُ على الابتداء وتُصَيِّرُ الأمرَ فى موضعِ خبرِه، فأمَّا قولُ الله جلَّ وعزَّ: ﴿والسَّارقُ والسَّارقَةُ فاقْطَعوا أَيْدِيَهُما﴾(1) وكذلك: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانى فاجْلِدُوا كُلَّ واحدٍ منهُمَا مائةَ جَلْدَة﴾(2) فليس على هذا، والرفعُ الوَجْهُ؛ لأَنَّ معناهُ الجزاء، كقوله: «الزانيةُ» أى التى تزنى، فإنما وجبَ القطعُ للسَّرَق والجَلْدُ للزنا، فهذا مُجَازَاةٌ، ومن ثَمَّ جازَ: الذى يأتينى فله درهمٌ، فدخلت الفاءُ لأنه استَحقَّ الدرهمَ بالإتيانِ، فإن لم تُرِدْ هذا المعنى قلتَ: الذى يأتينى له درهمٌ، ولا يَجوزُ:

---

(1) سورة المائدة ٣٨.

(2) سورة النور ٢.

زيدٌ فله درهمٌ، على هذا المعنى، ولكن لو قلتَ: زيدٌ فله درهمٌ، على معنى: هذا زيدٌ فله درهمٌ، أو هذا زيدٌ، فحسنٌ جميلٌ، جازَ، على أنَّ «زيدًا» خبرٌ، وليس بابتداء، وللإشارة دخلت الفاءُ، وفي القرآن: **﴿الَّذين يُنْفقُونَ أَموالَهمْ باللَّيْلِ والنَّهارِ سِراً وعلانِيَة فَلَهُمْ أَجرُهُمْ عِنْدَ ربِّهِمْ﴾**[1]، ودخلت الفاءُ لأن الثوابَ دخلَ للإنفاق. وقد قرأت القُرَّاءُ: **﴿الزَّانيةَ والزَّانِيَ فاجْلدُوا﴾** **﴿والسارقَ والسارقةَ فاقطَعُوا﴾** بالنصب، على وجه الأمرِ، والوجهُ الرَّفْعُ، والنصبُ حسنٌ في هاتين الآيتين، وما لم يكنْ فيه معنى جَزَاءٍ فالنصبُ الوَجْهُ.

[فخر معبد بخمسة أصوات من غنائه]

ويُرْوَى أنَّ مَعْبَدًا بلغه أن قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلمٍ فتح خَمْسَ مَدَائنَ، فقال: لقد غَنَّيْتُ خمسةَ أَصْوَات، هُنَّ أَشَدُّ مِنْ فَتْحِ المدائنِ التي فتحها قتيبةُ، والأصواتُ:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرتَحِلُ ... وهلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أيُّها الرَّجُلُ

وقولُه:

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإن لاَمَ لائمُ ... غَداةَ غدٍ أَمْ أنت لِلبَيْنِ واجِمُ

وقولُه:

رأيتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إلى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ

وقولُه:

وَدِّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلا ... واسْأَلْ فَإِنَّ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلاَ

وقولُه:

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دارُها ... لقدْ كنتُ مِن خَوْفِ الفِرَاقِ أَلِيحُ

* * *

أما قولُه:

* وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ *

---

(١) سورة البقرة ٢٧٤.

وقوله:

* هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإن لامَ لائمُ *

فللأعْشَى، يُعاتبُ فيهما يَزيدَ بن مُسْهِرِ الشَّيْبانيِّ، يقولُ:

أَبْلغْ يزيدَ بَنِى شَيْبانَ مَألُكَةً ... أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تنفكُّ تأْتكِلُ(١)

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا ... ولستَ ضائرَها ما أَطَّتِ الإبلُ(٢)

كناطِحٍ صَخْرَةً يومًا لِيَفْلِقَهَا ... فلم يَضِرْهَا وأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

ويقولُ فى الأُخرى يعاتبه أيضًا:

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِى كَأَنَّمَا ... زَوَى بين عَيْنَيْهِ علىَّ المَحَاجِمُ

فلا يَنْبَسِطْ من بيْنِ عينيكَ ما انْزَوَى ... ولا تَلْقَنِى إلاَّ وأَنْفُكَ رَاغِمُ

فأُقْسِمُ إنْ جَدَّ التقاطُعُ بيننَا ... لَتَصْطَفِقَنْ يومًا عليكَ المآتِمُ(٣)

وتُلْفَى حَصَانٌ تَنْصُفُ ابْنَةَ عَمِّهَا ... كما كانَ يُلْفَى الناصفاتُ الْخَوَادِمُ(٤)

إذا اتَّصلَتْ قالت: أَبَكْرَ بنَ وائِلٍ! ... وبكْرٌ سَبَتْهَا والأُنوفُ رَوَاغِمُ

* * *

فأَمَّا الشعرُ الثالثُ فلِلشَّمَّاخِ بن ضِرَارِ بن مُرَّةَ بن غَطَفَانَ، يقولُه لِعَرَابَةَ بن أوسِ بن قَيْظِىٍّ الأنصارىِّ:

رأيت عَرَابَةَ الأوْسِىَّ يَسْمُو ... إلى الخيرات منقطعَ القَرِينِ

إذا ما رايَة رُفِعَت لمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرابةُ باليَمِينِ

إذا بَلَّغْتِنِى وحَمَلْتِ رَحْلِى ... عَرابةَ فاشْرَقِى بِدَمِ الوَتِينِ

* * *

والرابعُ لعمرَ بن عبد الله بن أبى رَبيعَةَ، يقولُه فى بعضِ الرِّوايات:

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أَنْ تَتَرَحَّلاَ ... واسْأَلْ فإن قليلَهُ أَنْ تَسْأَلاَ

امْكُثْ لَعَمْرُكَ ساعةً فَتَأَنَّهَا ... فعَسَى الذى بَخِلَتْ به أَن يُبْذَلاَ

لَسْنَا نُبَالِى حينَ نُدْرِكُ حاجَةً ... إنْ باتَ أو ظَلَّ المَطِىُّ مُعَقَّلا(٥)

والشعر الخامس لا أعرفُهُ.

* * *

(١) المألكة: الرسالة، وتأتَكل: تغضب. (٢) أثلتنا: أصلنا، وأطيطُ الإبل: أنينُها.

(٣) الاصطفاق: الاضطراب. (٤) الحصان: العفيفة. وتنصف: تخدم.

(٥) معقلا، من عقلت الإبل إذا شددتها بالعقال.

ولم يَتَغَنَّ معبد فى مدح قطُّ إلاَّ فى ثَلاثة أشعار، منها ما ذكرنا فى عَرَابَةَ، ومنها قولُ عبد الله بن قَيْسِ الرُّقَيَّات فى عبدِ الله بن جعفر بن أبى طالب:

تَقَدَّتْ بىَ الشَّهْبَاءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ ... سَواءٌ عليها لَيْلُها ونهارُهَا

والثالثُ قولُ موسى شَهَوَاتِ فى حمزةَ بن عبد الله بن الزُّبَيْر:

حمزةُ المُبْتَاعُ بالمالِ الثَّنَا ... ويَرَى فى بَيْعِهِ أنْ قد غَبَنْ
وَهْوَ إنْ أَعْطَى عَطاءً كاملا ... ذا إِخاءٍ لَم يُكدِّرْهُ بمَنْ

ونحنُ ذاكِرُو قِصَصِ هذه الأشعارِ التى جَرَتْ فى عَقِبِ ما وصفنا إن شاء اللهُ.

قال أبو العباسِ: كان عبدُ الله بنُ قَيْسِ الرُّقَيَّات منقطعًا إلى مُصْعَبِ بن الزبير، وكان كثيرَ المدحِ له، وكان يُقاتِلُ معه، وفيه يقولُ:

إنَّمَا مُصْعَبٌ شهابٌ منَ ... اللهِ تَجلَّتْ عن وَجهِهِ الظَّلْماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ قوَّةٍ ليس فيه ... جَبَرُوتٌ منه ولا كِبْرياءُ
يَتَّقِى اللهَ فى الأُمورِ وقد أَفْـ ... ـلَحَ من كان هَمَّهُ الاتِّقاءُ

[قال أبوالعباس[(١)]]: وله فيه أشعار كثيرةٌ، فلمَّا قُتِلَ مصعبُ [بن الزبير][(١)] كان عبدُ الملك على قتل عبد الله بن قيس، فَهَرَبَ فلَحِقَ بعبد الله بن جعفر، فَشَفَعَ فيه إلى عبد الملك، فَشفَّعَهُ فى أنْ تَرَكَ دَمَهُ، فقال: ويَدْخُلُ إليكَ يا أميرَ المؤمنين فتَسْمَعَ منه! فأَبَى، فلم يَزَلْ به حتى أجابه، ففى ذلك يقولُ لعبد الله بن جعفر:

أَتيناكَ نُثْنى بالذى أَنْتَ أهلُهُ ... عليكَ كما أَثْنَى على الأرْضِ جارُهَا
تَقدَّتْ بىَ الشَّهْباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ ... سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُهَا
تَزُورُ فتًى قد يَعْلَمُ الناسُ أنه ... تَجُودُ له كَفٌّ قليلٌ غِرَارُهَا
فواللهِ لولا أَنْ تَزُورَ ابنَ جعفرٍ ... لكانَ قليلا فى دِمَشْقَ قَرَارُهَا

(١) من س.

والشعرُ الذى مَدَح به عبدَ الملك:

عــادَ لهُ مِن كَـثـيـرةَ الطَّرَبُ ... فــعــينُهُ بالدمــوعِ تَنْسَكِبُ

وفيها يقول:

مـا نَقَـمُوا من بنى أُمَـيَّـةَ إلاَّ ... أنهم يَـحْلُمُـونَ إنْ غَـضِبُـوا

وأَنَّهُـمْ سـادَةُ الملـوكِ فـلا ... تَصْلُحُ إلاَّ عليـهمُ العَـرَبُ

إن الـفَنِـيقَ الـذى أبوه أبـو العَـ ... ـاصِى عـليـه الوَقـارُ والحُـجُبُ

خليـفَـةُ الله فى رَعِـيَّـتِـه ... جَـفَّتْ بذاكَ الأقْـلامُ والكـتُبُ

يَعْتَـدِلُ التَّـاجُ فـوقَ مَـفْـرِقِـهِ ... علـى جَـبِينٍ كـأنَّه الـذَّهَبُ

فقال له عبدُ الملك: أتقولُ لمُصْعَب:

إنَّمـا مُـصْـعَبٌ شِـهـابٌ مِنَ اللهِ ... تَجلَّـتْ عن وجـهـه الظَّلْمـاءُ

وتقولُ لى:

يعـتـدلُ التَّـاجُ فـوقَ مَـفْـرِقِـهِ ... علـى جَـبينٍ كـأنَّه الـذَّهَبُ!

* * *

وأما شِعْرُ الشَّمَّاخِ فى عَرَابَةَ فقد ذُكِر فى موضعه بحديثه.

* * *

وأما الشِّعرُ فى حـمزةَ بن عبـد الله بن الزبير فـإنه لموسى شَهَـوَاتٍ، وكان موسى قال لمعبد: أقولُ شعرًا فى حـمزةَ وتَتَغَنَّى أَنْتَ به، فما أعطاك من شَىءٍ فهو بَيْنَنَا! فقال هذا الشعرَ:

حـمـزةُ المُبْـتـاعُ بالمال الـثَّنَا ... ويَرَى فى بـيـعـه أَنْ قَـدْ غَـبَنْ

وَهْوَ إنْ أَعْطَى عطاءً كـامـلاً ... ذا إخـاءٍ لـم يُـكَـدِّرْهُ بمَـنْ

وإذا مـا سَنَـةٌ مُـجْـحِـفَـةٌ ... بَرَت المـالَ كَـبَـرْىِ بـالسَّـفنْ

حَـسَـرَتْ عـنه نَقِـيًّـا لَونُهُ ... طاهِرَ الأخْـلاق مـا فـيـه دَرَنْ

فأعطاه مالا، فقاسَمَهُ موسى.

باب

[لعتبة بن شماس فى عمر بن عبد العزيز]

قال أبو العباس: قال عُتْبة بن شمَّاس:

إنَّ أَوْلَى بالحقِّ فى كلِّ حقٍّ ... ثم أحْرَى بأن يكونَ حقيقا
مَنْ أبوه عبدُ العزيز بنُ مَرْوا ... نَ ومَنْ كان جَدُّه الفارُوقا
رَدَّ أموالَنا علينا وكانتْ ... فى ذُرا شاهق يفُوتُ الأَنُوقَا

يقولُ هذا الشعرَ فى عمرَ بن عبدِ العزيز، وأُمُّ عمرَ أمُّ عاصمٍ بنتُ عاصمِ بن عمرَ بن الخطاب، رحمه الله.

والأنوقُ: الرَّخَمَةُ، ولا يقالُ: الأنوقُ إلا للرَّخمة الأنثَى. ومن أمثال العرب: «هو أَعَزُّ من بَيْضَ الأنوق»، وتقول العرب لمن يطلب الأمر العَسير: «سألْتَنى بَيْضَ الأنوقِ» وذاكَ أنها تبيضُ فى رُءوس الجبال، فلا يكادُ يُوجَدُ بَيْضُها، لبُعْد مطلَبه وعُسْرِه. فإن سأله مُحالا قال: «سألْتَنى الأبْلَقَ العَقُوقَ»، وإنما هو الذَّكَرُ من الخيل، ويقال: فرسٌ عَقوقٌ، إذا حملتْ فامتلأ بطنُها، فالأبلَقُ العقُوقُ محال.

ويُرْوَى أن رجلا سألَ معاويةَ أمرًا لا يُوجَدَ، فأعلمه ذلك، فسأل أمرًا عَسِرًا بعدَه، فقال معاويةُ:

طلَبَ الأبلَقَ العَقُوقَ فلمَّا ... لم يَنَلْهُ أرادَ بَيْضَ الأنوقِ

وإنما الأبلقُ الذكر من الخيل، يقال: فرس عَقُوقٌ إذا حَمَلت فامتلأ بطنها، فالأبلقُ العَقُوقُ محالٌ.

(لجرير فى عمر بن عبد العزيز)

وقال جرير يمدحُ عمرَ بن عبد العزيز:

ما عَدَّ قومٌ كأجداد تعُدُّهُمُ ... مَرْوان ذو النور والفارُوقُ والحَكَمُ
أَشْبَهْتَ من عُمَرَ الفاروقِ سيرتَهُ ... قادَ البَرِيَّةَ وائتَمَّتْ به الأُمَمُ
تدعو قُرَيْشٌ وأنصارُ النبىِّ له ... أَن يُمْتَعُوا بأبِى حَفْصٍ وما ظَلَموا

وفيه يقولُ جريرٌ أيضًا:

يعُـودُ الْحلْمُ منكَ على قُـريَشٍ — وتَفْـرُجُ عنهـمُ الكربَ الشِّـدَادَا
وقـد آمَـنْتَ وحْـشَـهُـمُ برفْقٍ — ويُعْـيى الناسَ وَحْشُكَ أَن يُصَـادَا
[وتبنى المجدَ يا عـمـرَ بن ليْلَى — وتكفى المـحلَ السَّنَةَ الجمـادا](١)
وتَدْعُـو اللهَ مـجتـهـدًا ليَرضَى — وتَذْكُـرُ فى رَعـيَّـتكَ المَعـادَا
[فمـا كعب بن مامة وابن سـعدى — بأجـودَ منك يا عـمـرَ الجـوادا](١)

وقال أيضًا ـ وكان ابنُ سعدٍ الأزْدِيُّ قـد تَوَلَّى صَدقات الأعرابِ وأَعْطِيَاتِهم، فقال جريرٌ يشكوه إلى عمرَ ـ:

إنَ عِـيـالى لا فـواَكـهَ عندَهم — وعندَ ابـنِ سَعْـد سُكَّـرٌ وزبيبُ
وقد كـان ظَنِّى بابنِ سَعْد سَعادة — ومـا الظنُّ إلاَّ مُـخْطِئٌ ومُـصيبُ
فـإن تَرْجِـعـوا رزقى إلىَّ فـإنَّه — مـتــاعُ لَيَــالٍ والأداءُ قَـريبُ
تَحَنَّى العظامُ الزاحـفاتُ من البِلَى — وليس لـداء الرُّكْـبـتين طبـيبُ

***

وقال يرثيه أيضًا:

نَعَى النُّعـاة أَمـيـرَ المؤمـنين لنا — يا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بيتَ اللهِ واعـتَمَرا
حَملْتَ أَمرًا جَسيـما فاصْطبرتَ له — وقُـمْتَ فـيـه بحقِّ اللهِ يا عُـمَـرَا
فالشـمسُ طالعةٌ لـيستْ بكاسِـفَةٍ — تَبْكى عليكَ نجـومَ الليلِ والقَـمَـرَا

قولُه: «يا عـمرَا» نُدْبةٌ، أراد: يا عُمَراه! وإنما الألفُ للنُّدبة وحـدها، والهاءُ تزادُ فى الوقف لخفـاء الألف، فإذا وصَلْتَ لم تَزدْها، تقول: يا عمـرَا ذَا الفضلِ، فإن وقفتَ قلتَ: يا عمَراه، فحذَفَ الهاءَ فى القافية لاستغنائه عنها.

فأما قوله: «نجـومَ الليلِ والقمرَا»، ففيه أقاويلُ كلُّها جـيدٌ، فمنها أن تَنْصبَ «نجومَ، والقـمرَ» بقوله: «بكاسـفةٍ»، يقولُ: الشمسُ طالعـةٌ ليست بكاسفـةٍ نجومَ

(١) ما بين العلامتين من زيادة ر.

الليلِ والقَمَـرَ، يقولُ: إنما تكسفُ النجومَ والقمـرَ بإفْراط ضيائهـا، فإذا كانت من الحُزْنِ عليه قد ذَهَبَ ضـياؤُها ظهرتِ الكواكبُ. ويقال: إن الغُبـارَ يوم حَليمةَ سَدَّ عَيْنَ الشمس فظهرت الكواكب المتباعـدةُ عن مَطْلعِ الشمسِ، ويومُ حَليمةَ هو اليومُ الذى سافـرَ فيه المُنْذرُ بن المنذر بعَـرَبِ العراق إلى الحارثِ الأعرجِ الغَـسَّانىِّ، وهو الأكبر، والحـارثُ فى عَرَبَ الشَّأْم وهو أشهر أيام العرب، ومن أمـثالهم فى الأمر الفاشى: «ما يَوْمُ حَليمةَ بِسرٍّ»، وفيه يقولُ النابغةُ:

تُخُـيِّـرْنَ من أزمـانِ يومِ حَليـمـةٍ ... إلى اليوم قد جُـرِّبنَ كلَّ التَّجَاربِ

وأَظُنُّ قول القـائلِ من العربِ: «لأرِيَنَّكَ الكواكبَ ظُهْـرًا»؛ إنما أُخِذَ من يومِ حليمةَ، قال طَرَفَةُ:

إِنْ تُنَـوِّلْه فـــقـــد تَمنْـعَـــه ... وتُرِيهِ الـنَّجْمَ يجْــرِى بـالظُّهُـــرْ

وقال الفرزدقُ لخالد بن عبد الله القسْرِىِّ:

لَعَمْرِى لقـدْ سارَ ابْنُ شَيْبَـةَ سِيرَةً ... أَرَتْكَ نجـومَ الليـلِ مُظْهِـرَةً تجْـرِى

ويجـوزُ أن يكونَ: «نجومَ الليلِ والقـمرَا» أرادَ بهـما الظرْف، يقـولُ: تبكى الشمسُ علـيكَ مدةَ نجومِ الليلِ والقـمرِ، كـقولك: تَبْكى عليك الدْهرَ والشَّـهْرَ، وتبكى عـليك اللـيلَ والنهارَ، يا فـتى. ويكونُ: تُبْكى عليـك الشمس النجـومَ، كقولك: أبْكَيْتُ زيدًا على فلانٍ لمَا رأيتُ به.

وقد قال فى هذا المعنى أَحَدُ المُحَدثينَ شيـئًا مليحًا، وهو أحمد أخو أَشْجَعَ السُّلَمِّى، يقوله لنَصْـرِ بن شَبَث العُقَيْلىِّ، وكـان أوقعَ بقومٍ مِنْ بنى تَغْلِبَ بموضعٍ يُعرفُ بالسَّوَاجِيرِ، وهو أشبهُ بالشِّعْرِ، قال:

للهِ سَـــــيْفٌ فى يَـدى نَصْـــــرِ ... فى حَـــدِّه مـــاءُ الـرَّدَى يجْـــرِى
أَوْقَعَ نَصْـــرٌ بالسَّـــوَاجِـيـــرِ مَـا ... لم يُوقِـعِ الجَـحَّـــافُ بالبِـــشْـــرِ
أَبْـكـى بَـنِـى بكْـر علـى تَـغْلَـب ... وتَـغْلِـبًـــــا أَبْكـى علـى بكْـرِ

ويكون: «تبكى عليك نجـومُ الليلِ والقَمَر»، على أن تكـون الواوُ فى معنى «مع»، وإذا كانت كذلك فكانَ قبلَ الاسم الذى يليه أو بعدَه فعْلٌ انتصب لأنه فى المعنى مفعول وَصَلَ الفعلُ إليه فنَصَبَـه. ونظيرُ ذلك: «اسْتَوَى الماءُ والخَشَبَة» لأنك

لم تُرِدْ استوى الماءُ واستوت الخشبةُ، ولو أردتَ ذلك لم يكن إلا الرفعُ، ولكنَّ التقديرَ: ساوى الماء الخشبةَ، وكذلك «مازلْتُ أَسيرُ والنِّيلَ» يا فتى؛ لأنك لسْتَ تخبِرُ عن النيِّلِ بسير، وإنما تريدُ أَنَّ سَيْرَك بحذَائه ومعه، فوَصَلَ الفعلُ. وهذا بابٌ يطولُ شرحُه. فإن قلتَ: «عبدُ الله وزيدٌ أَخَوَاك» وأنت تريدُ بالواو معنى «مع»، لم يكن إلاَّ الرفعُ، لأن قبلَها اسمًا مبتدأ، فهى على موضعه.

وأَجْوَدُ التفسيرِ عندنَا فى قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فأَجْمعُوا أَمْرَكُم وشُرَكَاءكُم﴾(١) أن تكونَ الواوُ فى معنى «مع»، لأنك تقولُ: أَجْمَعْتُ رأيِى وأمرِى، وجَمَعْتُ القومَ، فهذا هو الوجهُ. وقومٌ ينصبونه على دخوله بالشَّرْكَةِ مع اللام فى معنى الأوَّل، والمعنى الاستعدادُ بهما، فيجعلونه كقولِ القائلِ:

يا ليتَ زَوْجَك قد غَدَا ... مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحًا

والرمحُ لا يُتقَلَّدُ، ولكنْ أدخلَه مع ما يُتَقَلَّدُ، فتقديرُه: «متقلدًا سيفًا وحاملا رمحًا»، ويكون تقديرُ الآية: فأجْمِعُوا أمركم وأعِدُّوا شركاءكم، والمعنى يَئُولُ إلى أمر واحدٍ. ومن ذلك قولُه:

* شرَّابُ أَلْبَانٍ وتَمرٍ وأَقِطْ *

فأمَّا ما جاء فى القرآن على هذا خاصةً، فقوله جلَّ وعزَّ: ﴿والله خَلَقَ كلَّ دَابَّة منْ مَاء فمنهم مَنْ يَمْشى عَلَى بَطْنه ومنهم مَنْ يَمشى عَلَى رجْلَيْن ومنهم مَنْ يَمشِى علىً أَرْبَعٍ﴾(٢) فأدخلَ «مَنْ» هاهنَا؛ لأن الناسَ مع هذه الأشياء، فجرَتْ علىَ لفظٍ واحدٍ، ولا تكون «مَنْ» إلاَّ لمن يَعْقِلُ إذا أَفْرَدتها.

(لرجل يشكو إلى عمر بن عبد العزيز عماله)

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يشكو إليه عُمَّالَهُ:

إنَّ الذينَ أَمَرْتَهُمْ أن يَعْدلُوا ... نَبَذوا كتَابَكَ واسْتُحلَّ المُحْرَمُ
وأردتَ أن يَلِىَ الأمانَةَ منهمُ ... بَرٌّ وهيهاتَ الأَبَرُّ المُسْلمُ
طُلْسُ الثِّيَاب على مَنابرِ أَرْضِنَا ... كلٌّ بِنَقْصِ نَصيبنا يَتَكَلَّمُ

أنشدنيه الرِّياشِىُّ عن الأصمعىِّ.

---

(١) سورة يونس ٧١. (٢) سورة النور ٤٥.

ونظيرُ هذا قولُ ابن هَمَّامٍ السَّلُولى:

إذا نَصَبوا للقول قالوا فأَحْسَنُوا ... ولكنَّ حُسْنَ القول خالَفَهُ الفعلُ
وذَمُّوا لنا الدنيا وهم يَرْضَعُونَها ... أَفاويقَ حَتَّى ما يَدِرُّ لها ثُعْلُ

وقد مَرَّ تفسيرُ هذا الشعر، والأطْلَسُ: الأغبرُ، وربَّما اشتَّدتْ غُبْرَتُهُ حتى يَخْفَى فى الغُبَار، وإنما أراد بقوله: «طُلسُ الثياب» أنهم يُظْهِرُونَ تَقَشُّفًا، ويكونُ أن يكونَ جعَلَهم بمنزلة الذئب، وهو أحسن.

(عمر بن الخطاب مع أحد ولاته)

ويُرْوَى أَنَّ عمرَ بن الخطاب رحمه الله وَلَّى رجلا بلدًا، فوَفَدَ عليه، فجاءهُ مُدَّهنًا حسنَ الحال فى جسمه، عليه بُرْدَان، فقال له عمرُ: أهكذا وَلَّيْناك! ثم عزلَهُ، ودَفعَ إليه غُنَيْمَات يرعاها، ثم دَعَا به بعدَ مُدَّة، فرآه باليًا أشْعَثَ فى ثوبين أطْلَسَيْن، وذُكرَ عندَ عمرَ بخير، فردَّه إلى عمله، وقال: كلُوا واشربوا وادَّهنُوا، فإنكم تعلَمُونَ الذى تُنهَوْنَ عنه.

* * *

ويُرْوَى عن الحسن أنه قال: اقْرِبُوا من هذه الأعوادِ[1]، فإنهم إذا رَقُوهَا لُقِّنُوا الحكمْةَ، لتكون عليهم حجةً يومَ القيامةِ.

(لرجل يرثى عمر بن عبد العزيز)

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يَرْثيه، أنشدنيه الرِّيَاشِىُّ:

قد غَيَّبَ الدافنُونَ اللَّحْدَ إذْ دَفَنُوا ... بدَيْر سَمْعانَ قِسْطَاسَ الموازين[2]
مَنْ لَم يكن هَمُّهُ عينًا يُفَجِّرُها ... ولا النخيلَ ولا رَكْضَ البَرَاذين
أقولُ لَمَّا أتانى ثَمَّ مَهْلكهُ ... لا يَبْعدَنَّ قِوَامُ المُلْكِ والدِّينَ

يقالُ: هذا قوَامُ الأمرِ وملاكُهُ لا غيرُ، وتقولُ: فلانٌ حَسَنُ القَوام، مفتوحٌ، تُرِيدُ بذلك الشَّطَاطَ[3]، لا يكونُ إلاَّ ذاكَ، وقِوَام إذا كان اسمًا لم تنقلب واوُه ياءً

(١) الأعواد هنا: المنابر.
(٢) دير سمعان: بلد بنواحى دمشق.
(٣) الشطاط: حسن القوام.

من أَجل الكسرة، لأنها متحركة، إلاَّ أن يكونَ جمعًا قد كَانت الواوُ في واحده ساكنةً، فتنقلبُ في الجمع، لأن حركتَها لعلة، تقولُ: سَوْطٌ وسياطٌ وثوبٌ وثيابٌ وحَوْضٌ وحياضٌ، فإن كانت الواوُ في الواحد متحركةً ثَبَتَتْ في الجمع، نحو طويلٍ وطوال، وكذلك «فعالٌ» إذا كانَ مصدرًا صَحَّ إذا صحَّ فعلُه، واعْتَلَّ إذا اعْتَلَّ فعلُه، فما كانَ مصدرًا لـ «فاعَلْتَ» فهو «فعَالٌ» صحيحٌ، تقولُ: قَاوَلْتُهُ قِوَالا، ولاَوَذْتُه لوَاذًا، كقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾(١)، أي مُلاوذَةً، وإذا كانَ مصدرَ «فَعَلْتُ» اعْتَلَّ لاعتلال الفعل فقلتَ: قمتُ قيامًا، ونمتُ نيامًا، ولُذْتُ لِيَاذًا، وعُذْتُ عِيَاذًا.

[لعويف القوافي يرثي سليمان بن عبد الملك]

وقال عُوَيْفُ القوافِي شعرًا، يَرْثِي سليمانَ بن عبد الملك، ويذكر عمرَ بن عبد العزيز، هذا ما اخترنا منه:

لاحَ سحابٌ فرأَيْنا بَرْقَهُ ... ثم تَدانَى فَسَمِعْنَا صَعْقَهُ
وراحت الرِّيحُ تزَجِّي بُلْقَهُ ... ودُهْمَهُ ثم تُزَجِّي وُرْقَهُ
ذاكَ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقَهُ ... قَبْرَ امْرِئٍ أَعْظَمَ ربِّي حَقَّهُ
قبرَ سليمانَ الذى مَنْ عَقَّهُ ... وجَحَدَ الخَيْرَ الذى قد بَقَّهُ
فى العالَمِين جِلَّهُ ودِقَّهُ ... لَمَّا ابتلَى اللهُ بخيرِ خَلْقَهُ
وكادت النفسُ تُساوى حَلْقَهُ ... أَلْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ
يا عمرَ الخَيْرِ المُلَقَّى وَفْقَهُ ... سُمِّيتَ بالفاروق فافْرُقْ فَرْقَهُ
وارْزُقْ عيالَ المسلمين رِزْقَهُ ... واقْصِدْ إلى الخَيْرِ ولا توَقَّهُ
بحرُكَ عذبُ الماءِ ما أَعَقَّهُ ... ربُّكَ، والمحرومُ من لم يُسْقَهُ

يقالُ: لاَحَ البرقُ، إذا بَدَا، وأَلاَحَ إذا تلأْلأْ، وهذا البيت يُنْشَدُ:

* مَنْ هَاجَهُ الليلةَ بَرْقٌ أَلاَحْ *

ويقالُ: شَرَقَت الشمسُ، إذا بَدَتْ، وأَشْرَقَت إذا أضاءتْ وصَفَتْ.

ويقالُ: صاعقَةٌ وصاقعَةٌ، وبنو تَميمٍ تقولُ: صاقعَةٌ، والصَّعْقُ شِدَّةُ الرَّعْد، ويعْنَى فى أَكثرِ ذلكَ ما يَعْتَرِى مَنْ يسْمعُ صوتَ الصاعقةِ.

---

(١) سورة النور ٦٣.

وقوله: «تُزَجِّى» يقول: تسوقه وتَسْتَحِثُّهُ.

والأَبْلَقُ من السحاب: ما فيه سوادٌ وبياضٌ، وفى الخيل: كلُّ لونٍ يخالطُه بياضٌ فهو بَلَقٌ.

والأَوْرَقُ: الذى بين الخُضْرَةِ والسَّوادِ، وهو أَلأمُ ألوانِ الإبلِ، ويقال: إن لحم البعيرِ الأَوْرَقِ أطيبُ لُحْمَانِ الإبلِ.

والوَدْقُ: المطرُ، يقال: ودَقَت السماء يَاَ فتى، تدقُ وَدْقًا، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فترى الودْقَ يَخْرُجُ مِنْ خلاَلِه﴾[1]، وقال عامرُ بن جُوَيْنٍ الطائىُّ:

فلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ ودْقَها ... ولا أَرْضَ أَبْقَلَ إبْقَالَها

وأصلُ العَقِّ القطعُ فى هذا الموضع، ولِلْعَقِّ مواضعُ كثيرة، يقال: عَقَّ والديه يَعُقُّهما إذا قَطَعهما، وعَقَقْتُ عن الصبىِّ[2] مِنْ هذا، وقالوا: بل هو من العَقيقة وهى الشَّعَرُ الذى يولَدُ الصبىُّ به، يقال: فلان بعَقيقته إذا كان بشعر الصِّبَا لم يَحْلقْهُ، ويقال: سيفٌ كأنَّهُ عَقيقة، أى كأنَّه لَمعْةَ بَرْقٍ، يقال: رأيتُ عَقيقَةَ البَرْقِ يا فَتى، أى اللَّمْعَةَ منه فى السحابِ، ويقال: فلانٌ عُقَّتْ تميمَتُهُ ببلَد كذا، أى قُطعَتْ عنه فى ذلك الموضع، قال الشاعرُ:

ألم تَعْلَمى يا دارَ بَلْجَاءَ أنَّنى ... إذا أَخْصَبَتْ أو كان جَدْبًا جَنَابُهَا
أَحَبَّ بلاد الله ما بين مُشْرِفٍ ... إلىَّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحَابُهَا
بلادٌ بها عَقَّ الشَّبابُ تميمَتِى ... وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جلدِى تُرَابُهَا

وقوله:

* وجَحَدَ الخيرَ الذى قد بَقَّهُ *

يقال: بَقَّ فلانٌ فى الناس خيرًا كثيرًا، وبقَّ ولدًا كثيرًا، وأَبَقَّ كلامًا كثيرًا.

وقوله:

* أَلْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ *

فهذا مثلٌ، يريد: قلَّدَهُ أمره، والوَسْقُ الْحِملُ.

---

(١) سورة النور ٤٣.

(٢) أى ذبحت عنه عقيقة.

وقوله: المَلَقَّى وَفْقَهُ، يقال: لُقِّيَ فلانٌ خيرًا، أى جُعِلَ يَلْقاهُ، والوَسْقُ من الكيل: مقدارُ خمسة أَقفزة بقَفيزِ البصرةِ، وهو قفيزَانِ ونصفٌ بقفيز مدينة السَّلامِ.

وقوله: «ليس فى أَقَلَّ من خمسة أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ» إنَّمَا مبلغ ذلك خمسة وعشرون قفيزًا بالبصرى، والوَفْق: التوفيقُ.

وقوله: «سمِّيتَ بالفاروقِ» فتأويلُ الفاروقِ هو الذى يَفْرِقُ بين الحقِّ والباطلِ، وكذلك قال المفسرون فى «الفُرْقان»، وقد أبانَ ذلك بقوله: «فافْرُقْ فَرْقَهُ».

وقولُه:

* وارْزُقْ عِيالَ المسلمينَ رَزْقَهُ *

يقال: رَزَقَه يرزُقُهُ رَزْقًا، والاسم الرِّزْقُ.

وقولُه:

* بَحرُكَ عَذْبُ الماءِ ما أَعَقَّهُ *

مقلوبٌ، إنما هو ما أَقَعَّهُ ربُّكَ. يقال: ماءٌ قُعَاعٌ، وماءٌ حُرَاقٌ، فالقَعاعُ: الشديدُ الملوحة، يقولُ: ما أَمْلَحَه ربُّك، والحُرَاقُ: الذى يُحرِقُ كلَّ شيءٍ بمُلوحَته، والماء العذبُ يقالُ له: النُّقَاخُ، وما دونَ ذلك شيئًا يقالُ له: المَسُوسُ. أنشد أبو عُبيدةَ:

لو كُنْتَ ماءً كنتَ لا عَذْبَ المَذَاقِ ولا مَسُوسَا

يقالُ: ماءٌ عذبٌ، وماءٌ فُراتٌ، وهو أَعْذَبُ العذْب، ويقال: ماءٌ مِلْح، ولا يقالُ: مَالِحٌ، وسَمَكٌ مَملوحٌ ومَلِيحٌ، ولا يقالُ: مالِحٌ، وأشدُّ الماء ملوحةً الأُجَاجُ، قال الفرزدَقُ:

ولو أَسْقَيْتَهُمْ عَسَلا مُصَفَّى بماء النِّيلِ أو ماء الفُرَاتِ
لقالوا إنه مِلْح أُجَاجٌ أَرادَ به لَنَا إِحْدَى الهَنَاتِ

وقوله:

* ذاكَ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقَهُ *

يقالُ فيه قـولان: أحدُهما: فَرَوَّى الغَيْمُ وَدْقَه هذا القـبرَ، يريدُ: منْ وَدْقه، فلمَّا حَذَفَ حـرفَ الجرِّ عَملَ الفعْل. والآخرُ كـقولك: «رَوَّيتُ زيدًا ماءً»، وروَّى أكثرُ من أَرْوَى، لأن «روَّى» لا يـكونُ إلا مَرَّةً بعدَ مرةٍ، يقـولُ: «فروَّى اللهُ وَدْقَه» أى جعَله رَوَاءً، فـأضمرَ لعلمِ المخـاطَبِ، لأنَّ قوله: «لاَحَ سحـابٌ»، إنما معناه: أَلاَحَهُ اللهُ، فـالفاعلُ كالمذكـور، لأن المعنَى عليه، ونظيره قـولُه جلَّ وعزَّ: **﴿إنِّى أحْبَبْتُ حُبَّ الخَـيْرِ عَنْ ذِكْرِ ربِّى حَتَّى تَوارَتْ بـالْحجَاب﴾**[1] ولم يَذكر الشمس، وكذلك: **﴿ما تَرَكَ على ظَهْرِها منْ دابَّة﴾**[2] ولم يَذكر الأرضَ، وقال قومٌ: وَدْقَهُ، يريد وَدْقَةً واحدةً، وهذا رَدِىءٌ فى المعنَى، ليس بمُبَالِغٍ.

[لإسحاق بن إبراهيم الموصلى]

قال ابن الموصلى:

لَعَمـرى لئَنْ حُلِّئْتُ عن مَنْهَلِ الصِّبَا ... لقـــد كنْتُ وَرَّادًا لمَنْـهلَه العَـــذْبِ
ليَـــالِىَ أَمَـشِى بين بُرْدَى لاهـيــا ... أَميسُ كغُصْنِ البانَة النَّاعمِ الرَّطْبِ
سلامٌ على سَيْـرِ القلاَصِ مع الرَّكْبِ ... ووَصْلِ الغَوانى والمُدامَـةَ والشَّرْبِ
سـلامُ امْـرِئٍ لم تَبْقَ مـنه بَقيَّـةٌ ... سِوَى نَظَرِ العينين أو شَهْوَةِ القلبِ

قـوله: «والشَّرْب»، يريـد جمعَ شـارب، يقـال: شاربٌ وشَـرْبٌ، وراكبٌ وركْبٌ، وتاجرٌ وتَجْرٌ، وزائرٌ وزَوْرٌ، قال الطِّرِمَّاحُ:

حَـبَّ بـالـزَّوْرِ الـذى لا يُـرَى ... منـه إلاَّ صَـفْـحَـةٌ عـن لمام

وهذا بابٌ متصلٌ كثيرٌ، قال العَجَّاجُ:

بِـوَاسِـطٍ أكْــــــــرَمُ دَارٍ دَارَا ... واللهُ سَـمَّى نَصْـرَكَ الأنصـارَا

يريد أنصارَكَ، فأخرجه على «ناصِرٍ ونَصْرٍ».

وقوله: «سلامُ امْرِئٍ» على البدل من قـوله: «سلامٌ على سَيْرِ القلاص» وإن شئت نصبتَ بفعلٍ مضمرٍ، كـأنك قلتَ: اسَلِّمْ سَلاَمَ امْرِىءٍ، لأنك ذكرت سلامًا

---

(١) سورة ص٣٢.
(٢) سورة فاطر ٤٥.

أولا، ومَثلُ ذلك: له صوْتٌ صوت حمار، لأنك لَمّا قلتَ: «له صوتٌ» دللتَ على أنه يُصَوِّتُ، كأنك قلت: يصوِّتُ صَوتَ حمارٍ، وكذلك: «له حَنينٌ حَنينَ ثَكْلَى»و:

* له صَريفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ *

أى: يَصْرِفُ صَرِيفًا، فما كان من هذا نكرةً فنَصْبُه على وجهين: على المصدر، وتقديرُه: يَصْرِفُ صريفًا مثلَ صريفِ جَملٍ، وإن شئتَ جعلتَه حالا، وتقديره: يُخْرِجُه فى هذه الحال. وما كان معرفةً لم يكن حالا ولكن على المصدر، فإن كان الأولُ فى غير معنى الفعلِ لم يكن النصبُ ألبَتَّة ولمْ يصلُح إلاَّ الرفعُ على البدل، تقول: له رأسٌ رأسُ ثور، وله كفٌّ كفُّ أَسد، فالمرتفعُ الثانى إذا كان نكرةً كان بدلا أو نعتًا، وإذا كان معرفةً كان بدلا ولم يكن نعتًا، لأن النكرةَ لا تنْعَتُ بالمعرفة، وكذلك إذا كان الأوَّلُ ابتداء لم يجزْ إلاَّ الرَّفعُ، لأن الكلامَ غيرُ مُسْتَغْنٍ؛ وإنما يجوزُ الإضمارُ بعد الاستغناء، تَقول: صوته صوتُ الحمار، وغناؤه غَنَاءُ المجيدين، وكذلك إن خَبَّرْت بأمرٍ مُستَقِرٍّ فيه اختيرَ الرَّفع، تقول: له عِلْم عَلْمُ الفقهاء، وله رأىٌ رأىُ القضاة؛ لأنك إنما تمدحُه بأن هذا قد استقرَّ له، وليس الأبلغُ فى مدحه أن تخبر بأَنك رأيتَه فى حال تَعَلُّمٍ، ويجوز النصبُ على أنك رأيتَه فى حالِ تَعَلُّمٍ فاستدللتَ بذلك على علمه فهذا يَصْلحُ، والأجودُ الرفعُ، فإذا قلتَ: «له صَوتٌ صوتَ حمارٍ»، فإنما خَبْرتَ أنه يُصَوِّتُ، فهذا سوى تلك المعنى.

ومِمَّا يُخْتارُ فيه الرفعُ قولُك: عليه نَوْحٌ نَوْحُ الحمامِ، وإنما اختيرَ الرفعُ؛ لأنَّ الهاءَ فى «عليه» اسمُ المفعول له، والهاءَ فى «له» اسمُ الفاعلِ، ويجوز النصبُ على أنك إذا قلتَ: عليه نَوْحٌ دَلَّ النَّوْحُ على أن معه نائحًا، فكأَنك قلتَ: يَنُوحون نَوْحَ الحمامِ، فهذا تفسيرُ جميعِ هذه الأبواب.

[لابن الخياط المدنى]

وقال ابنُ الْخَيَّاط المَدِينىُّ، يعنى مالكَ بنَ أَنسٍ:

يَأَبى الجوابَ فما يُرَاجَعُ هَيْبَةً	والسائلون نَوَاكِسُ الأذْقَانِ
هَدْىُ التَّقِىِّ وعِزُّ سُلْطانِ النُّهَى	فهو العزيزُ وليس ذا سلْطانِ

أراد: له هدىُ التَّقِىِّ، أو معه هدىُ التَّقِىِّ.

بابـ

قال أبو العباس: نَذْكُرُ في هذا الباب من كل شيء شيئًا، ليكونَ فيه استراحةٌ للقارئ، وانتقالٌ يَنْفي المَلَلَ؛ لِحُسْنِ[1] مَوْقعِ الاستطراف، ونَخْلطُ مـا فيه من الجِدِّ بشَيْءٍ يسيرٍ من الهزْلِ، ليستريحَ إليه القلبُ، وتَسْكُن إليه النفسُ.

[نبذ من الأقوال الحكيمة]

قال أبو الدَّرْداء رحمه الله: إني لأسْتَجِمُّ نفسي[2] بشيءٍ[3] من الباطلِ ليكونَ أَقْوى على الحقِّ.

وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رحمه الله: القَلْبُ إذا أُكْرِهَ عَمِيَ.

وقال ابنُ مسعودٍ[4] رحمه الله: القلـوبُ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ فابتـغوا لها طَرَائفَ الحِكْمة.

وقـال ابنُ عـبـاسٍ رضي الله عنه: العِلْمُ أكـثـرُ من أنْ يُؤْتَى على آخِـرِه، فخذوا[5] من كل شَيءٍ أَحْسَنَهُ.

وليس هذا الحديثُ من البابِ الذي ذكـرنا. ولكن نذكر الشيء بالشيء، إمَّا لاجتماعهما في لفظٍ، وإمَّا لاشتراكهما في معنى.

وقال الحسنُ - وليس من هذا الباب -: حادثُـوا هذه القلوبَ، فإنها سَريعةُ الدُّثُورِ، واقْدعُـوا هذه الأنفُسَ، فإنها طُلَعَةٌ، وإنكم إلاَّ تَزَعُـوها تَنْزِع بكم إلى شَرِّ غاية، وقد مَضَى تفسيرُ هذا الكلامِ.

وقـال أرْدَشِـيرُ بن بَابَـكَ: إن لِلآذَانِ مَجَّـة، وللقلوب مَـلَلاً، فَفـرِّقُـوا بين الحِكْمَتَيْنِ يَكُنْ ذلكَ اسْتِجْمَامًا.

وكان أَنُوشَـرْوان يقول: القلوبُ تحـتاجُ إلى أقـواتِها من الحِكْمةِ كـاحتـياج الأبدانِ إلى أقواتِها من الغِذَاءِ.

---

(١) س: «بحسن».

(٢) أستجم نفسي، يريد أريحها، وأصله في البئر؛ تترك بعد الاستقاء ليتراجع ماؤها.

(٣) كذا في الأصل، س، وفي ر: «لشيء».

(٤) س: «عبد الله بن مسعود».

(٥) كذا في الأصل، س، وفي ر: «فخذ».

وُيْرَوى أنه أصيبَ فـى حكْمَة آل داود[1] : لا ينبغى للعاقـل أن يُخْلىَ نفسه من واحدة من أربعٍ: من عُدَّة[2] لمعَاد، أو إصلاحٍ[3] لمَعاشٍ، أو فكْرٍ يَقف به على ما يُصْلِحُهُ مما يفسده، أو لَذَّةٍ فى غير مُحَرَّمٍ يستعينُ بها على الحالاَتِ الثلاثِ.

* * *

وقال عـبدُ الله بن عـمرَ بن عـبد العـزيز لأبيه يومًـا: يا أَبَةِ، إنك تنامُ نومَ القائلة، وذو الحاجة على بابكَ غيرُ نائمٍ؟ فـقال له: يابُنَىَّ، إنَّ نفسى مَطِيَّتى، فإن حَمَلْتُهَا عليها فى التَّعَبِ حَسَرْتُها.

تأويلُ قوله: «حَسَرْتُها»: بَلَغْتُ بها أقـصى غاية الإعْياء، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[4]. وأَنْشَدَ أبو عُبيدَةَ:

إنَّ العَـسيـرَ بهـا دَالاَ مُـخَامِـرُهَا ... فَـشَطْرَهَا نَظَرُ العَـيْنَيْنِ مَـحسُـورُ

قوله: «فَـشَطْرَهَا» يريد قَصْدَهَا ونحوَها، قـال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شطرَ المسجد الْحَرَامِ﴾[5] [و][6] قال الشاعر[7]:

لهُنَّ الوَجا لِمْ كنَّ عَونًا على النوَى ... ولا زالَ منهـا ظالِعٌ وحَسِـيـرُ

يعنْى الإبلَ، يقول: هى المُفَرِّقَةُ، كما قال الآخَرُ:

مـا فَـرَّقَ الآلاَفَ يَعْـ ... ـدَ الله إلاَّ الإبِـلُ
ولا إذا صـاحَ غُـرَا ... بٌ فى الديار احْـتَـمَلوا
ومـا غـرابُ البَـيْنِ إلاَّ ... نـاقـةٌ أو جَـمَلُ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى فيه غيرُ أبى العباسِ:

---

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «داءد» بالهمزة والأوجه ما أثبتناه.

(٢) ر: «غدو»، وما أثبته عن ر والأصل.

(٣) س: «صلاح».

(٤) سورة الملك ٤.

(٥) سورة البقرة: ١٤٤.

(٦) من س.

(٧) هو جميل بن معمر العذرى، قاله المرصفى.

والنـاسُ يَلْحَـــونَ غُـــرا بَ البَــيْنِ لَمَّا جَـــهِلُوا
والبـــائِسُ المسكينُ مَـــا يُطْوَى علــيـــه الرَّحَلُ

ويقال: إنه لأبى الشيصِ].

* * *

فمن قال: «آلفٌ» للواحـد قال للجميع[1] «أُلاَّفٌ» كعاملٍ وعُمَّال، وشارب وشُرَّاب، وجاهلٍ وجُهَّال. ومن قـال للواحـد: إلْفٌ. قالَ للجـميع: آلاَفٌ، وتقديرهُ: عِدْلٌ وأعْدالٌ، وحِمْلٌ وأَحْمَالٌ. وثِقْلٌ وأَثقالٌ.

[في وصف الإبل]

وقد أنصفَ الإبلَ الذى يقولُ:

ألاَ فَـــرعَى اللهُ الرَّوَاحِلَ إنمـا مَطَايا قلوبِ العـاشقـيَن الرَّوَاحِلُ
على أنهنَّ الواصِـلاتُ عُرَى النَّوَى إذا مـا نَأَى بالآلفِـينَ التَّـواصُلُ

وقال الآخر:

أقـولُ والهَوْجَـاءُ تَمْشِى والفُـضُلْ: قطعَـتِ الأحْـداجُ أعنـاقَ الإبلْ

الهَوْجَاءُ: التى تُجِدُّ فى السَّيْر وتَرْكَبُ رأسَها، كأن بها هَوْجًا.

كما قال:

* للهِ دَرُّ اليَعْمَلاتِ الهُوْجِ *

وكما قال الأعشى:

وفـيهـا إذا ما هَجَّـرَتْ عَجْـرَفِيَّـةٌ إذا خِلْتَ حِـرْباءَ الوَدِيقـةِ أَصْيَـدَا

والفُضلُ: مشْيةٌ فيها اختيالٌ، كأنَّ مـشْيَتَها تَخْرُجُ عن خطامها فتَفْضُلُ عليه، والأصلُ فى ذلك أن يمشىَ الرجلُ وقد أَفْضَـلَ مِنْ إزاره، وتمشىَ المرأةُ وقد أفْضَلَتْ من ذَيْلِها، وإنما يُفعلُ ذلك من الخُيَلاء، ولذلك جاء فى الحديث: «فَضْلُ الإزار فى النارِ»، وقـال رسـول الله ﷺ لأبى تَميمةَ الهُجَيْمىِّ: «وإيَّـاكَ والمَخيلَة»[2]، فقال: يا رسول اللهِ، نحن قومٌ عَرَب، فما المَخِيلَةُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «سَبَلُ الإزارِ».

---

(١) كذا فى س، وفى الأصل، س: «قال آلاف». (٢) المخيلة: الكبر والعجب والخيلاء.

وقال الشاعر[1] :

وَلا ينسينِىَ الحَدَثَان عِرْضِى ... وَلا أُرْخِى من المَرَحِ الإزارَا

وقال أبو قيس بن الأَسْلَتِ الأنصارىُّ:

تَمْشِى الهُوَينى إذا مَشَتْ قُطُفًا[2] ... كأَنَّهَا عُودُ بانَةٍ قَصِفُ

* * *

[قال أبو الحسن: هذا وهم من أبى العباس، ما تروى إلاَّ لقيس بن الخطيم الأنصارىِّ].

* * *

وقال الوَليدُ بن يزيد:

أنا الوليدُ الإمامُ مُفْتَخِرًا ... أُنْعِمُ بَالِى وأَتْبَعُ الغَزَلاَ[3]

أَنْقُلُ رِجْلى إلى مَجالِسها ... وَلاَ أُبالِى مَقالَ مَنْ عَذَلاَ

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ يُسْتَضَاءُ بها ... تمشى الهُوَيْنَى إذا مَشتْ فُضُلاَ

* * *

ثم نعود إلى الباب، قال الراجزُ يصف إبلا أو نوقا[4] :

إِنَّ لها لَسَائِقًا خَدَلَّجَا ... لم يُدْلِجِ الليلةَ فيمن أَدْلَجَا

الخَدَلَّجُ: المُدْمَجُ السَّاقَيْنِ: وإنما عَنَى المرأة التى ساقه حبُّه إليها.

[ضروب الكلام]

والكلامُ يجرى على ضروبٍ، فمنه ما يكونُ فى الأصل لنفسِهِ، ومنه ما يُكنى عنه بغيره، ومنه ما يَقَعُ مَثَلاً، فيكونُ أبلَغَ فى الوصفِ.

---

(١) زيادات ر: «ويقال إنه لقيس بن الخطيم».

(٢) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «فضلا».

(٣) كذا فى الأصل، وفى ر، س: قال على بن سليمان: ما نعرف هذا البيت إلا لقيس بن الخطيم الأنصارى، يعنى: «تمشى الهوينى».

(٤) كذا فى الأصل: س، وفى ر: «يعنى إبله أو ناقته».

والكنايةُ تَقعُ على ثلاثةِ أَضْرُبٍ:

أحدها: التَّعْمِيَةُ والتَّغْطِية، كقول النابغة الجَعْدىِّ:

أَكْنى بغيرِ اسمِهَا وقد علِمَ الله ... خَفِيَّاتِ كلِّ مُكْتَتمِ[١]

وقال ذو الرُّمَّة، استراحةً إلى التصريح من الكناية:

أُحِبُّ المكانَ القَفْرَ من أجْل أَنَّنى ... به أَتَغَنَّى باسمِها غيرَ مُعْجَمِ

وقال أحدُ القرشيين[٢]:

وقد أَرْسَلَتْ فى السرِّ أَنْ قد فَضَحْتنِى ... وقد بُحْتَ باسمى فى النَّسيبِ وما تَكْنِى

ويُرْوَى أن عمرَ بن عبد الله بن أبى ربيعةَ قال شعراً، وكتب به إلى امرأةٍ مُحرِمَةٍ[٣] بحضرة ابن أبى عتيق، وهو:

أَلِمَّا بذَاتِ الخالِ فاسْتَطْلِعَا لَنَا ... على العَهْد بَاقٍ وُدهَا أَمْ تَصَرَّما
وَقُولاَ لهَا إنَّ النَّوَى أَجْنَبِيَّةٌ ... بنَا وبِكُمْ قد خِفْتُ أَنْ تتيَمَّمَا

قال: فقال له ابنُ أبى عتيقٍ: ماذا تُرِيدُ إلى امرأة مسلمة[٤] مُحْرِمة تكتُبُ إليها بمثل هذا الشعر! قال: فلما كان بعد مُدَيْدَةٍ قال له ابنُ أبى ربيعةَ.

أعلمتَ[٥] أَنَّ الجوابَ جاء[٦] من عندِ ذاك الإنسان؟ فقال له: ما هو؟ فقال: كَتَبَتْ:

أَضْحَى قَرِيضُك بالهوَى نَمَّامَا ... فاقصدْ هُديتَ وكنْ له كتَّامَا
واعلَمْ بأَنَّ الخالَ حين ذَكَرتَه ... قَعَدَ العَدُوُّ به عليكَ وَقَامَا

ويكونُ من الكناية - وذاك أحسنها - الرغبةُ عن اللفظ الخسيسِ المُفْحشِ إلى ما يدلُّ على معناه من غيرِه، قال اللهُ ـ وله المَثَلُ الأعلى: ﴿أُحِلَّ لكم لَيْلَةَ الصِّيامِ

(١) ر «مكتتم» بفتح التاءين.

(٢) زيادات ر «هو محمد بن نمير الثقفى».

(٣) ر: «وكتب به محضرة ابن أبى عتيق إلى امرأة محرمة».

(٤) كلمة «مسلمة» ساقطة من س.

(٥) كذا فى الأصل، ص، وفى س: «أما علمت».

(٦) كذا فى الأصل، وفى س: «قد جاء»، وفى ر: «جاءنا».

الرَّفَثُ إلى نسائكم﴾[1] وقال: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النساءَ﴾[2] والمُلاَمَسَةَ فى قول أهلِ المدينة - مالك وأصحابه - غيرَ كناية، إنما هو اللَّمْسُ بعينه، يقولونَ فى الرجلِ تقَعُ يدهُ على امرأته أو على جاريته بشهوةٍ[3]: إنَّ وضوءَه قد انْتَقَضَ.

وكذلك قولُهم فى قضاء الحاجة: جاء فلانٌ من الغائط، وإنما الغائط الوادى، وكذلك المرأةُ، قال عمرُو بن مَعْدَى كَرِب الزُّبَيْدِىُّ:

فَكَمْ مِّنْ غائطٍ من دُون سَلْمَى ... قَلِيلِ الإنْس ليس به كَتِيعُ

وقال الله جلَّ وعزَّ فى المسيحِ ابنِ مريمَ وأمِّهُ صلى الله عليهما: ﴿كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾[4]. وإنما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة. وقال: ﴿وقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتمْ علينَا﴾[5]، وإنما هى كنايةٌ عن الفُرُوج. ومِثْل هذا كثيرٌ.

والضربُ الثالثُ من الكناية: التفخيمُ والتعظيمُ، ومنه اشتُقَّتْ «الكنْيَةُ» وهو أن يُعَظِّمَ الرجل أَنْ يُدْعَى باسمه، ووقَعَتْ فى الكلام على ضربين: وقعتْ فى الصَّبِىِّ على جهة التَّفَاؤُل: بأن يكون له ولدٌ ويُدْعَى بولده كنايةً عن اسمه، وفى الكبير أَنْ يُنادَى باسم ولدِه صيانَةً لاسمِه، وإنما يقال: كُنِىَ عن كذا بكذا، أى تُرِكَ كذا إلى كذا، لبعض ما ذكرنا.

وكان خالدُ بن عبد الله القَسْرِىُّ لعنه الله يَلْعَنُ عليًّا رضى الله عنه على المنبرِ فيقول: فَعَلَ اللهُ عَلَى علىِ بن أبى طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مناف ابنِ عَمِّ رسول الله ﷺ وزوجِ ابنته فاطمةَ وأبى الحسنِ والحسين. ثم يُقْبِلُ على الناسِ ويقولُ: أَكَنَيْتُ! فهذا تأويلُ هذا.

[لأعرابى]

ونرجعُ إلى الباب الذى قَصَدْنَا له:

وقال أعرابىٌّ:

وحُقَّةِ مِسْكٍ من نساءٍ لبِسْتُها ... شَبَابى وكَأْس باكَرَتْنى شَمولُها[6]

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) سورة النساء ٤٣.

(٣) ر: «بشهوة».

(٤) سورة المائدة» ٧.

(٥) سورة فصلت: ٣١.

(٦) حقة مسك هنا، كناية عن المرأة.

جـدَيدَة ســرْبال الشَّـبــاب كَـأَنَّهـا أَباءَةُ بَرْدِيٍّ سـقَـتْهـا غُـيـولُهـا
مُحَـمَّلَةٍ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونِ خَـصْرِهَا تَطولُ الْقِـصـارَ والطِّوالُ تطولُهـا

قوله: «باكَرَتْنِى شَمولها»، زعمَ الأصمـعىُّ أنَّ الخمر إنما سُميت شمولا؛ لأن لها عصفةً كعصفة الرِّيح الشِّمال.

وقوله: «أَبَاءَةُ بَرْدِىٍّ»، الأَبَاءَةُ: القَصبَةُ، وجمعُها الأَباءُ. يافتى[1].

قال كعبُ بن مالك الأنصارىُّ:

مَنْ سـرَّه ضَـرْبٌ يُرَعْـبِلُ بعـضُـهُ بعضًـا كَمَعْـمَعَـةِ الأباءِ المُحْرَقِ[2]

المَعْمَـعَةُ: صوتُ إحْراقه، يقـال: سمعتُ معـمعةَ القَصَب. والقَـوْصَرَّة فى النار، أى صوتَ احتراقها.

وإنما شَبَّهَ المرأةَ بالبَرْدية والقَصبةِ لنقاءِ اللونِ المستترِ منها وما وَالاَهُ وَرِقَّته.

قال حُمَيْدُ بن ثَوْر الهلالِىُّ:

لم أَلْقَ عَـمْـرةَ بـعْـدَ إذْ هِىَ ناشئٌ خـرجتْ مُـعَطَّفَـةً عليـها مـئـزرُ
بَرَزَتْ عـقِـيلَةَ أَرْبَعٍ هَادَيْـنَهَـا بِيضِ الوجـوه كَـأَنَّهُنَّ العُنْقَـرُ

العطاف: الوشاح للناس، والعُنْقَـرُ: أصولُ القَصبِ، يقال: عُنْقَـرٌ وعُنْقُرٌ، وفى هذا الشعر:

ذهبـتْ بعـقلك رَيْـطةٌ مَطْـوِيةٌ وهْىَ التى تُهْـدَى بها لو تنْشَـرُ[3]

* * *

[قال أبو الحسن: أنشدنيه ثَعْلَبٌ فى قوله: «لو تُنْشَرُ»: «تَشْعُرُ»].

* * *

فَهَمَـمْتُ أَنْ أَغْشَى إليها مـحْجَرًا ولِمَـثْلُها يُغْـشَى إليـه المِحْجَـرُ[4]

وقوله: «سَقَتْهَا غُـيُولَها» الغَـيلُ: هاهنا: الأجَمَةُ، ومن هذا قـولُهم: أُسْدُ غَيل، قال طَرَفَةَ:

(١) ساقطة من ر . (٢) يرعبل: يمزق.
(٣) الريطة : الملاءة البيضاء .
(٤) المحجر : المحرم.

أُسْـدُ غَـيلٍ فـإذا مـا شَـرِبُوا ... وهَبُـوا كـلَّ أَمُـونِ وَطِمِـر[1]

وقد أملينا جميعَ ما فى الغَيْل والغِيلِ.

وقوله:

* تَطولُ القِصارَ والطِّوالُ تطُولَها *

طال: يكون على ضَرْبيـن: أحدُهما تقـديرُه: فَعَلَ، وهو ما يقع فى نفسه انتقالا لا يتـعدى إلى مفعـول، نحو ما كان كريمًـا فكَرُمَ، وما كان وضيـعًا ولقد وَضعَ، وما كان شريفًا ولقد شَرُفَ، وكان الشيءُ صغيرًا فكَبُرَ، وكذلك كان قصيرًا فطال، وأصله «طَوُلَ».

وقد أخبَرْنـا بقصة الياء والواو إذا انفتح ما قـبلَهما وهما مُتَحَـرِّكتان، وعلى ذلك يقال فى الفاعل: «فَعيلٌ» نحو شَرِيف، وكريم، وطويل. فإذا قلتُ: طَاوَلَنى فطُلْتُه، أى فَـعَلَوْتُه طُولا، فتقـديرُه «فَعَلَ» نحو خـاصمنى فَخَـصمْتُـهُ، وضَارَبَنى فضَرَبْتُه، وفاعلُهُ طائلٌ، كقولك ضاربٌ، وخاصمٌ. وفى الحديث: «كان رسولُ الله ﷺ فَوْقَ الرَّبْعَةِ، وإذا مَشَى مع الطوَالِ طَالَهُمْ».

[بين رياح بن سنيح وجرير]

وقال رياحُ بـن سُنيح الزَّنْجِىْ مولَى بنى نَاجِـيَةَ - وكـان فصـيحًا، يُـجيبُ جَريرًا، لما قال جريرٌ:

لاَ تَطْـلُبَنَّ خـؤولَـة فى تَغْـلبٍ ... فَـالزَّنجُ أكـرمُ مـنهمُ أَخْـوَالاَ

فتـحركَ رِيَاحٌ فـذَكَر أَكْثـر مَنْ وَلَدَتْهُ الزَّنْجُ من أشراف العـربِ فى قصـيدةٍ مشهورة معروفة، يقول فيها.

والزَّنْجُ لو لاَقَـيتهمْ فى صَـفِّهـمْ ... لاَقَـيْتَ ثَمَّ جَـحـاجِـحًـا أَبْطَالاَ

مـا بالُ كلب بَنِـى كَلَيْب سَـبَّـهُمْ ... إنْ لَم يُوَازِن حـاجِـبًـا وَعِـقَـالاَ

إِنَّ الفـرزدقَ صَـخـرةٌ عـادِيةٌ ... طالتْ فلـيس تَنَالهَـا الأَجْـبَـالاَ

يريدُ: طالتِ الأجبالَ وعَلَتْ[2] فليس تنالهَا.

---

(١) الأمون: الناقة الوثيقة الخلق.

(٢) ساقطة من ر، وهى فى الأصل.

ثم نعودُ إلى ذكرِ الباب.

وقال مَرْوانُ بن أبى حَفْصةَ، وهو مـروانُ بن سليمانَ بن يحيى بن يحيى بن أبى حفصةَ، واسمُ أبى حفصة يزيدُ:

إنَّ الغَـــوانِيَ طـالما قَـــتَّلْنَنَا ... بعُـيـونـهنَّ ولا يَدِينَ قَـتـيـلاَ

من كلِّ آنسـةٍ كـأنَّ حِـجـالهَـا ... ضُـمِّنَّ أَحْوَرَ فى الكِنَاسِ كَـحِيـلاَ

أَرْدَيْنَ عُـــرْوَةَ والمرَقَّشَ قـبـلَه ... كلٌّ أُصـيبَ ومـــا أطاقَ ذُهُولاَ

ولقــد تـركْنَ أبا ذُؤَيْبٍ هـائمًـا ... ولقـد تبَلْـنَ كُـثَـيِّـرًا وَجَـمِـيـلاَ

وتَركْنَ لابن أبى ربـيـعـةَ مَنْطقًـا ... فـيـهنَّ أَصْبَحَ سائـرًا محـمـولاَ

إلاَّ أكنْ ممَّـنْ قَـــتَلْـنَ فـــإنَّـنى ... ممَّنْ تَركْـنَ فُــؤادَهُ مَـخْـبُــولاَ

قوله: «ولا يَدينَ قَتيلاَ» يقال: ودَى يدِى، وكلُّ ما كـان من «فَعَلَ» ممَّا فاؤُه واوٌ ومضارعُه «يَفْعِل»، فالواوُ ساقطةٌ منه[١]، لوقوعها بين ياء وكسرة، وكذلك ما كان منه على فَـعِلَ يَفعِلُ؛ لأنَّ العلةَ فى سـقوط الواو كَسْـرَةً العين بعـدَها. وقد مضى تفسيرُ هذا.

ولكنْ فى «يَدين» علةٌ أخرى، وهى أن الياءَ التى هى لامُ الفعلِ بعدَ كسرة، فهى تَعْتَلُّ اعتلالَ آخرِ «يرْمِى»، وأوَّله يعتلُّ اعتلالَ واوِ «يَعِدُ»، واحْتَمَلَ علَّتين لأَنَّ بينهمـا حاجزًا، ومـثْلُ ذلك وَعَى يعِى، ووَقَى يَقِى، ووَفَى يَفِى، ووَشَـى يَشِى، ووَنَى فى أَمْرٍ[١] يَنِى، وما أَشْـبَهَ ذلك. ويقَعُ فى «فَـعِلَ»، نحو ولِىَ الأمـيرُ الآنَ يَلِى.

فإذا أمـرتَ كان الفـعلُ على حرف واحـد فى الوصلِ، لاتِّصاله بمـا بعدَه، تقـولُ: يا زَيْدُ عِ كلامًـا، وشِ ثوبًا، وتقـولُ: لَ عمَـرًا يا زيدُ، من وَليتُ، فـإذا وَقَـفْتَ قلت: لِهْ، وشِـهْ، وقِـهْ، لا يكونُ إلاَّ ذلَك، لأن الواوَ تَسْـقُطُ فَـتبْـتَـدئ بمتحرِّكٍ، فلا تحتَاجُ[٢] إلى ألِفِ وصل[٣]، فإذا وقفتَ احتجتَ إلى ساكنٍ تَقِفَ عليه

---

(١) س: «فى أمره».

(٢) س: «يحتاج».

(٣)س: «الوصل».

فأدخلتَ الهاءَ لبيانِ الحركة[1] فى الأوَّل، ولم يَجُـزْ إلا ذلك. ومن قـال لك: الفظْ «لِى» بحرف واحدٍ غيرِ موصول فقد سألك[2] محالا، لأنك لا تبتدئ إلاَّ بمحرَّكٍ. ولا تقفُ إلاَّ على ساكنٍ، فقد قال لك الفظْ «لِى» بساكنٍ متحرك فى حالْ.

وقوله: «ضُمِّنَ» يقـالُ: ضُمِّنَ القبرُ زيدًا، وضُمِّنَ القبـرَ زيدٌ، كلٌّ صحيحٌ. فمن قال: ضُمِّنَ القـبرُ زيدًا، فإنما أرادَ جُعِلَ القبرُ ضَـمين زيد. ومن قال: ضُمِّنَ زيدٌ القبرَ، فإنما أراد: جُعِلَ زيدٌ فى ضمنِ القبر، وينْشَدُ هذا البيت على وجهين:

وَمَـا غَائِبٌ مَنْ غـاب يُرْجَى إيابُهُ ... ولكِنَّهُ مَنْ ضُـمِّنَ اللَّحْدَ غـائِبُ[3]

ومن روى «ضُمِّنَ اللَّحْدُ غائِبُ» يريدُ من ضُـمِّنَهُ اللَّحْدُ، وحَـذَفَ الهاءَ من صِلةِ «مَنْ»، وهذا من الواضح الذى لا يَحتاج إلى تفسير.

وقوله: «أَحْور» يعنى ظَبيًا، وأهلُ الغَريب يذهبون إلى أن «الْحَوَرَ» فى العين شدَةُ سوَاد سَوَادها وشَدَّةُ بياض بيَاضـها، والذى عليه العرب إنما هو نَقاءُ البياضِ، فعندَ ذلك يَتَّضِح السوادُ. وقد فَسَّرنا الحَوَرَ والحَوَارِىِّ.

والكِنَاسُ: حيثُ تكْنسُ البـقرة والظَّبْيَـةُ، وهو أن تَتَّخذَ فى الشجـرة العَادِيَّة كالبيت تأوِى إليه وتَبْعَرُ فيه. فيقال إنَّ رائحتَه أَطْيَبُ رائحة، لِطيبِ ما تَرْتَعِى، قال ذو الرُّمة:

إذَا اَسْتَهَلَّتْ عليـه غَـبْيَـةٌ أَرِجَتْ ... مَـرَابِضُ العينِ حَتَّى يأْرَج الخَـشَبُ

كَـأنـه بيتُ عَطَّـارٍ يُضَـمِّـنهُ ... لَطائمَ المِسْكِ يَحْـوِيهَا وتُنْتَـهَبُ[4]

قوله: «غَبْيَةٌ» هى الدَّفْعةُ من المطرِ، وعند ذلك تتحرَّكُ الرائحةَ.

والأرَجُ: توَهَّجُ الرِّيحِ، وإنما يُسْتَعْملُ [ذلك] فى الريح الطيبةِ.

والعِين: جمعُ عيْناءَ، يعنى البقرةَ الوحشيةَ، وبها شُبِّهَتِ المرأة، فقيل: حورٌ عِينٌ.

واللَّطِيمَةُ: الإبلُ التى تَحمِلُ العِطْرَ والبَزَّ، لا تكونُ لغيرِ ذلك.

---

(١) س: «حركة الأول».

(٢) س: «سأل».

(٣) زيادات ر: «لأبى حبة النميرى».

(٤) من س.

فيقولُ: ضُمِّن ظَبيًا أَحورَ العيْنِ أَكْحلَ، وجعَلَ الْحجَالَ كالكناسِ. وقال ابنُ عباسٍ فى قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[1].
قال: أقْسَمَ[2] بِبَقَرِ الْوَحْشِ لأنها خُنْسُ الأنُوفِ، والكُنَّسُ: التى تَلْزَمُ الكِنَاسَ.
وقال غيرُه: أَقْسَمَ بالنجُومِ التى تَجْرى بالليلِ وتَخْنَسُ بالنهارِ، وهو الأكثر.

وقوله: «أَرْدَيْنَ». يقولُ[3]: أَهْلَكْنَ. والرَّدَى الهلاكُ والموت مِن ذا.

والذهُولُ الانصرافُ. يقال: ذَهَلَ[4] عن كذا وكذا: إذا انصرف عنه إلى غيره. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أى تسلى وتنسى عنه إلى غيره.

قال كثيِّر:

صَحَا قَلْبُهُ يا عَزَّ أو كاد يَذْهَلُ ... وَأَضْحَى يُريدُ الصَّرْمَ أو يَتَدَلَّلُ

وقوله:

* ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّرًا وَجَميلاَ *

أصلُ التَّبْلِ التِّرَةُ. يقال: تَبْلِى عندَ فلانٍ، قال حَسَّانُ بن ثابت:

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ فى المنامِ خَرِيدةٌ ... تَشفِى الضَجِيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ

والخَرِيدة: الحَيِيَّةُ.

وقوله:

* مِمَّنْ تَرَكْنَ فُؤَادَهُ مَخْبُولاَ *

يريد: الخَبْلَ، وهو الجنون، ولو قال: «مَحْبولا» لكان حسنًا يريدُ مصيدًا واقعًا فى الْحِبَالة، كما قالَ الأعشَى:

فكلُّنَا هائمٌ فى إِثْرِ صاحِبِهِ ... دَانٍ ونَاءٍ ومَخْبولٌ ومحتبِلُ

---

(١) سورة التكوير ١٥ ، ١٦ .
(٢) كذا فى الأصل، وفى ر : «أقسم» على المضارع .
(٣) كذا س، والأصل: أردين: أهلكن.
(٤) كذا الأصل، وفى ر. «ذهل»، بكسر الهاء.

[من طرائف العشاق]

وخُبِّرْتُ أن رجلا جافيًا عَشقَ قَـيْنَةً حَضريَّةً، فكلمها يومًا على ظَهرِ الطَّريقِ فلم تكلمه، فظَنَّ أن ذاك حَيـاءٌ منها، فقال: يا خَريدةُ! قد كنتُ أَحْسبكِ عَرُوبًا، فما بَالنا نمقك وتَشْنَئينَا! فقالت: يا بْنَ الخَبيثَة! أَتجَمِّشُنِي بالهمْزِ!

الخَريدَةُ: الحَيَّة. والعَروبُ: الحَسنةُ التَبَعُّل، وفسَّرَ فى القرآنِ على ذلك فى قوله: ﴿**عُرُبًا أَتْرَابًا**﴾[1] . فقيلَ: هُنَّ المُحبَّاتُ لأزواجهنَّ.

قال أَوْسُ بن حَجَرٍ[2] :

* تَصْبِى الحَليمَ عَرُوب غيرِ مِكْلاَحِ[3] *

* * *

وذكر الليثىُّ أن رجلا كان يحب[4] جاريةً ولم يكنْ يُحْسنُ مما يُتَوَصَّلُ به إلى النساء شيئًا، إلاَّ أنه كان يحـفظُ القرآنَ، فكانَ يَتوَصَّلُ إليها بالآية بعدَ الآية، فكانَ إنْ وَعَدَتْهُ فأَخْلَفَتْهُ تَحَيَّنَ وقتَ مرورها، فقال: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لمَ تَقُولُونَ ما لاَ تَفْعَلُونَ**﴾[5] وإن خَرَجَت خَرْجَة ولم يَعْلَمْ بها فينتظر تحَيُّنهَا فى أُخْرَى فتَلا: ﴿**وَلَوْ كنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ من الْخَيْر**﴾[6] . وإن وَشَى به إليها واشٍ كَتَبَ إليها: ﴿**يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا إنْ جاءكُمْ فاسِقٌ بنَبإٍ فَتَبيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْمًا بجَهَالَةٍ**﴾[7] .

* * *

وذكروا أن أبا القمقام[8] بن بَحْر السَّقَّاء عَشقَ جارية مَدينيَّة، فبَعَثَ إليها: إنَّ إخوانًا لِي زارونى، فابعثـى إلىَّ برءوسٍ حَتَّى نتغَدَّى[9] ونَصْطَبحَ [اليوم][10] على ذكْرِك، ففـعلتْ، فلما كان فى[11] اليومُ الثانى بعَـثَ إليها: إنَّ القَوْمَ مُقـيمونَ لم

---

(١) سورة الواقعة ٣٧.

(٢) زيادات ر: «ويقال عبيد بن الأبرص» وصدره كما فى الزيادات.

* وقدْ لَهَوْتُ بمثل الرئم آنسة *

(٣) أى غير عبوس.

(٤) ر: «أحب جاريةً».

(٥) سورة الصف ٢.

(٦) سورة الأعراف ١٨٨.

(٧) سورة الحجرات ٦.

(٨) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «القماقم».

(٩) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «تأكلها».

(١٠) تكملة من س.

(١١) ساقطة من ر.

نَفْتَـرِقْ، فابعثى إلىَّ بِقَـلِيَّة جَزَورِيَّة وبَقَـرِيَّة قَدِيَّة[1] حَتَّى نَتَـغَدَّاهَا ونَصْطَبِحَ على ذِكْـرِك. فلمـا كان فى اليَـوم الثَـالث بَعَثَ إليـهـا: إنَّا لم نَفـترقْ، فـابعـثى إلىَّ بِسَنْبُوسَك[2] حتى نصـطبحَ اليومَ على ذِكْـرِكِ، فقالت لرسـوله: إنى رأيتُ الْحُبَّ يَحُلُّ فى القَلْبِ، ويَفِيضُ إلى الكَبِدِ والأَحشاءِ. وإنَّ حُبَّ صاحبِنا هذا ليس يُجَاوِرِ المَعِدَةَ.

* * *

وَخُبِّرْتُ أن أبا الـعَتَاهِيَة كان قـد استأذنَ فى أن يُطْلَقَ له أن يُهْـدِىَ إلى أمير المؤمنينَ المَهْدِىِّ فى النَّيْرُوزِ والمِهْرَجَانِ، فأَهْدَى فى أَحدِهما بَرْنِيَّةً ضَخْمَةً، فيها ثوبٌ ناعمٌ مُطَيَّبٌ، قد كَتَبَ فى حَوَاشِيه:

نَفْـسى بشىءٍ من الدُّنيـا مـعلَّقَـةٌ	اللهُ والقـائـمُ المَهْـدِىُّ يَكفـيـهَـا
إنِّي لأَيْئَسُ مِـنهـا ثـم يُطْمِـعُنِى	فيـهـا احـتقارُكَ للدنيـا بما فِيـهَا[3]

فَهَمَّ بدفع عُـتْبَـةَ إليه، فَجَـزِعَتْ، وقالت: يا أميـرَ المؤمنين، أبعد حُـرْمَتِى وخِدْمَتِى تَدْفَعُنى[4] إلى رجلٍ قبيحِ المَنْظَرِ بائعِ جِرَارٍ ومُكْتَـسِبٍ بالعشْقِ! فأَعْفَاهَا، وقال: امْلَئُوا له[5] هذه البرنيةَ مالاً، فقال للكُتَّـابِ: أَمَرَ لِى بدنانيرَ فقالوا ما نَدْفعُ ذلك، ولكنْ إن[6] شئتَ أعطيناكَ دراهِمَ إلى أن يُفْصِحَ بما أرادَ، فاختَلَفَ فى ذلك حولاً، فقالتْ عُتْبةُ: لو كان عاشقًا كما يزعمُ لم يكنْ يختلفُ مُنْذُ حَوْلٍ فى التمييز بين الدراهِمِ والدنانير، وقد أَعْرَضَ عن ذِكرِى صَفْحًا.

* * *

ودَعَتْ أبا الحارثِ جُـمَّيْنٍ[7] واحدةٌ كان يحـبُّها، فجعـلَتْ تُحَادثه ولا تَذْكُرُ

---

(١) القلية الجـزورية: مرقة تتخـذ من لحوم الجزور وأكبـادها: وبقريَّة: قطيعـة من لحم البقر، وقدية: طيـبة الطعم، طيبة الريح.

(٢) سنبوسك، فارسى معرب، وهو من ضروب الأطعمة.

(٣) ر، س: «وما فيها» وما أثبته من الأصل.

(٤) ر: «حرمتى وخدمتى أتدفعنى»، وما أثبته عن الأصل.

(٥) ساقطة من ر .

(٦) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «إذا».

(٧) ر، س: «جميز»، وصوابه ما فى الأصل، وهو جمين المدنى صاحب النوادر والمزح» وانظر المشتبه ١٧٥ .

الطعامَ، فلما طالَ ذلك به قال: جعلنى الله فداك! لا أَسْمَعُ للغداء[1] ذكْرًا. قالت: أَمَا تستحيى! أَمَا فى وَجْهِى ما يَشْغَلُكَ عن ذَا؟ فقال لها: جَعَلَنى الله فِدَاكِ! لو أَنَّ جَميلا وبُثَيْنَةَ قعدا ساعةً لا يأكلان شيئا لَبَزَقَ كلٌّ واحدٍ منهما فى وجه صاحبِه وافترقا.

* * *

وأنشدتُ لأعرابِىٍّ:

وقد رابنى من زَهْدَمٍ أَنَّ زَهْدَمًا ... يَشُدُّ على خُبْزِى ويَبْكى على جُمْلِ
فلو كنتَ عُذْرِىَّ العَلاقَةِ لم تكنْ ... سَمِينًا وأَنسَاكَ الهَوَى كثرةَ الأكْلِ

وقال أعرابىٌّ:

ذَكَرتُكِ ذكْرَةً فاصْطَدْتُ ضَبًّا ... وكنتُ إذا ذكرتكِ لا أخِيبُ

[لذى الرمة فى مى]

وقال ذو الرُّمَّة:

ألم تعلَمِى يامَىَّ أَنَّا وَبينَنَا ... مَهَاوٍ لطَوْفِ الْعَيْنِ فيهنَّ مَطْرَحُ
ذكرْتُك إنْ مَرَّتْ بنا أُمُّ شَادنٍ ... أَمَامَ المَطَايَا تَشْرَئِبُّ وتَسْنَحُ
من المؤْلفَاتِ الرملَ أدمَاءُ حُرَّةٌ ... شعَاعُ الضُّحى فى لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ
هِيَ الشِّبْهُ أعطافًا وجيدًا ومُقْلةً ... ومَيَّةُ أَبْهَى بَعْدُ منها وأَمْلَحُ
كأَنَّ البُرَى والعاجَ عِيجتْ مُتُونَه ... على عُشَرٍ نَهَى به السَّيْلُ أَبطَحُ
لئنْ كانتِ الدُّنيا علَىَّ كما أَرَى ... تَبَاريحَ مِن ذِكْرَاكِ لَلْمَوْتُ أَروحُ

قوله: «مَهَاو»، واحدتُها مَهْوَاةٌ، وهو الهَوَاءُ بين الشيئين.

ويقال: لفلان فى دارِه مَطْرَحٌ إذا وصفها بالسَّعَةِ، يقال: فلانٌ يَطْرَحُ بصرَهُ كذا مَرَّةً وكذا مرةً، وأنشد سيبويه:

نَظَّارَةٌ حين تَعْلُو الشمسُ راكبَها ... طَرْحًا بعَيْنَىْ لَيَاحٍ فيه تحْدِيدُ

اللَيَاحُ من البياض، واللَّوْحُ: العطش، واللَّوحُ: الهواءُ.

والشَّادِنُ: الذى قد شدَنَ، أى تحرَّك.

---

(1) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «للغداء».

وقوله: «تَشْـرَئِبُّ»، يقال: إذا وقَفَ ينظرُ كـالمتحَـيِّر: قد اشْـرأَبَّ نحوى، ويقال: هو يَسْرَحُ فى المَرْعَى.

وقوله: «من المُؤْلِفَـات»، يقال: «آلَفْتُ المكانَ أُولِفُـهُ إيلافًا»، ويقال: ألِفْـتُه إِلْفًا، وفى القرآن الكريم: ﴿لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ﴾[1] وقرءوا: ﴿إِلاَفِهِمْ﴾ على القصْرِ.

وقوله: «الرَّمْلَ» النصبُ فيه أَجْوَدُ بالفِعْلِ، ويجوز الخفضُ على شيءٍ نذكره بعدَ الفراغِ من هذا البابِ، إن شاء الله.

وأصلُ الْهِجَانِ الأبيضُ.

والعطْفُ: مـا انثنى من العُنقِ، قـال تعـالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾[2]. ويقال للأرْدِيَةِ: العُطُفُ؛ لأنها تَقعُ على ذلك الموضعِ.

وفى الحديث: أنَّ قومًـا يزعمون أنهم من قريشٍ أتَوا عمـرَ بن الخطابِ رحمه الله، وكان قَائِفًا[3]، لِيُثبِّتَهمْ فى قُرَيشٍ. فـقال: اخرُجُوا بنا إلى البَقيعِ. فنظَرَ إلى أَكُفِّهِمْ، ثم قال: اطْرَحُوا العُطُفَ ـ واحدهَا عِطَاف ـ ثم أمَرَهُم فأَقبَلُوا وأدبَرُوا. ثم أقبل عليهم فقال: لَيستْ بأكفِّ قريشٍ ولا شمَائِلِها، فأعطاهم فيمَن هُم منه.

والجِيدُ: العُنُق.

والبـرَى: الخَـلاخيلُ، واحـدتُهـا بُرَةٌ، وهىَ من الناقَـةِ التى تَقَعُ فى مـارِنِ الأنْفِ، والذى يَقَعُ فى العَظْمِ يقالُ له الْخِشاش.

والعاجَ كان يُتَّخَذَ مكانَ الأَسْوِرَةِ، قال جَرِيرُ:

تَرَى العَبَسَ الْجَوْلِىَّ جَوْنًا بِكُوعِها   لها مَـسَكًا منْ غيـرِ عَاجٍ ولا ذَبْلِ

العَبَسُ: ما تعلَّق[4] من الأبعْارِ والبـولِ بأذناب الإبلِ، والوَذَحُ: الذى تعلَّق بأطرافِ إلْاءِ الشَّاءِ. ويكون العَبَسُ فى أذنابِ الإبل من البول إذا خثَرَ.

(١) سورة قريش: ١ .

(٢) سورة الحج: ٩ .

(٣) القيافة: تتبع الآثار ومعرفتها.

(٤) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «ما يتعلق» .

والجَوْن هاهنا: الأسودُ وهو الأغْلَبُ فيه، والكوعُ: رأسُ الزَّنْد الذى يَلِى الإبهام. والكُرْسُوعُ: رأسُه الذى يلى الْخنْصَرَ. والمَسكَةُ. السِّوارُ. والذَّيل: شىءٌ يُتَّخَذ من القُرون كالأسوِرَةِ، يقال: سِوَارٌ وَسُوَارٌ، وإسْوَارٌ، قالت الْخَنساءُ:

* كأنه تحتَ طَىِّ البُرْدِ إسْوَارُ *

والعُشَرُ: شجرٌ بعينه.

والأبْطَحُ: ما انبطحَ من الوادِى، يقال: أبطَحُ وبَطْحَاءِ يافتى، وأبْرَقُ وبَرْقَاءُ، وأمْعَزُ ومَعْزَاءُ، وهذا كثيرٌ.

والتَّبارِيحُ: الشدائدُ. يقال: بَرَّح به، وفى الحديث: «فأيْنَ أصحابُ النَّهْرِ؟» قال: لَقُوا بَرَحًا، والعربُ لا تعرفه إلاَّ ساكنَ الراء، قال جريرٌ:

مَا كنتُ أوَّلَ مَشْغُوفٍ أضر به ... بَرْحُ الهَوَى وعَذابٌ غيرُ تَفْتِيرِ

* * *

[قال أبو الحسن. وقد سمعنا من غير أبى العباس. يقال: لقيتُ منك برَحًا. بالفتح. ويقال: لَقِىَ منه البَرْحِيْن. أى الدَّوَاهِىَ الشِّدَادَ التى تُبَرِّحُ].

[ما قيل فى السر وكتمانه]

قال أبو العباس فى المثل السائر: قيلَ لرجل: مَا خَفِى؟ قال: ما لم يكنْ.

وفى تفسير هذه الآية: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[1] . قال: ما حَدَّثْتَ به نفسَك. كما قال: ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فى أَنْفُسِكم﴾[2] تقديرُه فى العربية: وأَخْفَى منه.

والعربُ تحذفُ مثل هذا، فيقولُ القائلُ: مررتُ بالفيلِ أو أعْظَمَ، وإنه كالبَقَّة[3] أو أصْغَرُ، ولو قال: رأيتُ زيدًا أو شَبيهًا لجازَ؛ لأنَّ فى الكلام دليلا، ولو قال: رأيتُ الجملَ، أو راكبًا، وهو يريدُ: «عليه»: لم يَجُزْ لأنه لا دليلَ فيه، والأوَّل إنما قَرَّب شيئًا من شىءٍ، وهاهنا إنما ذكر شيئًا ليس من شكْلِ ما قَبلَه.

فأمَّا قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وهُوَ أهونُ عَلَيْه﴾[4] ففيه قولان: أحدُهما - وهو

---

(١) سورة طه ٧.

(٢) سورة البقرة ٢٣٥ .

(٣) ر: «لكالبقة»، وما أثبته عن الأصل، س .

(٤) سورة الروم ٢٧ .

المَرْضِيُّ عندنا ـ : إنما هو: وهو عليه هَيِّنٌ، لأن اللهَ جَلَّ وعزَّ لا يكونُ عليه شيءٌ أَهْوَنَ من شيء آخر، وقد قال مَعْنُ بن أَوْسٍ:

لعَمْرُكَ ما أَدْرِى وإِنِّى لأوْجَلُ ... على أَيِّنا تَغْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ

أراد: وإنى لَوَجِلٌ، وكذلك يُتَأَوَّلُ ما فى الأذان: «اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبَرُ»، أى الله كبيرٌ، لأنه إنما يُفاضلُ بين الشيئين إذا كانا من جنسٍ واحدٍ[1]، يقال: هذا أكبَرُ من هذا، إذا شاكلَهُ فى باب.

فأما «اللهُ أجوَدُ مِنْ فلان» و«الله أعلَم بذلك منك»، فوجهٌ[2] بَيِّنٌ، لأنه من طريقِ العلمِ والمعرفةِ والبَذْلِ والإعطاء.

وقومٌ يقولون: «اللهُ أكبَرُ من كلِّ شيء»، وليس يقع هذا على مَحْضِ الرويّة[3]، لأنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيءٌ[4]، وكذلك قول الفَرَزْدَق:

إِنَّ الذى سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا ... بَيْتًا دعَائِمُه أَعَزُّ وأَطْوَل

جائزٌ أن يكونَ قال للذى يخاطبُه: «مِنْ بيتكَ»، فاستغنى عن ذكرِ ذلك بما جَرَى من المخاطَبةِ والمفاخَرَة، وجائزٌ أن تكون دَعَائمه عزيزة طويلةً، كما قال الآخر[5].

قُبِّحْتُمُ يا آلَ زيْدٍ نَفَرًا ... أَلأَمُ قَوْمٍ أَصْغَرًا وأَكْبَرًا

يريدُ: صِغارًا وكِبارًا.

فأما قولُ مالكِ بن نُوَيْرَةَ فى ذُؤَابِ بن رَبيعةَ حيث قَتَلَ عُتَيْبَةَ بن الحارثِ بن شهابٍ، وفَخَرَ[6] بنى أسدٍ بذلك، مع كثرة من قَتَلَتْ بنو يَرْبوعٍ منهم:

فَخَرَتْ بَنُو أَسَد بمَقْتَلِ واحدٍ ... صَدَقَتْ بنو أسَد عُتَيْبَةُ أفضَلُ

فإنما معناه أفضلُ ممن قتَلوا، على ذلك يَدُلُّ الكلامُ، وقد أبانَ ما قلنا فى بيته الثانى بقوله:

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) ر: «توجهه».

(٣) ر: «الرؤية»، وما أثبته عن الأصل، س.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ر: «قال الراجز»، وما أثبته عن الأصل، س.

(٦) ر: «وفخر» بالرفع، وما أثبته عن الأصل.

فَـخَـروا بمَقْـتَلِه ولا يُـوفِى بهِ　　مَـثْنَى سَـرَاتِهمُ الذينَ نُـقَـتلُ

والقَـولُ الثـانى فى الآية: وهوَ أهونُ عليـه عندَكم، لأن إعـادة الشىء عندَ الناس أهونُ مِنَ ابتدائهِ حتى يَجعلَ شيئًا مِنْ لا شىءٍ.

* * *

ثم نعودُ إلى الباب.

قال زُهَيْرٌ:

ومَهْما تَكُنْ عنـد امرئٍ من خَليقةٍ　　ولو خالَهَا تَخْفَى على الناس تُعْلمِ

فهذا مثْلُ المثَل الذى ذكرناه.

وقال عمـرُو بن العاص: إذا أنا أفْشَيْتُ سِـرِّى إلى صَدِيقى فأذاعَـهُ فهو فى حل، فقيل له: وكيف ذاكَ؟ قال: أنا كنتُ أحَقَّ بصِيانتهِ.

وقال امْرُؤَ الْقَيْس:

إذا المَرْءُ لم يخْـزُنْ عليـه لِـسَانَهُ　　فَلَيْسَ عـلى شىءٍ سِـوَاهُ بـخـزَّان

وأحْسَنُ مـا سُمعَ فى هذا ما يُعْـزَى إلى علىِّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فقائلٌ يقولُ: هُو لَهُ، ويقـولُ آخرونَ: قاله مُتَمثِّلا، ولم يُخْـتَلَفْ فى أنه كان يكْثِرُ إنشادَهُ:

فـلا تُـفْشِ سِـرَّكَ إلاَّ إلـيكَ　　فـإنَّ لكُلِّ نَصـيحٍ نصـيحـا

وإنِّى رأيـتُ غُـوَاةَ الرِّجَـا　　لِ لاَ يَتْـركـونَ أديمًـا صَحِـيحـا

وذَكر العُـتْبىُّ أَنَّ معاويةَ بن أبى سـفيانَ أَسَـرَّ إلى عثمان بن عَنْبَـسَةَ بن أبى سفيـانَ حديثًا، قـال عثمانُ: فـجئتُ إلى أبى، فقلتُ: إنَّ أميـرَ المؤمنين أَسَرَّ إلىَّ حديثًا، أَفـأُحَدِّثُكَ به؟ قال: لا، إنه مَنْ كَتَمَ حـديثهَ كان الخيـارُ إليه، ومَنْ أَظْهره كان الخيارُ عليه، فلا تجعلْ نـفسَك مملوكًا بَعْدَ أنْ كنتَ مالكا، فقلت له: أَوَ يَدْخُلُ هذا بين الرَّجلِ وأبيه؟ فقال: لا. ولكنى أكره أن تُذَلِّلَ لسَـانَك بإفشاء السِّرِّ، قال: فرجعتُ إلى معاويةَ، فذكرتُ ذلك له، فقال معاوية: أَعْتَقَكَ أخى من رِقِّ الْخطأ.

وقال معـاويةُ: أُعِنْتُ علَى علىٍّ رحمه الله بأَربعٍ: كنتُ رجـلا أَكْتُمُ سِرِّى،

وكان رجلا ظُهَرَةً[1] ، وكنتُ فى أطوعَ جُنْد وأصلَحه، وكان فى أخبث جند وأعصاهُ، وتركته وأصحابَ الجمَلِ وقلتُ: إنْ ظَفروا به كانوا أهْوَنَ علىَّ منه، وإنْ ظَفرَ بهم اعتَدَدتُ بها عليه فى دينه، وكنت أحبَّ إلى قُرَيْشٍ منه، فيالَكَ من جامعٍ إلىَّ ومُفَرِّق عنه، وعَوْنٍ لى وعَوْنٍ عليه!

وقال أرْدَشيرُ: الدَّاءُ فى كلِّ مكتومٍ.

وقال الأخطلُ:

إن العداوةَ تَلْقاها وإن قَدُمتْ كَالعُرِّ يكْمنُ حينًا ثمَّ يَنْتشِرُ

وقال جَميلٌ:

ولا يَسْمَعَنْ سِرِّى وسِرَّك ثالثٌ أَلاَ كلُّ سِرٍّ جاوَزَ اثنينِ شائعُ

* * *

وقال آخرُ، وهو مِسْكينُ الدارِمىُّ:

وفتْيَان صدْق لستُ أُطْلِعُ بعضَهم[2] على سرِّ بعضٍ غيرَ أَنِّى جِمَاعُها
يَظَلُّونَ فى الأرض الفَضاء وسِرُّهُمْ إلى صَخْرَة أعْيَا الرجالَ انصداعُها
لكُل امرئ شِعْبٌ من القَلْبِ فارغٌ ومَوْضِعُ نجْوى لا يرام اضطلاعُها

وقال آخرُ:

سأكتُمه سرِّى وأحفظُ سِرَّهُ ولا غَرَّنى أَنى عليه كريمٌ
حَليمٌ فَيَنْسَى أو جَهولٌ يُضيعُهُ وما الناسُ إلاَّ جاهلٌ وحَليمٌ

وكان يقال: أصبرُ الناسِ مَنْ صبرَ على كِتْمَانِ سِرِّهِ ولم يُبْدِهِ لصديقه فيوشك أن يصير عَدُوًّا فيُذيعَهُ.

* * *

وقال العُتْبىُّ:

ولى صاحِبٌ سِرِّى المُكتَمُ عنده مَخاريقُ نيرانٍ بلَيلٍ تُحَرَّقُ[3]

---

(١) أى يظهر أمره للناس.

(٢) ر: «لست مطلع بعضهم»، وما أثبته عن الأصل، س .

(٣) مخاريق: جمع مخراق، وهو ما تلعب به الصبيان من الخرق المفتولة، يضرب بعضهم بعضا، وكنى بتحريقها عن إذاعة سره. قاله المرصفى.

عَطَفْتُ على أسراره فكسَوْتُها ثيابًا من الكتمان لا تَتَخَرَّقُ
فَمَنْ تكُنِ الأسرارُ تَطفُو بصدره فأسرارُ صَدْرِى بالأحاديث تُغْرَقُ
فلا تودعَنَّ الدهرَ سِرَّكَ أحمقًا فإنك إن أودعتَهُ منه أحمقُ
وحَسْبُكَ فى سَترِ الأحاديث واعِظًا من القول ما قال الأريبُ المُوَفَّقُ
«إذَا ضاق صَدْرُ المرْءِ عن سِرِّ نفسه فَصَدْرُ الذى يُسْتَوْدَع السِّرَّ أَضْيَقُ»

* * *

وقال كَعْبُ بن سَعْدٍ الغَنَوِىُّ:

ولستُ بمُبْدٍ للرجالِ سَرِيرَتى ولا أنا[1] عن أسرارهم بسَئُول
[ولا أنا يومًا للحديثِ سَمِعْتُهُ إلى هاهنا مِنْ هاهنا بنَقُولِ[2]]

وقد ذكرنا قولَ العباسِ بن عبد المُطَّلب رحمه الله لابنه عبد الله: إن هذا الرجلَ قد اختَصَّكَ دونَ أصحابِ رسول الله ﷺ، فاحْفَظْ عنى ثلاثًا: لا يُجَرِّبَنَّ عليك كَذِبًا، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرًّا، ولا تَغْتَبْ عندَه أحدًا. فقيلَ لابن عباس: كلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من ألفِ دينارٍ، فقال: كلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من عشرةِ آلافٍ.

* * *

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ:

لى حيلةٌ فيمن يَنِـ ـمُّ وليس فى الكَذَّابِ حِيلَهْ
مَنْ كان يكذب ما يريـ ـد فحيلتى فيه قَلِيلَهْ[3]

وقال آخرُ [قال أبو الحسن: هو أبو العباس المُبَرِّدُ]:

إنَّ النَّمومَ أُغَطِّى دونَهُ خَبَرِى وليس لى حِيلَةٌ فى مُفْتَرِى الكَذِبِ

وقال بعضُ المحْدَثِينَ:

كَتَمْتُ الهَوَى حتى إذَا نَطَقَتْ به بوادرُ من دَمعٍ يَسِيلُ على خَدِّى[4]
وشاعَ الذى أضمرتُ من غير مَنْطِقٍ كأنَّ ضميرَ القلبِ يَرْشَحُ من جِلْدِى

(١) ر: «وما أنا».
(٢) حاشية الأصل: «البيت الثانى سقط من الأصل، وثبت عند ش».
(٣) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «من كان يخلق ما يقول».
(٤) ر: «تسيل على الخد».

وقال جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَرِ العُذْرِىُّ[1] :

إذا جاوزَ الإثنينِ سِرٌّ فإنه ... بنثٍّ وَإِفْشَاء الحديثِ قَمِينُ

وتأويل قمين، وحَقيق، وجَدير، وحَلق، واحدٌ، أى قريبٌ من ذاكَ، هذه حقيقتُه، يقال: قَمِينٌ، وقمنٌ، فى معنى. قال الحارث بن خالد المخزومىُّ:

مَنْ كان يسألُ عنَّا أينَ منزلَنا ... فالأُقْحُوَانةُ منَّا منزلٌ قَمِنُ

وفى الحديث أن رسولَ الله ﷺ قال: «من باعَ داراً أو عقاراً فلم يَرْدُدْ ثمنه فى مثله فذلك مالٌ قمَنٌ ألاَّ يُبارَكَ فيه».

وقال الرّقَاشِىُّ:

إذا نحنُ خِفْنَا الكاشحينَ فلم نُطِقْ ... كلامًا تكلمْنَا بأعيُننا سرّاً
فَنَقْضِى ولم يُعْلَمْ بنا كلّ حاجةٍ ... ولم نكْشِفِ النَّجْوَى ولم نَهْتِكَ السِّتْرَا

وقال معاويةُ لعباس[2] بن صُحَار العَبْدِىِّ: ما أَقْرَبُ الاختصارِ؟ فقال: لَمحةٌ دَالَّةٌ.

وقيلَ: خيرُ الكلامِ ما أغنَى اختصارُهُ عن إكثارِه.

وقيل: النمام سهمٌ قاتلٌ.

وقال أحدُ المُحْدَثِينَ:

لا أَكْتُمُ الأَسْرَارَ لكنْ أُذيعُها ... ولا أَدَعُ الأَسرارَ تَغْلِى على قَلبى
وَإِن قَليلَ العقلِ مَنْ باتَ ليلةً ... تَقلِّبُهُ الأَسْرارُ جَنْبًا على جَنْبِ

وقال آخرُ:

وأَمْنَعُ جارَتى من كلِّ خَيرٍ ... وأَمشِى بالنَّميمةِ بين صَحْبِى

ويقالُ للنَّمَّامِ: القَتَّات.

وفى حديث: «لا يَراحُ القَتَّاتُ رائحةَ الجنَّة».

وفى الحديثِ عن النبى ﷺ «لَعنَ اللهُ المُثَلِّثَ» فقيلَ: يا رسولَ الله، ومَنِ

(١) المرصفى: هذا غلط، وصوابه: وقال قيس بن الخطيم».
(٢) ر: «عباس»، وما أثبته عن الأصل، س، وهو الصواب.

المُثَلِّثُ؟ فقال: «الذى يَسْعَى بصاحبِه إلى سُلْطَانِه، فيهْلِكُ نفسَه وصاحبَه وسلطانَه».

وقال معاويةُ للأَحْنَف فى شىء بلغه عنه، فأنكر ذلك الأحنفُ، فقال له معاويةُ: بَلَّغَنى عنك الثقةُ، فقال له الأحنفُ: يا أمير المؤمنين، إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ.

وقال أحدُ الماضين[1] :

إن يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإن سَمِعوا شَرًّا أُذِيعَ، وإن لم يَسْمَعوا كَذبُوا

وقال المُهَلَّب بن أبى صُفْرَةَ: أَدْنَى أخلاق الشريف كتمانُ السرِّ، وأَعْلَى أخلاقِهِ نسيانُ ما أُسِرَّ إليه.

* * *

ويقالُ للنكاح: السرُّ، على غيرِ وجهه، وهذا ليس من الباب الذى كُنَّا فيه، ولكن يُذْكَرُ الشىءُ بالشىء، وهذا حرف يُغْلَطُ فيه، لأن قومًا يجعلونَ السِّرَّ الزِّنا، وقومٌ يجعلونَه الغشْيانَ، وكلاَ القولين خطأ، إنما هو الغشيانُ من غير وجهه. قال الله جل وعز: ﴿وَلَكِنَ لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِراًّ إلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا﴾[2] ، فليس هذا مَوْضِعَ الزِّنَا.

وقال الْحُطَيْئَةُ:

وَيَحْرُمُ سِرُّ جارَتِهِمْ عليهم ويأكُل جارُهُمْ أُنُفَ القِصَاعِ

وقال الأعْشَى لسَلامةَ ذِى فائشٍ الْحِمْيَرِىِّ:

وقَومُكَ إن يضمنُوا جارةً وكانوا بموضِعِ أنضادها[3]
فلنْ يطلبُوا سِرَّهَا للغنَى ولن يُسلِمُوها لأزهادِها[4]

فى هذا قولان:

---

(١) زيادات ر : «هو طريح بن إسماعيل الثقلى».
(٢) سورة البقرة: ٢٣٥.
(٣) الأنضاد: الأعمار والأخوال المتقدمون إلى الشرف. قاله المرصفى.
(٤) يقول: لا يتركونها لقلة ما لها، وهو الإزهاد، قاله صاحب اللسان - زهد.

أحدهما أنهم لا يطلبون اجترارها إليهم على رغم أوليائها من أجل ما لها، غضبًا[١] للجوار، ولا يسلمونها إذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة.

والآخر أنهم لا يرغبون فى ذواتِ الأموال، إِنَّمَا[٢] يرغبون فى ذواتِ الأحساب، اختيارًا للأولاد، وصيانةً للأصهار، أن يطمع فيهم من لا حسب له.

وقول الْحُطَيْئَة:

* ويأكُل جارهم أنفَ القصاع *

وإنما يريد المستأنف الذى لم يؤكل منه شىء، يقال: روضة أُنف، إذا لم ترْعَ، وكأس أنف، إذا لم يشرب منها شىء قبل، قال لقيط بن زرارة:

إِنَّ الشواء والنَّشيلَ والرُّغُفْ[٣] والقينةَ الحسناءَ والكأس الأُنُفْ

* للطاعنينَ الخَيْلَ والخَيْلُ خُنُفْ[٤] *

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «غصبا».

(٢) ر: «وإنما».

(٣) النشيل: لحم يطبخ بلا توابل.

(٤) الخنف: جمع خنوف، من خنف الفرس إذا لوى حافره.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
باب	
عمر الوادى والعبد الأسود	١٨٧
خالد صامة والوليد بن يزيد	١٨٧
من أخبار يزيد بن عبد الملك	١٨٨
إسحاق الموصلى والرشيد	١٨٩
من أخبار حسان بن ثابت	١٩٠
خليلان الأموىّ يغنى لأمير البصرة	١٩٠
غضب الرشيد لشعر مدح به أخوه	١٩١
معاوية وابنه يزيد	١٩١
معاوية عند عبد الله بن جعفر	١٩١
سفيان بن عيينة وجاره السهمىّ	١٩٢
ابن أبجر يغنى لعطاء بن رباح	١٩٢
سليمان بن عبد الملك فى عسكره	١٩٣
الفرزدق يسمع الأحوص يغنى بشعر جرير	١٩٣
الأحوص ومعبد عند عقيلة المغنية	١٩٤
هجاء الأحوص لسعد بن مصعب	١٩٥
شفاعة	١٩٦
فخر معبد بخمسة أصوات من غنائه	١٩٧
باب	
لعتبة بن شماس فى عمر بن عبد العزيز	٢٠١
لجرير فى عمر بن عبد العزيز	٢٠١

الموضوع	الصفحة